الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
**وزارة التعليم العالي والبحث العلمي**

**جامعة الجزائر** **معهد الآثار**

# المنشآت المعمارية للباي محمد الكبير بمدينة وهران
## (1779م- 1799م)
## دراسة أثرية معمارية

**رسالة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية**

**إعداد الطالب :** **إشراف الأستاذ الدكتور :**

**علي بوتشيشة** **علي حملاوي**

**السنة الجامعية : 2008- 2009**

بسم الله الرحمن الرحيم

# إهداء

إلى ذاكرة أمي وأخي محمد وجدّتي...

إلى ذاكرة أستاذي المشرف علي حملاوي

إلى الوالد الكريم...

إلى ابنتيّ نور الهدى ولينة...

إلى أهلي وأصدقائي جميعا...

...أهدي هذا العمل.

# كلمة شكر وعرفان

في الأخير أتقدم بخالص الشكر والعرفان إلى الأستاذ الدكتور علي حملاوي على كل جهد بذله معي طيلة مدة البحث وعلى كل التوجيهات القيّمة التي أمدني بها، كما أشكر شكرا خاصا أخي الأستاذ الدكتور الجيلالي بوتشيشة وجميع أفراد عائلته وخصوصا عمر والأستاذ الدكتور عبد القادر بوباية والأستاذة عائشة حنفي والأستاذة بن بلة والأستاذ محمد فوقة والأستاذ بوعبدالله بلجوزي.

وأشكر أيضا المهندس عبد القادر لخضاري ومحمد بوراس ومحمد وسار ومحمد علي عيشوبة وعبد القادر حاج شريف وحسن إدريس وسعيد وكل من ساعدني في هذا العمل.

دون أن أنسى في الأخير أحمد وإسماعيل وفاروق وحميد وأمين وكل أفراد العائلة.

والحمد لله ربّ العالمين

# المـقـدمـة

تعتبر المباني والعمارات في الحضارات المصدر الذي يصحح به الماضي – تقريبا – وبها يكشف عن بعض عناصر التاريخ التي لا تتحدث عنها الكتب ولا المؤلفات، وعليه فان الوقوف أو الإطلاع على هذه الآثار قد يكون أضمن مصادر التاريخ، ذلك أن هذه المصادر كما يقول غوستوف لوبون:" لا تكذب أبدا وهي تشتمل على لغة بالغة الوضوح".

وقد خلفت لنا الفترة العثمانية – التي تعدّ فترة طويلة ومهمة من تاريخ الجزائر – الكثير من الآثار المعمارية وفي مختلف مدن البلاد، وتركت بصماتها واضحة جلية على المباني المشيدة فيها خصوصا الدينية والمدنية منها، ونكاد نجزم أن ما خلفته هذه الفترة من العمائر يفوق بكثير ما خلفته لنا الفترات التي سبقت، فمدينة الجزائر لوحدها مازالت تحتفظ بالعديد من المساجد والزوايا والأضرحة إلى جانب العشرات من القصور والدور كما لا زالت مدن أخرى تحتفظ للآن بمعالم دينية ومدنية كثيرة، على غرار قسنطينة وعنابة ووهران ومعسكر ومستغانم.

فمن ضمن المعالم الدينية المهمة الشاهدة على تلك الفترة التي مر بها تاريخ الجزائر، نذكر على الخصوص جامع كتشاوة والجامع الجديد بمدينة الجزائر وجامع سيدي لخضر بقسنطينة وجامع صالح باي بعنابة وجامع الباشا بوهران ومسجد المبايعة بمعسكر والجامع الكبير بتوقرت. أما في العمارة المدنية فلدينا العديد من القصور والدور، ولعل أبرزها قصر الداي بالقصبة ودار عزيزة بمدينة الجزائر وقصر أحمد باي بقسنطينة وقصر الباي بوهران.

ومما يلاحظ لأول وهلة على هذه المعالم جميعها هو ذاك التمازج الواضح بين الطابع المحلي والطراز العثماني في الجانبين المعماري والفني التي جعلها تنفرد بمميزات خاصة.

وللعلم فان هذه المنشآت مازال الطابع الأصلي للبناء فيها شاهدا على مرحلة من مراحل البناء الحضاري التي مرت بها بلادنا، فهي تعتبر بالتالي إرثا معماريا وفنيا، ورصيدا حضاريا يجب دراسته والمحافظة عليه والاعتناء به خاصة إذا علمنا أن البعض من هذه

المعالم في حالة متقدمة من التدهور، وهذا من ضمن الأسباب التي حفزتنا على تناول موضوع: **المنشآت المعمارية للباي محمد الكبير بمدينة وهران.**

ويكتسي هذا الموضوع أهمية معتبرة في مجال البحث الأثري والمعماري، لأنه يؤرخ لفترة العقد الأخير من القرن 18م للحكم العثماني بالجزائر عامة ومدينة وهران خاصة، ويسلط الضوء على مآثر الباي محمد الكبير، باعتباره أحد صانعي تاريخ منطقة الغرب خلال الفترة المذكورة، وما يزيد الموضوع أهمية أن الرجل فرض نفسه على مسرح الأحداث وترك منجزات معمارية أشاد بها القريب والبعيد مازالت محافظة على الكثير من أصولها المعمارية وزخارفها الفنية.

هذا ولعل قلة البحوث التي تتناول العمارة الإسلامية خلال الفترة العثمانية في مدينة وهران – عكس مناطق أخرى وخصوصا مدينة الجزائر التي حظيت باهتمام أكبر – تضاف إلى الأسباب التي زادت من إقبالنا على الموضوع.

وكان القصد من وراء دراستنا صياغة بحث نحاول من خلاله - ما وسعنا الجهد – استخلاص أسس وخصائص المنشآت الدينية والمدنية من خلال الدراسة الوصفية-التحليلية أثناء تلك الفترة ومقارنتها مع تلك المتواجدة بباقي مدن الجزائر والتي تعود خاصة للعهد العثماني وإبراز مدى تأثرها بالطراز المغربي الأندلسي.

وعليه يمكن طرح التساؤلات التالية:

- ما مدى التأثير الذي تركه قرب وهران من مركز حضاري هام هو تلمسان وبصورة أدق ما مدى التأثير الزياني والمريني على تلك المنشآت وهل شمل الدينية والمدنية على حد سواء؟

- ومن جهة أخرى أين تجسد تأثير الطراز العثماني على العمائر محل الدراسة؟ وهل كان بنفس القوة والشدّة كما هو الحال في مدن أخرى كالجزائر عاصمة الأيالة؟

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى؛ ما هي البصمات التي تركها الباي محمد الكبير على منشآته المعمارية باعتباره رجل ورع وحاكم محنك وقائد عسكري فذ عرف بتنقلاته عبر مختلف المناطق؟ وهل أضاف الباي عناصر جديدة في العمارة؟

وأخيرا هل تأثرت هذه المنشآت بأسلوب البناء الأسباني، مع العلم أن الاحتلال الأسباني للمدينة دام ما يقارب الثلاثة قرون؟

ويقوم المنهج المتبع في هذا البحث على أساسين هما:

1 - **الدراسة الوصفية.**

2 - **الدراسة التحليلية.**

وقد اعتمدنا في ذلك أولا على المصادر والمراجع التاريخية والعلمية، وثانيا على الدراسة الميدانية، وثالثا على المخططات والخرائط والصور الفوتوغرافية.

أما البحث فقسمناه إلى مدخل عام وأربعة فصول.

تناولنا في **المدخل** مختصرا عن تاريخ مدينة وهران خلال العهد العثماني وترجمة موجزة للباي محمد الكبير، مركزين فيها على الجوانب المهمة من شخصيته وأبرز منجزاته.

وتضمن **الفصل الأول** المنشآت الدينية والتي تناولنا فيها بالوصف والتحليل جامع الباشا ومسجد الباي وجامع محمد بن عثمان، وهي المعالم الدينية الثلاثة الباقية التي أسسها الباي بمدينة وهران.

أما في **الفصل الثاني** فتطرقنا إلى قصر الباي فحسب، وهذا في غياب معالم مدنية أخرى، واعتمدنا فيه على نفس المنهجية المتبعة تقريبا في الفصل الأول وهي الدراسة الوصفية-التحليلية.

ودرسنا في **الفصل الثالث** مختلف المواد المستخدمة في البناء والزخرفة سواء الأساسية منها كالآجر والحجر والطابية أو المكملة كالمعادن والخشب، مركزين على خصائصها وأهميتها ومجال استعمالها.

أما **الفصل الرابع** والأخير فضمناه الدراسة التحليلية للعناصر الزخرفية النباتية والهندسية والكتابية.

وأنهينا البحث **بخاتمة** ضمّنّاها الاستنتاجات الأهم المتوصل إليها، ومذيلين إياه بملحق للصور. أما المخططات والأشكال فقد ارتأينا أن ندرجها ضمن النص رغبة منا في تقريب الفهم والإدراك لدى القارئ.

وعلى الرغم من الدراسات الأثرية والمعمارية التي تناولت الفترة العثمانية بالجزائر، فان حظ منطقة الغرب عامة – باستثناء تلمسان – ومدينة وهران خاصة كان منها يسير، ومع قلتها فقد تميزت بقلة العمق.

أما فيما يخص المصادر والمراجع المعتمدة، فقد استعنا في الجانب التاريخي بعدة مصادر لعل أهمها:

- **ابن سحنون الراشدي**، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني.
- **الزياني**، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران.
- **المزاري**، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وأسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر.

وجميع هؤلاء المؤلفين يعتبرون من المعاصرين للباي محمد الكبير، وتنطوي مؤلفاتهم هذه على أهمية خاصة من حيث تضمنها للسيرة الذاتية للباي إضافة إلى سردها لمنشآته في المجال العمراني.

كما اعتمدنا على بعض المراجع الأجنبية في هذا الجانب ومنها على الخصوص:

- **Cruck,E**, Oran et les témoins de son passé.
- **Fey,H,** Histoire d'Oran ; avant, pendant et après la domination espagnole.
- **Casser et autres** , Le livre de L'Oranie.

وهذه المؤلفات الأجنبية صدرت خلال فترة الاحتلال، وعلى الرغم من قلة المعلومات التي احتوتها، فإنها كانت بالنسبة لنا قيّمة خاصة وأنها أشارت إلى المعالم محل الدراسة وذكرت – أحيانا – ما لحقها من الإضافات والتغييرات والترميمات، كما تضمن بعضها صورا ورسومات مهمة.

وفي غياب شبه كلي للمراجع المتخصصة التي تتناول الموضوع بصورة مباشرة فقد ركزنا أكثر على البحث الميداني واستقراء المنشآت موضوع الدراسة.

ومهما يكن، فالمراجع المعتمدة في البحث عبارة عن مراجع عامة – في غياب المراجع الأساسية – استفيد منها في مجال المقارنة ومنها الصادرة باللغة العربية، وعلى الخصوص:

- **محمد الطيب عقاب**، قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني.
- **عبد العزيز لعرج**، المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية.

أما المؤلفات الصادرة باللغة الفرنسية فقد استعنا بكتب الأستاذ رشيد بورويبة ومنها خاصة:

**Bourouiba,R**, L’Art religieux musulman en Algérie.

Apports de l’Algérie à l’architecture religieuse arabo-islamique.

………

وأيضا:

- **Dokali,R**, Les Mosquées de la période turque à Alger.

كما تمّ الاستفادة من مراجع الأستاذ مارسي وخاصة:

- **Marçais,G**, L'Architecture musulmane d’Occident.

واستندنا أيضا على مؤلفات الأستاذ كولفان ولاسيما:

- Golvin,L, Essai sur l’architecture religieuse musulmane.
- **Golvin,L.** Palais et demeures d’Alger à la période ottomane.

وتجدر الإشارة أننا استفدنا من كل المصادر والمراجع، سواء كانت الاستفادة قليلة أو كثيرة، مع العلم أننا لم نتمكن من النظر في أعمال بعض الباحثين، ليس لأننا قللنا من قيمة أبحاثهم ولكن لأسباب موضوعية ودون قصد منا.

وفي الأخير ما يسعنا إلا الإشادة بكل من اعتمدنا على مؤلفاتهم من الأساتذة والباحثين والكتاب، وإن غاب عنا ذكر معظمهم في هذه المقدمة.

# مدخل عام

## 1- نبذة تاريخية عن مدينة وهران خلال العهد العثماني:

تعرضت وهران مع بداية القرن العاشر للهجرة /السادس عشر للميلاد لحملات بحرية اسبانية شديدة تمكن من خلالها الأسبان في عام 911هـ/1505م من احتلال المرسى الكبير وفي عام 915هـ/1509م احتلت مدينة وهران[1] .

وما كاد ينتهي القرن العاشر للهجرة/السادس عشر للميلاد حتى صارت وهران أكبر قاعدة عسكرية اسبانية في المغرب كله[2].

وقد قام العثمانيون خلال القرنين 10-11هـ /16-17م بمحاولات عديدة لتحرير وهران على غرار المدن الأخرى التي تمكنوا من تحريرها إلا أن هذه المحاولات لم يكتب لها النجاح.

في عام 1116هـ/1704م قام الباي بوشلاغم بمحاصرة المدينة وتضييق الخناق على الأسبانيين وقبل أن يشن هجومه النهائي أمده الباشا محمد بكداش بالجيوش تحت قيادة وزيره حسن أوزون، حيث تمكن من فتح مدينة وهران في عام 1120هـ/جانفي 1708م[3]، أما المرسى ففتح شهر افريل من نفس العام.

وعلى اثر هذا الفتح نقل الباي مصطفى بوشلاغم عاصمة البايليك من معسكر إلى وهران واستقر بها لمدة قاربت الربع قرن، إلى أن أخرجه منها الأسبان من جديد عام 1144هـ/1732م، فانسحب إلى مستغانم وبقي بها إلى أن توفى سنة 1146هـ/1734م[4].

وظلّت وهران خاضعة للاحتلال الأسباني مدة ستين سنة كاملة، وما انفك المسلمون يحاولون استرجاعها المرة تلوى الأخرى، وكانت المدينة خلال تلك الفترة ميدانا للقتال و المناوشات ولو بصفة متقطعة[5].

وما كاد يحل العام 1206هـ/1792م حتى تحررت وهران على يد أبرز البايات الذين حكموا البايليك وهو الباي محمد بن عثمان الكبير، وعرفت وهران خلال فترة حكمه التي دامت إلى غاية 1213هـ/1799م الأمن والاستقرار والرخاء. ثم تداول على الحكم بعد وفاة

[1] - بوعزيز يحيى، وهران، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر،2007،ص 64-65.
[2] - مقييس بشير، مدينة وهران، دراسة في جغرافية العمران،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر ص88.
[3] - المزاري آغا بن عودة إسماعيل، طلوع سعد السعود، تحقيق: يحيى بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص 275.
[4] - نفسه، ص 276.
[5] - Kehl,C. Oran et l'Oranie avant l'occupation française, Oran, 1942, P. 44.

الباي محمد الكبير بايات لم يكونوا في مستوى المسؤولية التي ألقيت على عاتقهم فشهدت وهران خلال فترة حكمهم الكثير من الثورات والقلاقل والأزمات وهؤلاء البايات[1] هم على التوالي:

**-الباي عثمان بن محمد:** هو الباي الثالث لوهران، تولى الحكم سنة 1213هـ/1799م مباشرة بعد موت أبيه الباي محمد الكبير، نقل مركز حكمه من البرج الأحمر إلى القصبة، و نظرا لسياساته الداخلية الفاشلة وانغماسه في اللهو عزله باشا الجزائر ونفاه إلى البليدة بعد أن قضى في حكم البايليك ثلاث سنوات، وبقي فيها إلى أن عين بايا على قسنطينة عام 1218هـ/1803-1804م فقتل خلال مقاومته لثورة ابن الاحرش الدرقاوي.

**- الباي مصطفى العجمي المنزالي:** تولى الحكم للمرة الأولى سنة 1215هـ/1801م بعد عزل و نفي الباي عثمان بن محمد الكبير، قامت في عهده ثورة الدرقاوة، وقد عزل بسبب عجزه في مواجهة هذه الثورة.

**- الباي محمد بن محمد بن عثمان المقلّش:** هو الشقيق الأصغر للباي عثمان ولي عام 1220هـ/1805-1806م خلفا للباي المعزول مصطفى العجمي وكان عمره 18 سنة و من أهم أعماله فكّ الحصار الذي ضربه الدرقاوي وأتباعه على مدينة وهران وتمكن من هزيمته في الكثير من المواقع، قتل في عام 1222هـ/1807م بأمر من باشا الجزائر و هو في طريقه لتقديم الدنوش.

**- الباي مصطفى العجمي المنزالي:** بعد مقتل الباي محمد المقلّش؛ عين بدله الباي مصطفى للمرة الثانية و ذلك عام 1222هـ/1807م، وقد واجه هو كذلك ثورة الدرقاوي دون أن يفلح في القضاء عليها، ثمّ عينه الباشا خزناجيّا بمدينة الجزائر.

---

[1] - حول البايات الذين حكموا وهران، أنظر:- الزياني محمد بن يوسف، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق: المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1990م،ص.ص 192- 253. وأنظر أيضا: المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا، ص.ص 275- 368.

**- الباي محمد بن عثمان:** هو أخو الباي محمد الكبير، الملقب بالرّقيق و أبي كابوس و المسلوخ، تولى حكم البايليك في نهاية عام 1222هـ/1808م، عمل على مواجهة الدرقاوي و أتباعه و قد تمكن من إخماد ثورته ولو إلى حين، ونظرا لعصيانه لأمر الباشا القاضي بالتحرك نحو تونس للقتال حوصر في وهران واعتقل ثم قتل شر قتل على يد الأغا عمر – مبعوث الباشا إلى وهران.

**- الباي علي قارة باغلي:** تولى عام 1228هـ/1813م، عمل هذا الباي على إصلاح أوضاع البايليك السياسية و الإدارية و الاجتماعية، قتل وهو في طريقه إلى الجزائر لتسليم الدّنوش بأمر من الداي و كان ذلك عام 1232هـ/1817م.

**- الباي حسن بن موسى الباهي:** تولى حكم بايليك الغرب في نفس اليوم الذي قتل فيه الباي علي قارة باغلي، و قد قامت في زمانه ثورة أحمد التيجاني (1242-1243هـ/1826-1827م)، و مكث في الحكم إلى غاية الغزو الفرنسي ، و قد سلّم المدينة دون قتال ، ثم غادر إلى الإسكندرية ومنها إلى مكة أين مات هناك .

ومع رحيل آخر بايات وهران – الباي حسن – انتهت فترة الحكم العثماني لهذه المدينة التي دامت في مجملها 63 سنة و تمت على مرحلتين، كانت المرحلة الأولى عقب التحرير الأول في ولاية الباي مصطفى بوشلاغم الذي حكم وهران مدة 24 سنة، قام خلالها بحركة عمرانية معتبرة على الجانب الأيسر من وادى الرّحى[1] حيث القصبة التي تعتبر النواة الأولى للمدينة، ومن ضمن منشآته العمرانية نجد الحمام والعين الجارية المشرفة على حي البحرية ومسجد البرانية المعروف بمسجد بني عامر[2] و الأقواس التي في حي الساحة الأسبانية[3] كما شيّد أيضا قصرا يحتوي على العديد من الغرف و مخزنا بقيت منه الكتابة

[1] - يخترق هذا الوادي المدينة حاليا وكان يمر بالمدينة القديمة، أطلق عليه اسم وادي ابن الخير وأصبح يسمى في العهد العثماني بوادي الرحى ثم تحول إلى اسم وادي رأس العين في عهد الاحتلال الفرنسي، وقد ردم الجزء الأكبر منه داخل المدينة القديمة وبقي على شكل مجرى بها. – مقيبس بشير، مدينة وهران، ص 33.

[2] - بوعزيزيحيى، تاريخ وهران، ص 92 وص 160.

[3] - المزاري، طلوع سعد السعود، ص 276.

المعروضة بمتحف وهران[1]. وقد أخذ الناس في زمانه –كما يقول توفيق المدني: " يتوافدون على المدينة و يبنون دورهم وينشئون حولها حدائقهم حتى غدت بعد أمد وجيز مدينة عامرة، عاملة، و مرسى زاخرا بالحركة و العمران "[2] . إلاّ أن زلزال 1205هـ/1790م أتى على معظم ما تبقى من تلك المباني التي ترجع لتلك الفترة.

أما المرحلة الثانية فهي التي أعقبت التحرير الثاني لوهران ودامت فترة الحكم العثماني خلالها 39 سنة، و تجدر الإشارة أن عمران المدينة نما بشكل ملفت وشهدت توسعا كبيرا تحت حكم الباي محمد الكبير، وشمل هذا التوسع العمراني – إضافة إلى المدينة القديمة – الضفة اليمنى لوادى الرحى والجهة المتاخمة للميناء، وقد استقدم الباي الكثير من السكان ومن مختلف المدن؛ من تلمسان ومعسكر ومليانة والمدية وندرومة بل وحتى من وجدة وفاس بالمغرب، ويذكر أن الباي محمد الكبير باع بأثمان زهيدة الكثير من الأراضي إلى الشرق والجنوب من القصر الجديد لقبائل المنطقة وبعض زعماء العائلات الأخرى الذين أتوا من المدية ومليانة والشلف ووجدة وفاس ، لتظهر إلى الوجود قرى وأحياء جديدة لعل أبرزها قرية خنق النّطّاح[3] التي بنى بها مسجده[4]، كما سيأتي تفصيله .

وكان لهذا الاستقطاب السكاني تأثيره الواضح على النشاط العمراني الذي شهد حركية منقطعة النظير حينئذ، هذا من جهة ومن جهة أخرى بدا هذا التأثير واضحا على الطابع المعماري للمنشآت لاسيما إذا افترضنا أن من بين هؤلاء المستقدمين بنائين و حرفيين مهرة.

ولئن شهدت فترة حكم الباي محمد الكبير نشاطا عمرانيا واسعا فان الأمر لا يبدو كذلك خلال فترات حكم البايات الذين أتوا من بعده، حيث لم تشر المصادر التاريخية إلى ذلك إلا من خلال إشارات خفيفة، إذ يقول الزياني في حديثه عن الباي عثمان: " واشتغل ببناء المعالم المرونقة والغرف المزوقة والقصور المشيدة والأساطين المعددة وغرس الأشجار ذات الفواكه الطيبة المختلفة وأجرى المياه في القوارير المؤتلفة..."[5]. وردد المزاري نفس ماقاله الزياني اذ قال:" واشتغل ببناء المعالم المرونقة والغرف المعددة المزوقة والقصور

---

[1] - بوروبية رشيد، وهران، سلسلة فن وثقافة، 1979م، ص 95.
[2] - المدني أحمد توفيق، حرب الثلاثة مئة بين الجزائر واسبانيا، ص 465.
[3] - هي منطقة تقع إلى الشرق من مدينة وهران قبالة الساحل و سميت بهذا الاسم من طرف العرب لأن مكانها كان ساحة لتناطح الأبقار بقرونهم.- بوعزيز يحيى، وهران، ص 138.
[4] - نفسه، ص 138.
1- الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، ص206.

المشيدة والأساطين الكثيرة المعددة وجرى المياه..."[1]. ولم نتمكن من الوقوف على هذه المنشآت التي ذكرها الزياني كما ذكرها أيضا المزاري باستثناء مسجد سيدي الهواري الذي ينسب إليه ومازال قائما إلى اليوم كما يرجع إلى عهده تنظيم مياه رأس العين وإعادة بناء مسجد بني عامر الذي حوّل في العهد الاستعماري إلى كنيسة[2]، كما ينسب إلى الباي حسن آخر بايات وهران الدار المتاخمة لجامع الباشا وقد بناها حينما كان تاجرا صغيرا[3].

ومهما يكن من أمر فان الكثير من المنشآت المعمارية التي شيدت أثناء فترة الحكم العثماني الثانية قد طالها الهدم والتخريب وزحف عليها العمران خصوصا خلال الحقبة الاستعمارية.

## 2- الباي محمد الكبير و أهم منجزاته المعمارية:

### 1.2- نشأة الباي و تكوينه:

يعتبر الباي محمد الكبير واحدا من الشخصيات الجزائرية التي حفل بها ماضي بلادنا، سجّل حضوره القوي في الربع الأخير من القرن الثامن عشر وارتبط اسمه بفتح وهران و تحريرها من الأسبان.

ولد الباي محمد الكبير بمليانة[4] في أواخر الثلاثينات من القرن الثامن عشر على الأرجح، كان والده عثمان الكردي حاكما بمليانة ثم صار بايا بتيطري[5]، و لما قتل في حربه مع ثوار ثوار عمور تكفل بابنه محمد وباقي أفراد أسرته أبو اسحاق إبراهيم الملياني – الذي تولى مكانه بالمدية – و تحت رعاية الباي إبراهيم نشأ محمد نشأة صالحة، وأقبل على العلم والفروسية فنبغ في كليهما، ثم زوجه ابنته وأشركه معه في أعمال الإدارة و لما انتقل لولاية الغرب أخذه معه[6].

[1]- المزاري، المصدر السابق، ص299
[2] - بورويبة رشيد، وهران، ص 136.
[3] - نفسه، ص 136.
[4] - ابن سحنون أحمد بن محمد بن علي الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم: المهدي البوعبدلي، منشورات وزارة التعليم الأصلي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1973، ص 122.
[5] - المزاري، المصدر السابق، ص 290.
[6] - ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 125، 126.

وتذكر المصادر التاريخية غزارة علم محمد بن عثمان وحنكته السياسية، حيث وصفه الخزندار تدينا[1] أنه أعرف الناس في زمانه مؤكدا إتقانه للّغة الإيطالية[2]، أما كاتبه ابن سحنون الراشدي فيؤكد أن محمدا بن عثمان كان أديبا عارفا لأمثال وحكم العرب والمخطوطات العسكرية وذو دراية بالطب، ويذكر من جهة أخرى أنه كان فارسا يجيد ركوب الخيل[3].

وقد عرف محمد بن عثمان بأخلاقه الرفيعة وخصاله الحميدة ومنها التزامه بتعاليم الشريعة الإسلامية[4] واستماتته في الدفاع عن الإسلام، وليس أدل على ذلك من جهاده للأسبان طيلة عقد إلى أن طردهم من آخر قلاعهم بوهران، كما عرف – أيضا – بشجاعته وجرأته وحلمه وكرمه[5].

## 2.2 – تدرّج الباي في الحكم:

نظرا لما كان يتمتع به الباي محمد الكبير من خصال وصفات وقدرة على الإدارة؛ عينه صهره الباي إبراهيم قائدا على قبائل فليتة[6] عام 1178هـ/1764-1765م ، حيث استقر بزمورة شرق غليزان وأظهر تجاهها نجابة وحزما وثباتا، مما جعلها مطيعة لأوامره وخاضعة لحكمه[7]، واستمرت قيادته لها إلى غاية 1181هـ/1768م[8].

في ذات السنة رقّاه الباي إبراهيم إلى منصب خليفة حيث أسند له مهمة تسيير وإدارة شؤون الرعية المستقرة في القطاع الشرقي لبايليك الغرب واتخذ مقره بمليانة.

شارك خليفة الباي إبراهيم محمد بن عثمان في صد الهجوم الأسباني البحري الذي تعرضت له الجزائر على عهد الباشا محمد عثمان بقيادة الكونت أوريلي (O'reilly) خلال

---

[1] - تدينا دوفانت Thedenat Duvant أسير فرنسي اشتراه وكيل الباي محمد الكبير ليعينه هذا الأخير خزندارا له أو متصرفا ماليا لمدة ثلاث سنوات وسبعة أشهر.- Emirit,M, « Les aventures de Thedenat, esclave et ministre d'un Bey d'Afrique (18° Siècle),in Revue africaine, 1948,O.P.U. P 155.

[2] - Emerit M « Mémoires de Thedenat , natif d'Uzès en Langedoc, écrite à Zurich en 1785 » in Revue Africaine, 1948, O. P.U. P 163- 164.

[3] - ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، ص 147، 378.

[4] - ابن زرفة أبو محمد المصطفى بن عبد الله بن عبد الرحمن، الرحلة القمرية، مخطوط بالمكتبة الوطنية، الجزائر، رقم 3322 ورقة41(وجه)، ورقة 13(ظهر)، ورقة 38(وجه).

[5] - أبو راس الناصري محمد بن أحمد بن عبد القادر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، مخطوط بالمكتبة الوطنية، الجزائر، رقم 3327، ورقة 11(وجه). 11(وجه). وابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 121، 122، 400،296،139.

[6] - هي قبائل مشهورة عربية الأصل، موقعها بين غليزان وتاهرت كان الأتراك يعينون لها قائدا مميزا، لقوتها وخطورتها.- أنظر: - بن عتو بلبراوات، الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري:1779-1797م، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2002م، ص65، 66.

4- نفسه، ص66.

[8] - ابن سحنون، المصدر السابق، ص 125.

الفترة الممتدة من 2 إلى 18جمادى الأولى 1189هـ/30 جوان إلى 16 جويلية 1775م، حيث هاجم بقواته -التي تمركزت بالقليعة – الجناح الأيسر الحامي للإنزال العسكري، وتذكر المصادر التاريخية أن القائد محمدا أبدى شجاعة نادرة وبسالة قلّ نظيرها[1].

وبعد وفاة الباي إبراهيم عام 1185هـ/1771م خلفه في منصبه الحاج خليل، وبعد وفاة هذا الأخير عين الباشا محمد عثمان – مكانه – محمد بن عثمان وذلك في 20 جمادى الثانية 1193هـ/ 5 جويلية 1779م[2].

وقد تمكن محمد بن عثمان من الظفر بمنصب باي لاعتبارات عديدة، لعل أهمها تمرسه في الحكم لمدة طويلة بدء بالاشتغال في ديوان الباي إبراهيم، ومرورا بقيادة قبائل فليتة وانتهاء بخلافة باي الغرب، وأيضا لبرهنته على شجاعته وحسن تدبيره ومواقفه الحازمة تجاه القبائل الثائرة ودوره الفعال في التصدي لحملة أوريلي عام 1189هـ/1775م، إضافة إلى ما أشتهر به من خصال حميدة وتفانيه في خدمة الرعية[3].

وعقب تعيينه شرع الباي الجديد مباشرة في إصلاحاته الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، فمعسكر التي كانت عاصمة بايليك الغرب قبل تحرير وهران بلغت أوجّ عظمتها وشهدت أزهى أيامها تحت حكم الباي محمد الكبير الذي مكث فيها من عام 1193هـ/1779م إلى غاية عام 1206هـ/1792م، وبها شيّد المدارس والمساجد وأنشأ المرافق العامة، فقصدها العلماء وتقاطر عليها الطلبة وأضحت حاضرة للعلم والمعرفة[4].

ويعتبر تحرير وهران والمرسى الكبير أعظم منجزات الباي، فهذه المدينة كانت خاضعة للاحتلال الأسباني ما يقارب ثلاثة قرون، وبالرغم من أن الباي مصطفى بوشلاغم فتحها عام 1120هـ/1708م إلا أنها احتلت من جديد عام 1145هـ/1732م ولما تسلّم الباي محمد الكبير بايليك الغرب شرع في محاربة الأسبان والتضييق عليهم ومحاصرتهم بدون انقطاع وفي محرم 1205هـ/أكتوبر 1790م وقع زلزال عنيف دمر أغلب المباني[5] فاستغل

---

[1] - ابن رقية التلمساني محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن الجيلاني، الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، تحقيق: سليم بابا عمر، مخطوط منشور بمجلة تاريخ وحضارة المغرب، العدد3، 1967، ص31.
[2] - الزياني، المصدر السابق، ص ص 196-199.
[3] - بن عتو بلبراوات، الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري، ص73.
[4] - سعيدوني ناصر الدين، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر؛ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص248
[5] - الزياني، المصدر السابق، ص205، 206. - المزاري، المصدر السابق، ص297.

فاستغل الباي حالة الفوضى والاضطراب التي عمت المدينة في مهاجمة الأسبان، الذين رغم التعزيزات التي وصلتهم من إسبانيا اضطروا في الأخير إلى طلب الصلح ووقف القتال مستجيبين لكل شروط الجزائر[1].

بدأ جلاء الأسبان عن وهران يوم 18 محرم 1206هـ/17 سبتمبر 1791م وتمّ نهائيا في أوائل رجب 1206هـ/أواخر فبراير 1792م، على إثره مباشرة دخل الباي محمد الكبير على رأس المجاهدين يوم الاثنين الخامس من رجب 1206هـ[2]/29 فبراير 1792م، واتخذ وهران عاصمة لبايليكه، وقد حاول أن يعيد لها مجدها بعد أن كانت عبارة عن قلعة محصنة شبه مغلقة، وبذل جهودا معتبرة لتعميرها وإصلاح ما تخرب منها، واستقدم إليها السكان من كل مكان من تلمسان ومعسكر ومستغانم والمدية ومليانة وغيرها، بل وحتى من وجدة وفاس ووزع على الوافدين أراض للبناء على الضفة اليمنى لوادي الرحى، وعلى تلك الضفة نشأت المدينة الجديدة - التي نظم شوارعها ووسع في أحيائها - باعتبار أن المدينة القديمة أتى الزلزال على معظم مبانيها.

توفى الباي محمد بن عثمان الكبير في قيطنة أولاد خديم ببلاد صبيح بالشلف عام 1213هـ/1799م[3] عند عودته من الجزائر بعد أن أدى دنوشه، ويعتقد أنه مات مسموما، وحول الموضوع قال الزهار:". وقيل في موت الباي محمد أن حسن باشا بعث إليه من سقاه سما وقيل أنه مات فجأة، لأنه مات من غير مرض"[4]. وذهب فاي (Fey) إلى حد تجريم الباشا حسن بأن وضع له السم في الطعام[5].

نقل جثمانه بعدها إلى وهران حيث دفن بمدرسة خنق النطّاح بأمر من ابنه وخليفته على القطاع الشرقي للبايليك عثمان بن محمد الذي ولاه حسن باشا بايا للغرب خلفا لأبيه[6].

---

1 - المدني أحمد توفيق، المرجع السابق، 526.
2 - الزياني، المصدر السابق، ص199.
3 - الزياني محمد بن يوسف، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، ص204.
4 - الزهار أحمد شريف، مذكرات الحاج أحمد شريف الزهار، تحقيق أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص63.
5 - Fey H.L Histoire d'Oran avant pendant et après l'occupation espagnole, Edition Dar-el-gharb,N.E. 2002 P.281.
6 - الزياني، المصدر السابق، ص204، 205.

## 3.2 –أهم منجزات الباي:

تذكر المصادر التاريخية أن الباي محمد الكبير أنشأ وأصلح الكثير من المباني الدينية والمدنية والعسكرية[1] ففي معسكر وسّع جامع السوق وأعاد بناء الجامع العتيق وبنى جامع المبايعة والمدرسة التي كانت بجانبه وبنا أيضا قناطر وسورا مشهورا وطبانتين للمدافع، كما بنا في تلمسان ومستغانم والجزائر مباني كثيرة بين مساجد ومشاهد ومدارس، وجدد المدرستين القديمتين بتلمسان[2] وبنا بالبرج الجامع الأعظم وجامع الكرط[3].

أما في مدينة وهران فقد بنى الجامع الأعظم المعروف بجامع الباشا وبنا بخنق النطّاح مدرسة حوّلها إلى مسجد يعرف إلى اليوم باسمه وبنا جامع محمد بن عثمان بالمدينة القديمة، كما بنا أيضا القصر المعروف باسمه، وجميع هذه المنشآت المعمارية ستكون موضوع الدراسة.

---

[1] - أنظر: - ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص ص 132-135.
- الزياني، المصدر السابق، ص ص 202- 204.

[2] - ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 127، 133.

[3] - الزياني، المصدر السابق، ص 204.

# الفصل الأول

## المنشآت الدينية

اهتم العثمانيون في الجزائر ببناء المساجد والمدارس والزوايا "محاولة منهم الاعتماد على التضامن الإسلامي وعلى المرابطين ورجال الدين لخلق إطار طبيعيا للاتصال بالداخل عن طريق السلطة الروحية"[1]. وتختلف الإحصاءات عن عدد المباني الدينية في المدن الجزائرية خلال العهد العثماني وتكتفي معظم المصادر بالحديث عن المدن الرئيسية كالجزائر وقسنطينة وعنابة[2].

أما فيما يتعلق بمدينة وهران فلم تذكر المصادر عدد المساجد والمدارس التي كانت بها عند دخول الاحتلال الفرنسي، والمؤكد أن عددها أقل بكثير مما كان بالجزائر أو قسنطينة نظرا لقصر فترة الحكم العثماني بها والذي لم يتعدّ 39 سنة بعد التحرير الثاني للمدينة[3]، وأيضا للهدم والطمس والتخريب الذي لحقها خلال الاحتلال الاسباني ثم – من بعد ذلك – الاحتلال الفرنسي.

وإذا تطرقنا إلى المعالم الدينية خلال الفترة العثمانية بمدينة وهران فإننا نجد معظمها أقامه الباي محمد الكبير وهي تتمثل في جامع الباشا ومسجد الباي وجامع محمد بن عثمان. وما يلاحظ أنها كانت متباعدة نسبيا حتى وان بنيت على فترات جد متقاربة –إن لم تكن متزامنة – ومردّ ذلك حسب اعتقادنا الى التوسع العمراني الذي شهدته المدينة عقب التحرير الثاني لها.

## 1-مواقع المساجد وتاريخ بنائها:

### 1.1 – جامع حسن باشا:

يقع على الضفة اليمنى لوادي الرحى عند شارع بن عمر بوتخيل( شارع فيليب سابقا ) قبالة قصر الباي (المخطط 1)، شيّده الباي محمد الكبير بأمر من الباشا حسن بعيد فتح وهران تخليدا لهذه الذكرى، وقد ذكر –هذا– الزياني؛ واحد من الكتاب المعاصرين للباي –

[1] - قدّاش محفوظ،" الجزائر في العهد التركي"، مجلة الأصالة، العدد 52، ذو الحجة 1397هـ/ديسمبر 1977م، ص 9، 10.
[2] - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الأول، الطبعة الثانية، المؤسسة الوطنية للكتاب، ص 245.
[3] - دام الحكم العثماني لوهران عقب التحرير الأول 24 عاما فقط أي ما بين عامي 1708 و 1732م.

حيث قال:"..وقد بنى(يقصد الباي محمد الكبير) الجامع المعزو للباشا حسن.."[1]،كما أشار المزاري الى ذلك قائلا:" ..وبنى أيضا الجامع الأعظم المعروف بها بجامع الباشا للآن وهو حسن باشا.."[2]. وتوجد كتابة تذكارية تذكر تاريخ تأسيسه وتعطينا قائمة الحبوس الموقوفة على تسيير الجامع نقشت على لوحة رخامية محفوظة الآن بمتحف وهران أحمد زبانة[3]، ومما تضمّنه النص:"..قيّدت هذه الأحباس في أواسط رمضان من سنة 1210هـ (1796م) في ولاية المنصور أبي الحسن السيد حسن باشا أيده الله.".

وتشير بعض المصادر التاريخية أن الجامع بناه الباي محمد الكبير بأمر من حسن باشا تخليدا لفتح وهران بالمال الصادر من بيع الأسرى المسيحيين[4].

شرع في بنائه مباشرة بعد فتح وهران عام 1207هـ/1792م-1793م وأشرف على أعمال البناء أمين البنّائين محمد الشرشالي بن تدبيرت[5] وتمّ الانتهاء منه سنة 1210هـ/1796م. وعلى الرغم من الترميمات و التعديلات التي تعرض لها المبنى منذ إنشائه؛ إلا أنه حافظ على طابعه الأصيل.

## 2.1- مسجد الباي محمد الكبير:

يقع مسجد الباي محمد الكبير بعيدا إلى الشرق من جامع الباشا عند نهج طرابلس(لورون فوك سابقا) بشارع الجيلالي داي فلاح، غير بعيد عن الواجهة البحرية في المكان المسمى قديما خنق النطّاح. تحيطه العمارات من ثلاثة جوانب (المخطط 1)، بناه الباي عام1207هـ/1793م ليكون مدرسة وضريحا له ولأفراد أسرته بعد وفاتهم وقد أشار إلى ذلك الزياني – عرضا – قائلا:"..وبنى المدرسة العظيمة بخنق النطّاح التي بها ضريحه وتعرف للآن بالمدرسة.."[6]، كما أشار إلى ذلك المزاري بقوله:" ..وبنى المدرسة الجليلة العظيمة بخنق النطاح التي بها ضريحه وتعرف للآن بالمدرسة"[7]. حوّلها الباي سنة

---

[1] - الزياني، المصدر السابق، ص 203، 204.
[2] - المزاري، المصدر السابق، ص 294، 295.
[3] - لم نتمكن من تصوير هذا اللوحة لأن إدارة المتحف لم تسمح لنا بذلك.
[4] - Fey, H. Histoire d'Oran, P. 283.
- Pièsse,L. Itinéraire historique et descriptif de l'Algérie, Hachette, Paris, 1862, P. 283.
[5] - الزياني، المصدر السابق، ص 204.
[6] - نفسه، ص 203.
[7] - المزاري، المصدر السابق، ص294.

1208هـ/1794م إلى مسجد بعد أن انتقل إليها هربا من وباء الطاعون الذي أصاب وهران. غداة الاحتلال حوّل إلى حمام للقوات الغازية ، ورغبة في شقّ شارع جديد؛ همّت سلطات الاحتلال بهدمه،إلا أن احتجاجات السكان حالت دون هدمه، وقررت إدارة الاحتلال الإبقاء عليه كمعلم تاريخي وملكا عموميا يستعمله المسلمون لأداء شعائر الصلاة كما كان سابقا[1].

صنّف المسجد معلما تاريخيا في 2 رجب 1312هـ/24 ديسمبر 1903م، ورمم خلال فترة الاحتلال[2] ومازال إلى اليوم تؤدى فيه الصلوات.

## 3.1- جامع محمد بن عثمان:

أنشئ في المدينة القديمة على يسار ضفة وادي الرحى، بنهج النابلسي حاليا (المخطط 1)، عام فتح وهران سنة 1206هـ/1792م، حيث يقول الزياني:"..وبنى(يقصد الباي محمد الكبير) بالموقع الذي وقف به فرسه عند الباب للمواقف مسجدا لصلاة الخمس والجمعة ويعرف عند الناس للآن بجامع بالناصف[3].."[4]. استغل غداة الاحتلال كقاعة تابعة للمستشفى للمستشفى الذي بني في عين المكان[5] وطمست بالتالي الكثير من معالمه الأثرية، وأنشئ حوالي بيت الصلاة العمارات والغرف والمخازن وأحيط بالمئذنة – التي سلمت من الطمس والتخريب – جدار فصلها عن باقي البنايات.

رمم المسجد وافتتح من جديد للمصلين يوم 11 ربيع الأول 1400هـ الموافق لـ 29 جانفي 1980م كما تدل اللوحة المثبتة عند المدخل.

---

1 - Marial, W. “ La Mosquée de Sidi Mohamed el- Kebir” In B.S.G.A.O. 1893, p.18.

2 - Casser.J. et autres, Le livre de l'Oranie, Fantana, Alger, 1925, P.53.

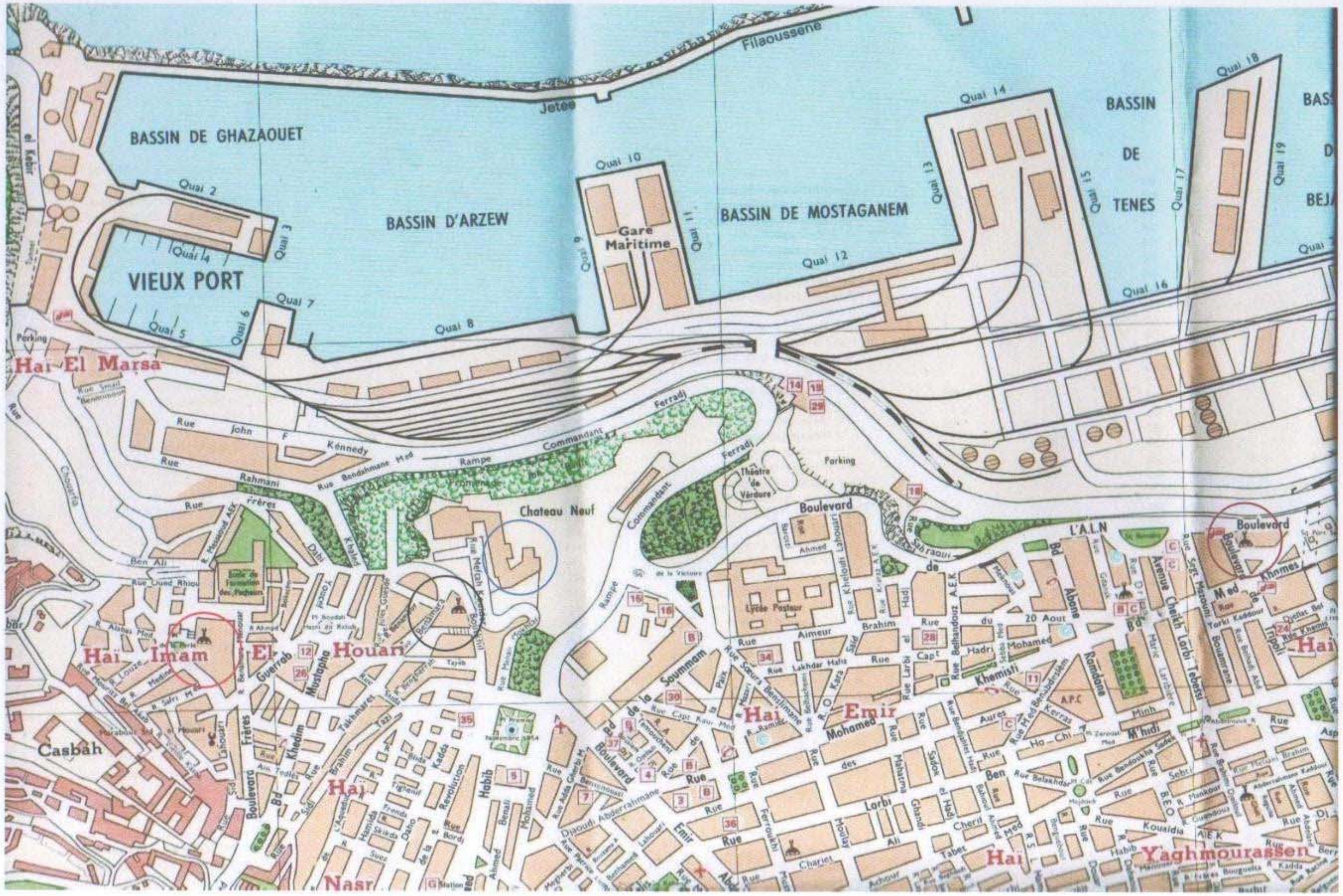
3 - بالناصف هو الشخص الذي كان وكيلا بالمسجد. حول الموضوع أنظر: المزاري، المصدر السابق، ص 293.

4 - الزياني، المصدر السابق، ص 202.

5 - Neggaz,A. « Note sur la Mosquée de Sidi-el-Houari ». In B.S.G.A.O. 1977-1978.P.118.

مقياس: 7500/1

الشمال




مخطط 1: مواقع المنشآت المعمارية للباي محمد الكبير (عن المعهد الوطني للكارتوغرافيا).

أما المئذنة فأنشئت عام 1207هـ/1792-1793م من قبل الباي محمد الكبير وهذا ما تطالعنا به الكتابة التذكارية الموجودة بالواجهة الجنوبية للمئذنة(الصورة 6) والتي جاء فيها:"

**الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله/**

**أما بعد فقد أمر بإنشاء هذه المنارة/**

**الرفيعة والمئذنة الرايقة البديعة عبد/**

**الله المجاهد في سبيل الله السيد/**

**محمد ابن عثمان باي الايالة الغربية وتلمسان/**

**وفاتح ثغر وهران كان الله له حيث كان/**

**سنة 1207/.**"

# 2-الدراسة الوصفية والتحليلية:

## 1.2- المظهر الخارجي:

إن المظهر الخارجي للمساجد يتميز عادة بالبساطة، وكان الاهتمام ينصب على الداخل ولاسيما الأماكن ذات الأولوية كجدار القبلة والمحراب، ويبدو أن المدخل الرئيسي وواجهته الخارجية - إضافة إلى المئذنة –هي العناصر التي تلقى اهتماما معتبرا من طرف الفنان، أما باقي الواجهات فكان نصيبها من العناية ضئيلا جدا، إذ لا نكاد نرى منها إلا حيطانا صماء تتخللها الفتحات والعقود التي تتوجها.

### 1.1.2- جامع الباشا: (المخطط 2-الصورة 1 و2).

يمتد من الشرق إلى الغرب، تبرز منه للعيان واجهتان؛ الواجهة الغربية (الصورة 7) المشكلة من مستويين( طابقين) نظرا للانحدار الذي يتخذه الموقع كلما اتجهنا إلى الغرب، خصص الطابق الأرضي كميضأة بينما يبرز في الطابق الثاني النوافذ الخلفية لبيت الصلاة.

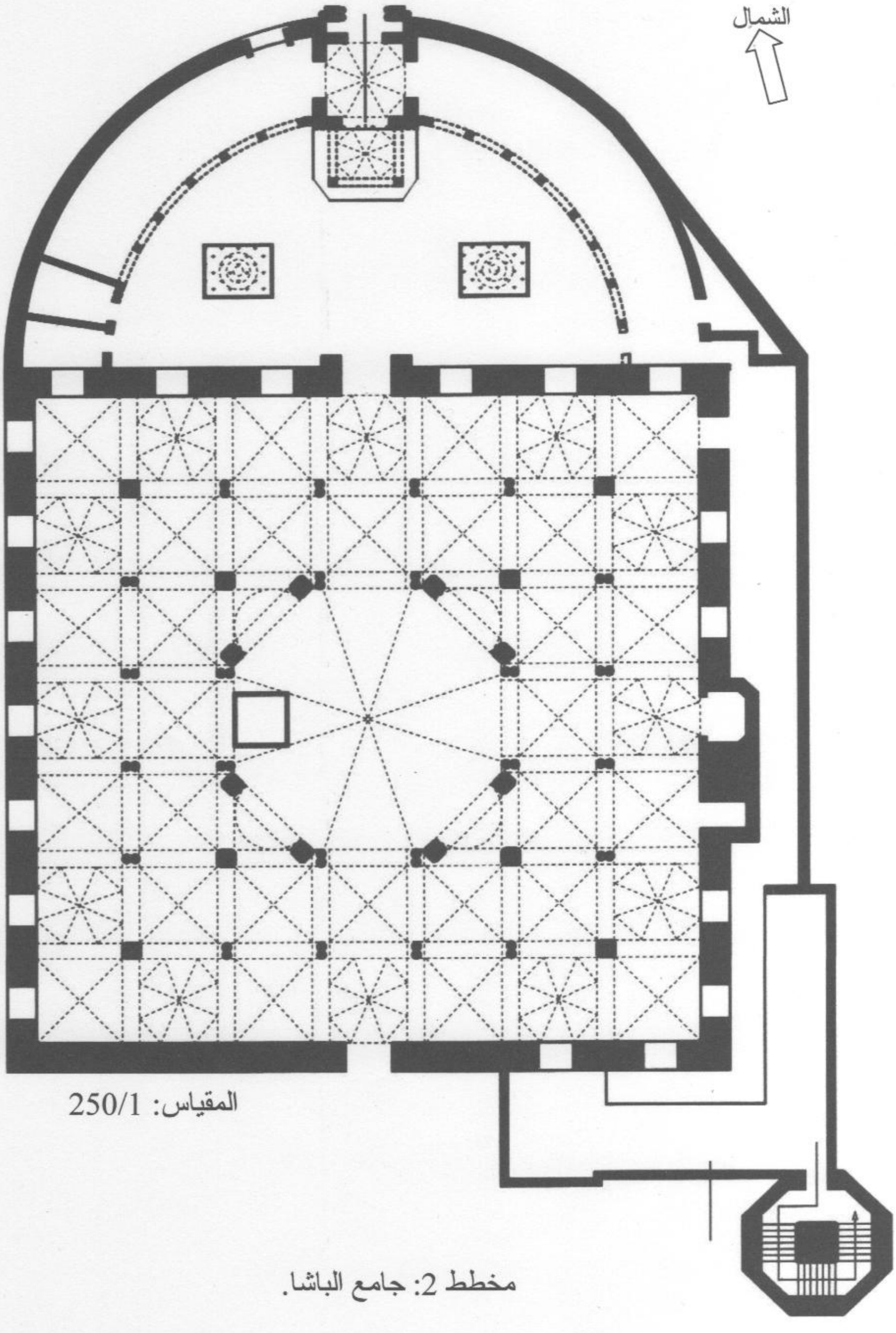
أما الواجهة الشرقية فهي عبارة عن سور نصف دائري طوله 55م ويزيد ارتفاعه كلما توجهنا نحو الغرب وينتهي في أعلاه بطنف بارز تنتظم عليه شرفات مسننة تتخللها قبيبات ثمانية الأضلاع ذات وظيفة زخرفية لها مسقط مربع طول كل ضلع 0.6م بينما يبلغ ارتفاعها 1.5م. هذه القبيبات محاطة عند كل ركن بشرفات زهرية، والوجه الخارجي لقاعدتها(القبيبات) مزخرفة بحنية ذات عقد مفصص، يتخلل السور في منتصفه المدخل الرئيسي ( الصورة 8) وهو عبارة عن مدخل تذكاري، وقد حظي - كما يبدو – بعناية المعماري واهتمامه، فواجهته الأمامية غنية بالزخارف المنتظمة حول عقد منكسر متجاوز محمول على عمودين مزدوجين يستندان على قاعدة مرتفعة.

يزدان ركنا المدخل – الذي يبرز قليلا عن الحائط – بعمودين طويلين يستندان على قاعدة مرتفعة لهما – أيضا – تاجان ذوا أصول مغربية أندلسية، أما زخارف المدخل فهي عبارة عن زخارف نباتية وهندسية وكتابية.

نلج عبر هذا المدخل مباشرة إلى حجرة شبه مربعة (الصورة 9) تتوسط رواقي الصحن مساحتها 3.43م في 3.05م، لها باب غربي اتساعه 1.41م وآخر شرقي اتساعه 1.43م يفضيان إلى الرواقين عبر سلم نازل من درجتين. أما من الناحية الجنوبية للحجرة فتوجد شبه شرفة تطل مباشرة على نافورة الصحن تكتنفها أربعة أعمدة رشيقة تحمل ثلاثة عقود ثلاثية الفصوص (الصورة 10).

يكتنف المدخل الرئيسي على اليسار باب صغير يبدو أنه كان مخصصا لدخول الباي ووزرائه كما يكتنفه على اليمين مدخل آخر كبير استحدث زمن الاحتلال[1].

[1] - ما يؤكد هذا الاعتقاد هو وجود صورة للمبنى أخذت له أوائل القرن العشرين حيث لا يظهر فيها هذا الباب (الصورة 2).




مخطط 2: جامع الباشا.

(عن الطالب).

### 2.1.2 – مسجد الباي محمد الكبير: (المخطط 3-الصورة 3 و4).

هو ذو حجم صغير – مقارنة بجامع الباشا – على غرار مساجد سيدي لخضر وصالح باي وسيدي الكتاني –على سبيل المثال[1] – والتي ترجع جميعها إلى الفترة العثمانية. اختط على شكل شبه منحرف أقرب ما يكون إلى المستطيل، طول ضلعه الشمالي 25.60م والجنوبي 22.10م والشرقي 11.20م والغربي 12.90م، تقدر مساحته بـ265م$^2$ ويبلغ ارتفاع حيطانه 5م وسمكها 0.5م، ويتكون من أربعة واجهات، الجنوبية منها لها مدخلان، الكبير منها يتوسط الحائط تقريبا اتساعه 1.56م وارتفاعه 2.51م، يبدو أنه أصلي، إلا أنه أحدثت به تغييرات مست شكله، أما الصغير فيقع قريبا من الزاوية الجنوبية الغربية مقاساته 2.20م في 1م، تتوزع على طول الواجهة فتحات مستطيلة ضيقة.

وتزدان الواجهة الغربية بعقود منكسرة متجاوزة مصمتة، فتح في أحدها باب يؤدي إلى الميضأة[2].

أما الواجهة الشمالية فتشتمل على باب فتح في المدخل الأصلي المصمت الذي مازا ل يحتفظ بعقده المنكسر المتجاوز المرتكز على دعامتين، يقدر اتساعه بـ2م وارتفاعه بـ2.10م ويتوزع على طول الواجهة فتحات مستطيلة استعملت لغرض الإضاءة والتهوية.

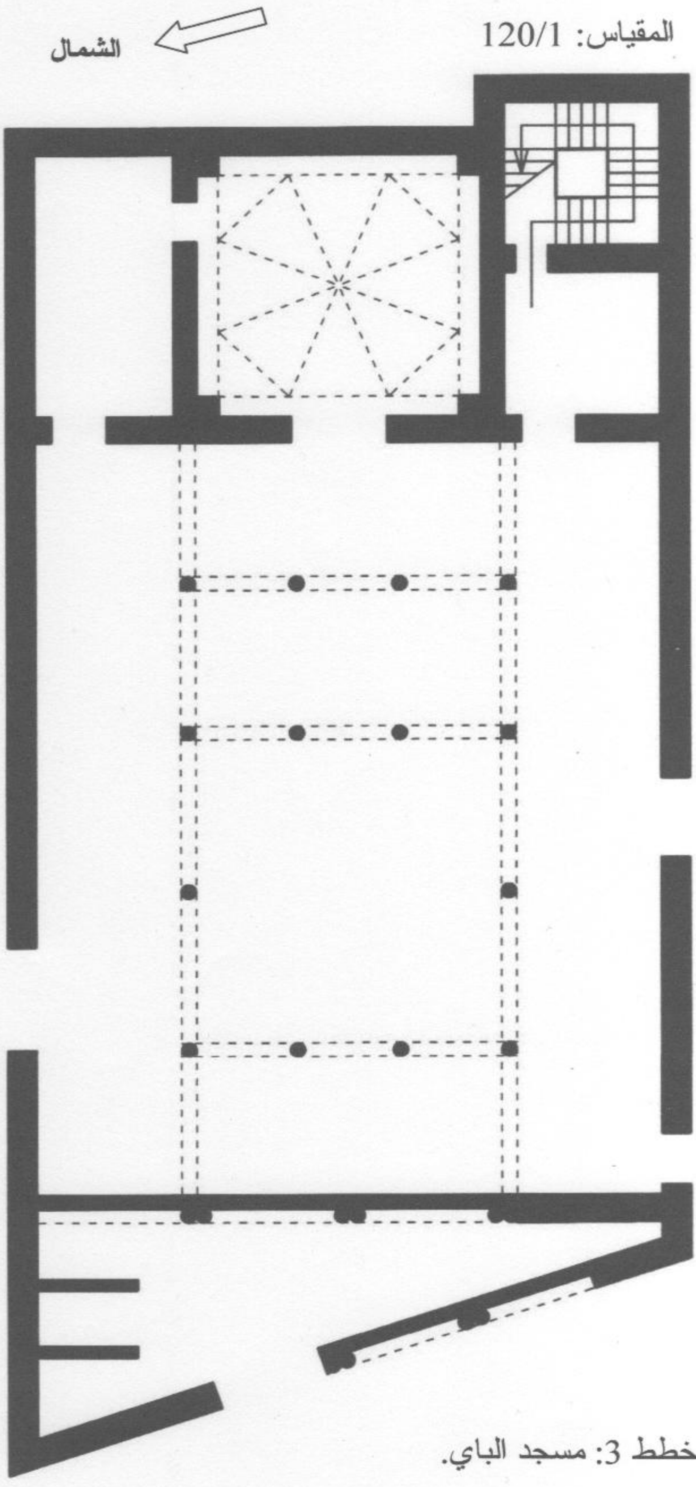
وترتفع في الركن الجنوبي الشرقي من المبنى المئذنة، ويظهر إلى جانبها قبة الضريح وتسقيف الصحن[3].

---

1 - Bourouiba,R. Apports de l'Algérie à l'architecture religieuse arabo- islamique, O.P.U. Alger, 1987,P.31.

2 - الباب غير أصلي وهذا ما تؤكده صورة ملتقطة للمسجد تعود إلى بداية القرن العشرين ميلادي (الصورة 4).

3 - بالنسبة لجامع محمد بن عثمان الكبير فان الوضع الراهن لا يسمح بدراسة مظهره الخارجي نتيجة التغييرات الجذرية التي لحقته خلال فترة الاحتلال.




مخطط 3: مسجد الباي.

(عن الطالب).

## 2.2 – الصحون والأروقة:

### 1.2.2 – جامع الباشا: (الصور 9 -10 -11 -12).

يحتوي الجامع على صحن مكشوف يأخذ شكل نصف قرص، قطر دائرته 22.50م، تقدر مساحته بـ397.4م2، يوجد على جانبيه الشمالي- الشرقي والجنوبي- الغربي رواقان اثنان يشكلان – إضافة إلى المدخل- نصف دائرة عمقهما 3.67م وارتفاعهما 3.40م، أما تسقيفهما فهو حديث.

يتكون الرواق الأيمن من سبعة عقود منكسرة متجاوزة تحملها ثمانية أعمدة، نفس الأمر يتكرر بالنسبة للرواق الأيسر إلا إن عقده الأخير مصمت، به باب لغرفة مستحدثة تحوي بئرا داخلها، لدينا في نهاية هذا الرواق مدخل متوج بعقد إهليليجي تعلوه ثلاث شمسيات، يفضي إلى غرفة ضيقة تتضمن سلما نازلا يؤدي إلى ميضأة كانت تستعمل قديما[1]، لها باب مسدود يتصل مباشرة بالخارج من الناحية الغربية.

يوجد بالصحن حوض ثماني الأضلاع تتوسطه نافورة يعلوها جوسق متصل من أحد جوانبه بقاعدة قبة حجرة المدخل محمول على عقود مشرشفة من جهاته الثلاثة المقابلة للصحن[2]، وتعلو هذا الجوسق قبيبة ثمانية الأضلاع ( الصورة 46).

بلاط الصحن بقطع من البلاطات الحديثة وهو مزين في وسطه بجنينتين صغيرتين (الصورة 13) أبعادهما الحالية 2.25م في 2م، كانت في الماضي تأخذ شكل الرئتين.

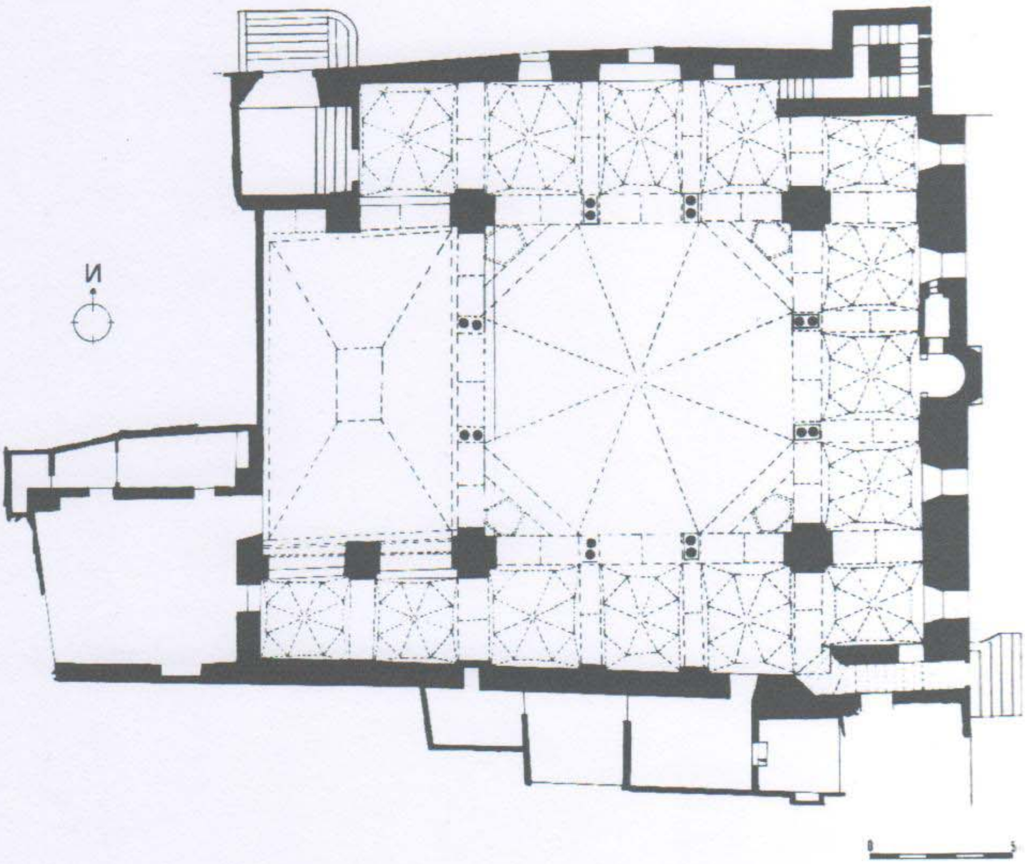
يبقى أن نشير إلى أن صحن جامع الباشا جاء يسار بيت الصلاة على غرار جامع معسكر وجامع تورقت[3]، وكانت صحون معظم البلاد الإسلامية ومن ضمنها الجزائر تقع بمحور المحراب كما هو الحال في جامع القلعة[4] (المخطط 6)، وعرفت هذه الميزة في مساجد المرابطين كمسجد الجزائر وتلمسان وندرومة[5]، واستمر العمل بها في الفترات التي تلت ومنها الفترة العثمانية حيث نجدها في مساجد علي بتشين[6] وسيدي امحمد وصالح باي وجامع تورقت[7].

1 - يوجد بهذه الميضأة- غير المستعملة حاليا- نفق يمر مباشرة أسفل الجامع ويمتد إلى غاية الميضأة الحالية المتاخمة للمئذنة.
2 - الجهة الرابعة لهذا الجوسق متصلة بحجرة المدخل من خلال شبه شرفة وقد سبقت الإشارة إليها.
3 - Bourouiba,R. Apports,P. 60.
4 - Bourouiba,R. l'Art religieux musulman en Algérie, S.N.E.D. Alger, 1973,P.29
5 - Bouyahiaoui,A. Evolution de la grande Mosquée médiévale dans la région de Tlemcen, Doctorat de 3° cycle université de Paris-sorbonne,1985,P. 133-134.
6 - Marcais,G. L'Architecture musulmane d'occident, Arts et Métiers qraphiques.Paris.P.427.
7 - Bourouiba.+R Apports, P.60-61.

غير أن الخاصية الفريدة التي تميز صحن الجامع هو شكله نصف الدائري، شكل لم تعرفه مساجد المغرب الإسلامي والمشرق الإسلامي، وقد كانت الصحون من قبل مستطيلة الشكل أو مربعة أو – أحيانا – شبه منحرفة، فهل هي طريقة ابتكرها المعماري من صميم خياله؟ أم أن المساحة المتوفرة من الأرض وطبيعتها الطبوغرافية هي التي فرضت عليه ذلك؟ أم هو اقتباس من مساجد أخرى، لها ذات شكل الصحن أو مشابها له؟ كما هو الحال في جامع نور العثمانية الذي شيّد في اسطنبول بين عامي 1748م و1755م؟ فالصحن الذي يسبق الجامع له شكل نصف دائري[1].

يبقى الجزم في هذا الأمر صعب للغاية، وان كنّا نرجح الاحتمال الأول والثاني معا. وعلى كل فشكل الصحن هذا أعطى للجامع ككل هيأة جميلة وان كانت غير مألوفة.

[1] - حسن زكي أحمد، فنون الإسلام، دار الرائد العربي، 1401هـ/1981م، ص143.




مخطط 4: مسجد علي بتشين (عن دوكالي).

## 2.2.2 – مسجد الباي محمد الكبير:

كان صحنه مكشوفا في الأصل، غطي بعد الاستقلال بسقف لتفادي مياه الأمطار[1] (الصورة 3).يأخذ شكلا مستطيلا عمقه 5.5م وعرضه 4.5م، يكتنفه يمينا ويسارا مجنبتان تتشكل كلاهما من رواق واحد أو أسكوب هو امتداد لأسكوب بيت الصلاة المتطرف على غرار مساجد أبي مدين وسيدي الحلوي وسيدي إبراهيم[2]، ويشرف كل رواق على الصحن ببائكة من عقدين. أما مؤخر المسجد فيتكون من رواق أو بلاطة اتساعها 2.60م بها باب مسدود في منتصف الحائط الغربي، كان يفتح على الميضأة أبعاده 2.16م ارتفاعا و0.83م اتساعا . والمعروف أن معظم مساجد الجزائر ذات مؤخر يتكون من رواق واحد أيضا، كما هو الحال في مساجد القلعة والمنصورة وسيدي أبي مدين وسيدي الحلوي وسيدي إبراهيم[3]، ويشرف مؤخر المسجد على الصحن ببائكة من ثلاثة عقود.

ونشير هنا إلى أن واجهات الصحن الأربعة تنتهي في أعلاها بطنف بارز من القرميد نصف الأسطواني وضع بطريقة متراكبة.

وكان صحن المسجد النبوي مستطيلا عمقه أكبر من عرضه بعد التوسيعات[4] ومنه استوحت جميع المساجد الأولى الشكل العام لصحونها ومن ذلك جامع دمشق الذي تميز صحنه بالاستطالة حيث عرضه أكبر من عمقه له مساحة واسعة تبلغ 122.5م عرضا وعمقها يقدر بـ 50م من الجهة الشرقية و47.87م من الجهة الغربية[5].

أما صحن جامع القيروان فكان عمقه أكبر من عرضه عكس معظم المساجد الأموية في سوريا أو تلك الموجودة بمصر، وهو بذلك كان أقرب في شكله من المساجد العباسية المنسوبة إلى النصف الأول من القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي[6].

وأما صحن جامع قرطبة فاستوحى شكله النهائي من جامع دمشق بحيث يمتد عرضا، بلغ طوله 122.782م وعرضه 58.50م ورغم انه لا يشغل سوى ثلث المساحة الإجمالية للجامع إلا أنه يعتبر أكبر الصحون مساحة في المغرب والأندلس[1].

---

[1] - أكد لنا بعض سكان الحي أن الصحن كان مكشوفا فيما مضى.

[2] - Bourouiba,R. Apports,P. 66.

[3] - Bourouiba,R. Apports, P.66.

[4] - Golvin,L. Essai sur l'architecture religieuse musulmane,T.1. généralités, Edition Klincksieck, Paris, 1970, P. 46.

[5] - Golvin,L. Essai sur l'architecture religieuse musulmane. T.2. P.150.

[6] - Golvin,L. Essai….T.3.P.141.

وتميزت الجوامع المرابطية بالمغرب الأوسط بشكلها المستطيل[2]، أكثر عرضا وأقل عمقا[3] على غرار جامع دمشق وقرطبة، وكذلك كان الحال في المساجد الموحدية كتنمل والكتبية وحسن[4].

أما في العهد المريني فتراوح شكل الصحون بين الاستطالة والتربيع[5]، إذ جاءت مستطيلة على غرار جوامع الموحدين كجامع فاس الجديدة ومربعة كجامع المنصورة[6].

وجاء صحن مسجد سيدي إبراهيم الذي بني خلال الفترة الزيانية مستطيلا عرضه أكبر من عمقه[7].

وعموما، فان جميع الصحون ذات الشكل المستطيل بالمغرب الأوسط جاء عرضها أكبر من عمقها[8].

وكان يحيط بهذه الصحون في الغالب من جهتيها الشمالية والجنوبية أروقة تتكون من بلاطة أو أكثر هي امتداد لبلاطات بيت الصلاة، فجامع دمشق- على سبيل المثال – يحيط صحنه من الشرق والغرب رواقان من بلاطة واحدة، وبالقيروان من بلاطتين، وبقرطبة من واحدة، بينما في مساجد كالجزائر من ثلاث بلاطات من جهة وأخرى وبتلمسان ثلاث بلاطات من جهة وأربعة من جهة أخرى وأربع بلاطات في مراكش والكتبية[9].

ويمكن أن نسجل – أيضا – أن بعض المساجد احتوت على أكثر من صحن كما في مسجد حسن غير المكتمل[10]، إلا أنها حالات نادرة جدا. وفي المقابل خلت بعض المساجد ذات المساحة الصغيرة من أي صحن كما خلت منه مساجد واسعة أخرى لاسيما في الفترة العثمانية.

وكما اختلفت أشكال الصحون اختلفت أيضا مساحاتها بين مسجد وآخر، فالمساجد الأولى تميزت صحونها بكبر المساحة على غرار جوامع أبي دلف والمتوكل وابن طولون

---

[1] - Golvin,L. Essai….T.4. P. 55.

[2] - كان صحن جامع تلمسان مستطيلا قبل أن يصبح مربعا على اثر التجديدات التي تمت عهد الزيانيين في ولاية السلطان يغمراسن. لعرج عبد العزيز، المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 1999م، ص 578.

[3] - Golvin,L. Essai. T.4. P. 190.

[4] - Marçais,G. l'Architecture, P. 249-254-260.

[5] - لعرج عبد العزيز، المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية، ص 578،577.

[6] - نفسه، ص 578،577.

[7] - Bourouiba,R. L'Art religieux.P.111.

[8] - Bourouiba,R. Apports.P.60.

[9] - Golvin,L. Essai…T.1.P. 46.

[10] - Ibid. P. 45.

وقرطبة ودمشق[1]. أما صحون المساجد المتأخرة فتميزت بصغر مساحتها؛ هذا إن وجدت أصلا. وهو ما يجعلنا نؤكد أن الدور الأساسي الذي أعطي للصحن خلال القرون الأولى تراجع خلال القرون المتأخرة، فأضحى له دور ثانوي أو منعدم أحيانا، وهذا ما يفسر غيابه في بعض المساجد الزيانية[2] وفي الكثير من المساجد التي ترجع إلى الفترة العثمانية ولاسيما ولاسيما ذات المساحات الضيقة[3].

## 3.2 – بيوت الصلاة:

### 1.3.2 – بيت صلاة جامع الباشا: (الصورة 15-16-17).

ندخل إلى بيت الصلاة من الصحن عبر مدخل متقدم بنحو 50سم عن الحائط (الصورة 13-14)، يواجه قبة المدخل الرئيسي، مزدان بدعامتين مزخرفتين، تعتمدان على قاعدتين عاليتين يتوجهما عقد نصف دائري ذو شراشف، يعلوه شريط كتابي .

أما بيت الصلاة فيتخذ شكلا مربعا تقريبا، طول ضلعه الشرقي 28.05م والغربي 28.57م والشمالي 27.70م والجنوبي 27.60م، وتقدر مساحته بـ 781.35م2، وهو يتكون من سبع بلاطات عمودية على جدار القبلة وسبعا موازية له، تقوم في وسط بيت الصلاة القبة المركزية ثمانية الأضلاع، طول أضلاعها يتراوح ما بين 3.44م و3.82م، ترتكز في آن واحد على ثمان دعامات وثمانية أعمدة مزدوجة، تشكل في مجموعها مضلعا ثمانيا، ويحيط بهذه القبة من الجهات الأربعة اثنا عشرة قبة أصغر حجما. ونجد أسفل القبة المركزية لجامع الباشا الدّكّة (الصورة 17) حيث يقوم المؤذن بإقامة الصلاة والمقرئ بترتيل القرآن الكريم، وهي مبنية من الخشب ذات درابزين مزخرف، محمولة على أربعة أعمدة رخامية يصعد إليها بواسطة سلم خشبي مكون من عشر درجات.

---

[1] - يعتبر صحن جامع أبو دلف بسامرا الأكبر مساحة التي تقدر بـ16120م2 يليه صحن جامع المتوكل بمساحة 16000م2 ثم يليه صحن ابن طولون البالغة مساحته 8464م2 بينما تبلغ مساحة صحن جامع قرطبة 7182م2 وهو الأكبر مساحة في بلاد المغرب والأندلس ثم يليه صحن جامع دمشق بمساحة 6125م2. - Golvin,L. Essai…T.3 P.35.50.76.T.4. P.55

[2] - من هذه المساجد نذكر مسجد سيدي بلحسن ومسجد أولاد الإمام وكلاهما يعودان إلى الفترة الزيانية.

[3] - Golvin,L. Essai…T.1. P.46.

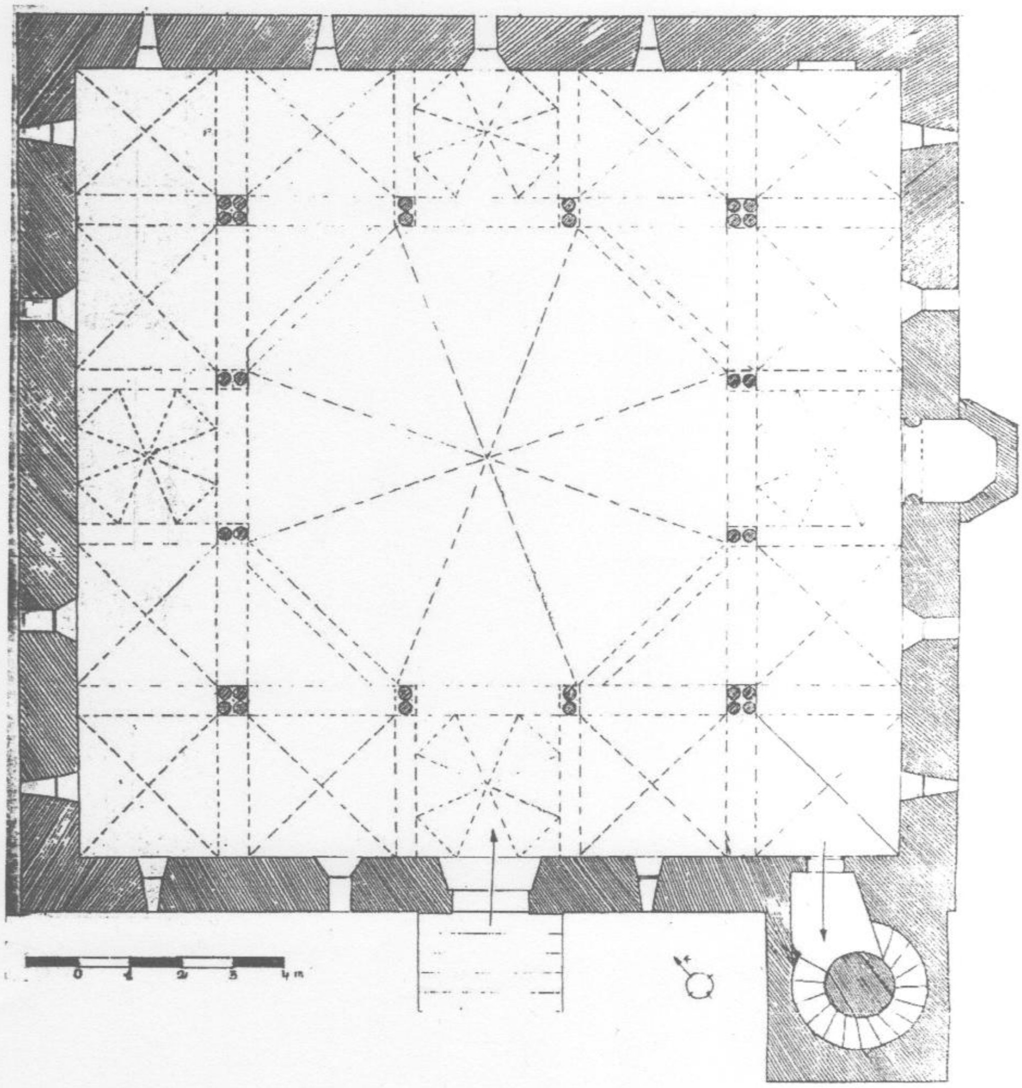
يتوسط جدار القبلة المحراب الذي يكتنفه عدة أبواب؛ فهناك باب على يمينه اتساعه 1.19م وعلوه 3م ننفذ منه إلى غرفة جدّ صغيرة يوضع بداخلها المنبر وعلى يساره يوجد باب آخر قريب من الركن الشمالي الشرقي اتساعه 1.33م وعلوه 2.51م له عقد مدبب ،كما فتح مدخل آخر – نشكّ في أصالته – مقابل المدخل الرئيسي يخصص حاليا لدخول النساء قصد أداء صلاة الجمعة. بقي أن نشير الى وجود باب صغير مصمت في أقصى الحائط الجنوبي قريبا من الركن الجنوبي الغربي اتساعه 0.91م وعلوه 1.30م تؤطره دعامة مزخرفة معقودة بعقد نصف دائري، أما النوافذ فتفتح في جميع حيطان بيت الصلاة وعددها 19 نافذة.

ومع هذا النمط الجديد - الذي يمثله بيت صلاة جامع الباشا ذو القبة المركزية - تختفي البلاطة الوسطى الواسعة التي تعدّ من أبرز سمات المساجد الإسلامية – لاسيما المغربية الأندلسية – وقد ظهر في تركيا متأثرا ببناء كنيسة آيا صوفيا بالقسطنطينية وصار المثال المحتذى في المساجد، وهذا هو الذي حمله الأتراك إلى المغرب الإسلامي وطبقوه – تقريبا – في كل مبانيهم[1]، إلا أن المعمار الجزائري أحدث في المخطط الأصلي بعض التعديلات المهمة. ففي بيوت صلاة جوامع اسطنبول تحاط القبة المركزية بأنصاف قباب وأروقة تغطيها قبيبات، بينما في مساجد الجزائر – ومنها جامع الباشا – تختفي أنصاف القباب ولا نجد إلا أروقة تعلوها قبيبات متقاطعة والتي تحيط بالقبة المركزية الكبيرة من ثلاث أو أربع جهات[2].

ويعتبر جامع علي بتشين أقدم معلم ديني من هذا الطراز الذي يصلنا (مخطط4)، وقد حافظ – كما يبدو – على عناصره الأساسية[3]، وهو عبارة عن شبه مربع تقريبا يتكون من قاعة تتقدم صحنا مغطاة بقباب منها قبة مركزية كبيرة يحيطها ثلاثة أروقة من بلاطة واحدة بينما يحيط القبة المركزية بجامع الباشا أربعة أروقة من بلاطتين مغطاة بقباب وأقبية.

---

1 - Marçais,G. L'art en Algérie, Imprimerie algérienne, Alger, 1906. P.132.
2 - Bourouiba,R. Apports, P.55.
3 - Dokali, R. les Mosquées de la période turque à Alger, S.N.E.D. Alger, 1974, P. 98.



مخطط 5: مسجد المبايعة بمعسكر ( عن بلحاج ).

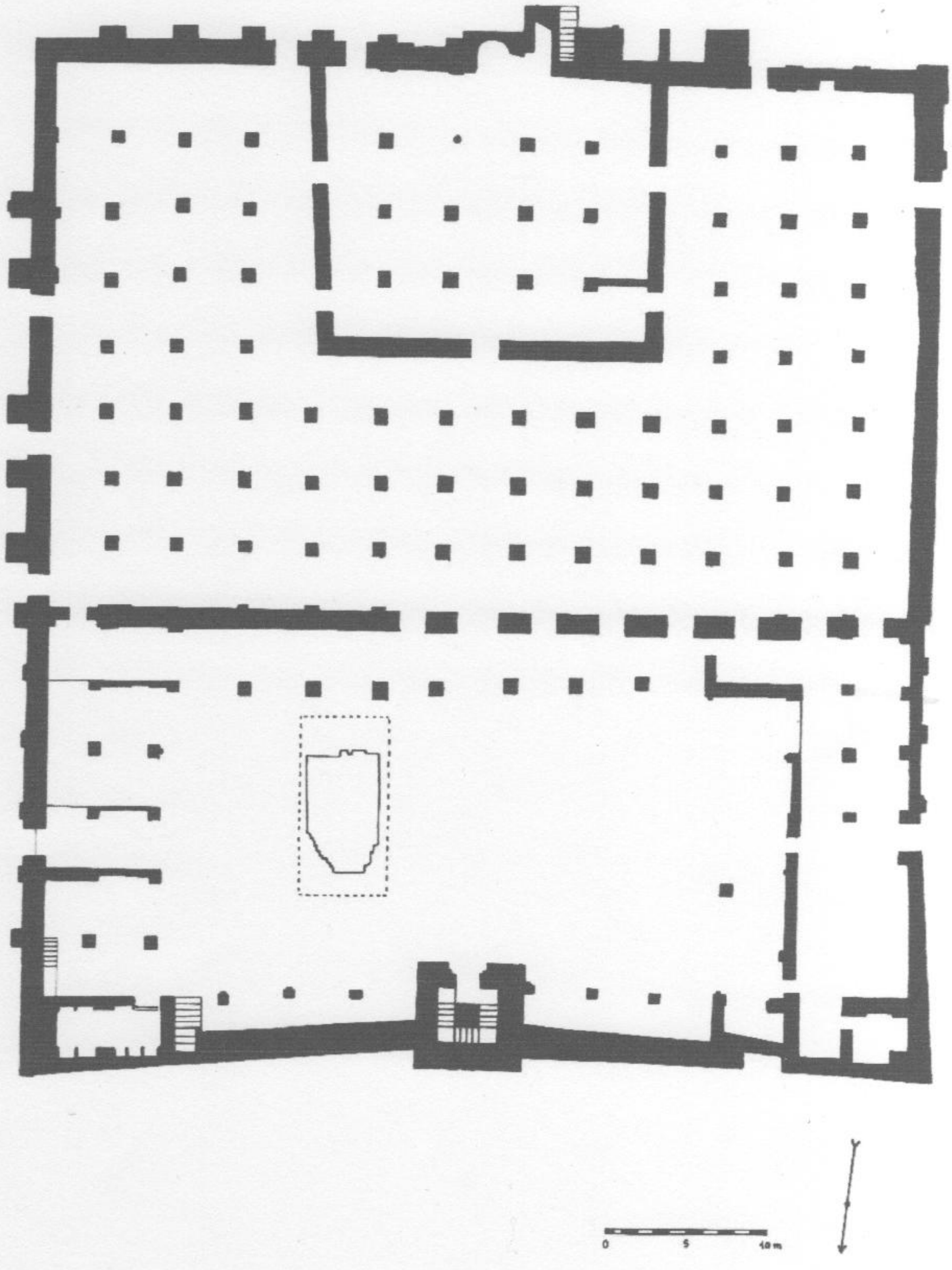
أما جامع المبايعة (العين البيضاء) بمعسكر الذي بناه أيضا الباي محمد الكبير فهو الآخر له بيت صلاة تتكون من قبة مركزية كبيرة تحيطها الأروقة من جهاتها الأربعة مغطاة بأقبية متقاطعة وبأربعة قباب صغيرة متقابلة مثنى- مثنى ومن بينها القبة التي تتقدم المحراب (المخطط 5).

### 2.3.2 – بيت صلاة مسجد الباي محمد الكبير: ( الصورة 18 و19).

نشير في البداية أن بيت الصلاة الحالي يضم بالإضافة إلى بيت الصلاة الأصلي؛ الصحن والمجنبتين والمؤخر، أما بيت الصلاة الأصلي كما نعتقد فيتخذ شكلا مستطيلا على غرار الكثير من المساجد الجزائرية خلال الفترة الإسلامية، يبلغ عرضه 11.20م وعمقه 5.50م بينما يبلغ ارتفاعه 4م، ندخله من ثلاث أبواب كما ذكرنا سابقا؛ اثنان يقعان في الحائط الجنوبي و الثالث في الحائط الشمالي. يتكون من بلاطتين موازيتين لجدار القبلة وخمسة أساكيب عمودية، المتطرفان منها لهما عقود تتقاطع مع عقود البلاطات وتمتد إلى غاية جدار القبلة. وجميع عقود بيت الصلاة منكسرة متجاوزة تستند على ثمانية أعمدة حجرية ضخمة ذات تيجان بسيطة جدا أما الأرضية فهي مبلطة ببلاطات حديثة. ويفتح في حائطه الشرقي ثلاث ابواب ، واحد نلج من خلاله إلى القبة الضريح ويقع في منتصف الحائط والثاني يفتح على مكتبة الإمام الحالية ويقع قريبا من الركن الشمالي الشرقي لبيت الصلاة اتساعه 1م وارتفاعه 3.03م، أما غرفة المكتبة فيبلغ طولها 5.10م بينما يبلغ عرضها 2.50م.

أما الباب الثالث والأخير فيوجد يمين قبة الضريح اتساعه 1م وارتفاعه 2م يفضي إلى غرفة شبه مربعة طولها 3م وعرضها 2.60م وارتفاعها 3.96م عاطلة عن الزخرفة فتح في حائطها الجنوبي بعض النوافذ الضيقة، ونعتقد أنها كانت تستعمل مطبخا[1] (للطلبة والمدرسين) لوجود مدخنة على سطحها مباشرة. لهذه الغرفة

[1] - كان المطبخ يعدّ من ضمن المرافق الأساسية التي تلحق بالمدرسة.- فكري أحمد، مساجد القاهرة ومدارسها، الجزء الثاني، العصر الأيوبي، دار المعارف، مصر، 1969م، ص121.




مخطط 6: جامع قلعة بني حماد( عن بورويبة).

باب في جدارها الشرقي نصل من خلاله إلى جوف المئذنة مقاساته 0.57م اتساعا و1.65م ارتفاعا، متوج بعقد إهليليجي.

وينسب تخطيط هذا المسجد إلى الطراز المغربي الأندلسي الذي لا تشكل فيه القبة العنصر الأساسي والذي ساد لفترة طويلة جدا حيث يخضع التخطيط المعماري لبيت الصلاة فيه للنظام المعروف بنظام التخطيط القائم على الأعمدة (Hypostyle).

وقد استمدت مساجد المغرب والأندلس – خاصة المبكرة منها – نظامها المعماري من جامع القيروان الذي يعتبر بحق رائد المباني الدينية في هذا الجزء من العالم الإسلامي ويتكون من قاعة ذات التخطيط القائم على الأعمدة مستطيلة الشكل تتقدم صحنا[1] والتي تقوم فيه البلاطات السبعة عشر عمودية على جدار القبلة على غرار بلاطات جامع الأقصى ، وتعتبر البلاطة الوسطى أوسع هذه البلاطات.

ولا شك أن مخطط جامع القيروان تأثر أيضا – إلى جانب تأثره بمخطط جامع الأقصى من حيث توجه البلاطات – بجامع دمشق المتكون من صحن وقاعة صلاة تمتد فيها البلاطات على طول جدار القبلة[2]، وهذا المسجد – هو الآخر– استمد نظامه المعماري من المسجد النبوي بالمدينة و" هو النموذج الأول الأصيل التي اشتقت منه منه بقية المساجد التي أتت بعده كيانها المعماري ونظامها التخطيطي"[3].

وكان عرض قاعة صلاة العديد من المساجد – وبالأخص تلك التي لم تطلها الزيادات والتوسيعات – أكبر من العمق ليسمح لأكبر عدد من المصلين الاصطفاف من الشرق إلى الغرب على طول جدار القبلة[4].

واستمر العمل بهذا التخطيط في الجزائر خلال الفترة العثمانية رغم ظهور نمط جديد هو النمط التركي الذي تشكل فيه القبة المركزية عنصرا مهما، ومن ضمن المساجد التي ظلت وفية للتصميم القديم نشير إلى مسجد القصبة البراني المشكل من ثلاث بلاطات عمودية على جدار القبلة وخمسة أساكيب موازية[5] و مسجد سوق الغزال(1143هـ/1730م) وسيدي لخضر(1156هـ/1743م) وسيدي

1 - Marçais,G. l'Architecture. P. 10

2 - Golvin,L. Essai. T. 2, P. 150.

3 - لعرج عبد العزيز ، المباني المرينية، ص 469.

4 - Lambert,E. l'Art musulman d'Occident des origines à la fin du 15 siècle, S.E.D.E.S. Paris, 1966. P. 32.

5 - Dokali,R. Les Mosquées de la période turque à Alger, P. 40

الكتاني(1190هـ/1770م) بقسنطينة، فالأول يتكون من سبع بلاطات مغطاة بأقبية متقاطعة، بينما يتكون الثاني من خمس بلاطات ذات سقف مستو[1]، وأما الثالث فيتشكل من خمس بلاطات موازية، وذات التصميم حافظ عليه جامع توقرت(1219هـ/1804م) المكون من ثماني بلاطات عمودية[2]، وأيضا جامع معسكر(1160هـ/1747م) المشكل من عشر بلاطات عمودية.

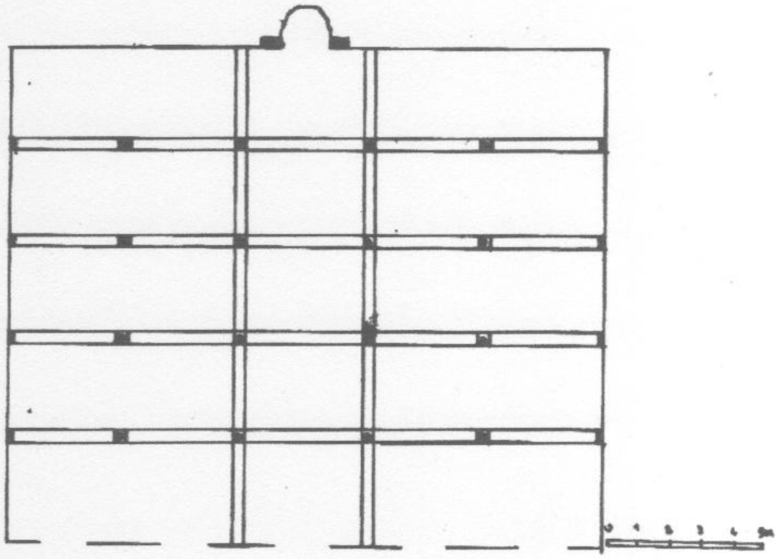
ونشير إلى أن بيت صلاة مسجد سيدي الكتاني ومسجد سيدي لخضر بقسنطينة عرفت - تقريبا – نفس تخطيط بيت صلاة مسجد الباي (المخطط 7 و8) ، غير أن خطوط العقود العمودية على جدار القبلة تشكل بهذين المسجدين بلاطة مركزية عمودية وهو الأمر الذي لم نلمسه في مسجد الباي.

يبقى أن نذكر أن مسجد الباي لايختلف في تخطيطه كثيرا عن مسجد سيدي إبراهيم(المخطط 9) الذي يرجع إلى الفترة الزيانية ومسجدي سيدي بومدين (المخطط 10) وسيدي الحلوي وكلاهما يعودان إلى الفترة المرينية.

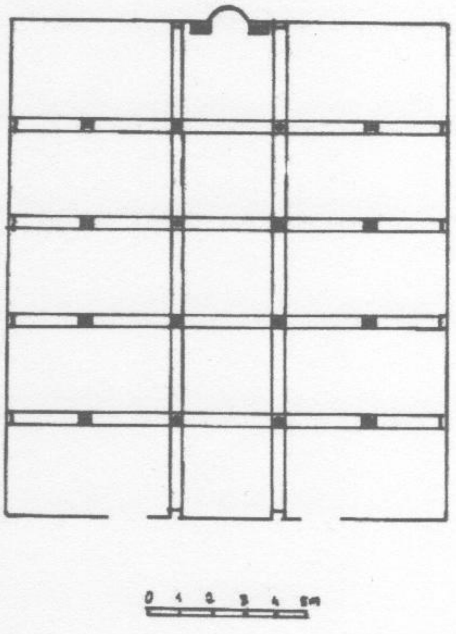
### 3.3.2- بيت صلاة جامع محمد بن عثمان الكبير: (المخطط 11-الصورة 20 و21).

يأخذ حاليا شكلا مستطيلا قريبا من المربع حيث يبلغ عرضه 23م وعمقه 19.30م تقدر مساحته بحوالي 450م2، يتكون من ست بلاطات عمودية وستة أخرى موازية لجدار القبلة ، المتطرفة منها أقل اتساعا، ونلاحظ وسط بيت الصلاة فراغا مسقوفا على غرار مسجد الباي. أما البلاطات فمغطاة بأقبية نصف دائرية ترتكز على عقود نصف دائرية محمولة على دعائم ضخمة يبلغ عددها 23 دعامة مربعة في أغلبها طول ضلعها 0.75م ويبدو أنها مبنية بالآجر. يتصل ببيت الصلاة من ناحية الشمال ميضأة ومسكن وظيفي حديثان. ويقع المدخل الرئيسي قريبا من

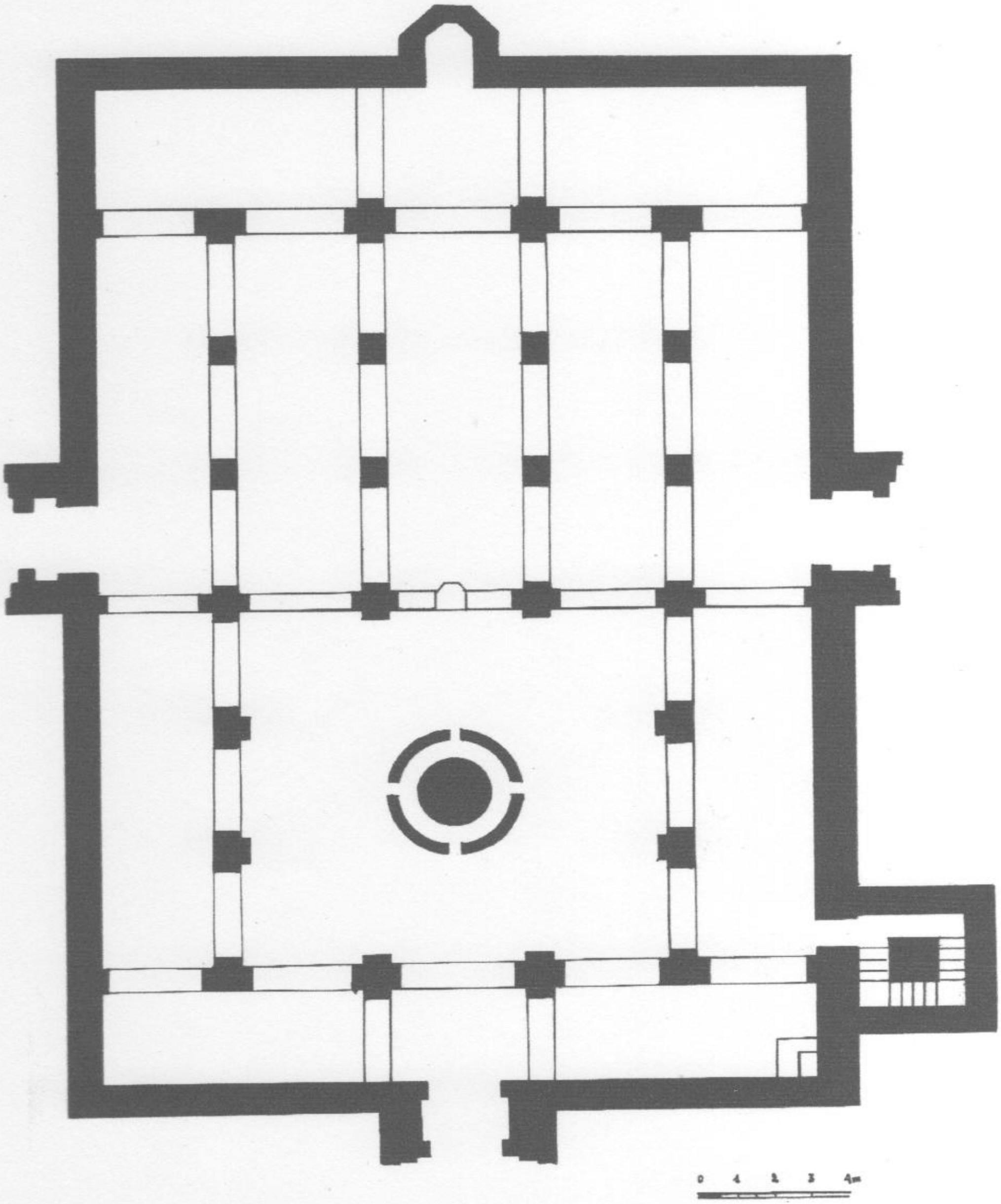
[1] - Marçais,G. L'architecture…,P,42.
[2] - Bourouiba,R. Apports, P, 48.



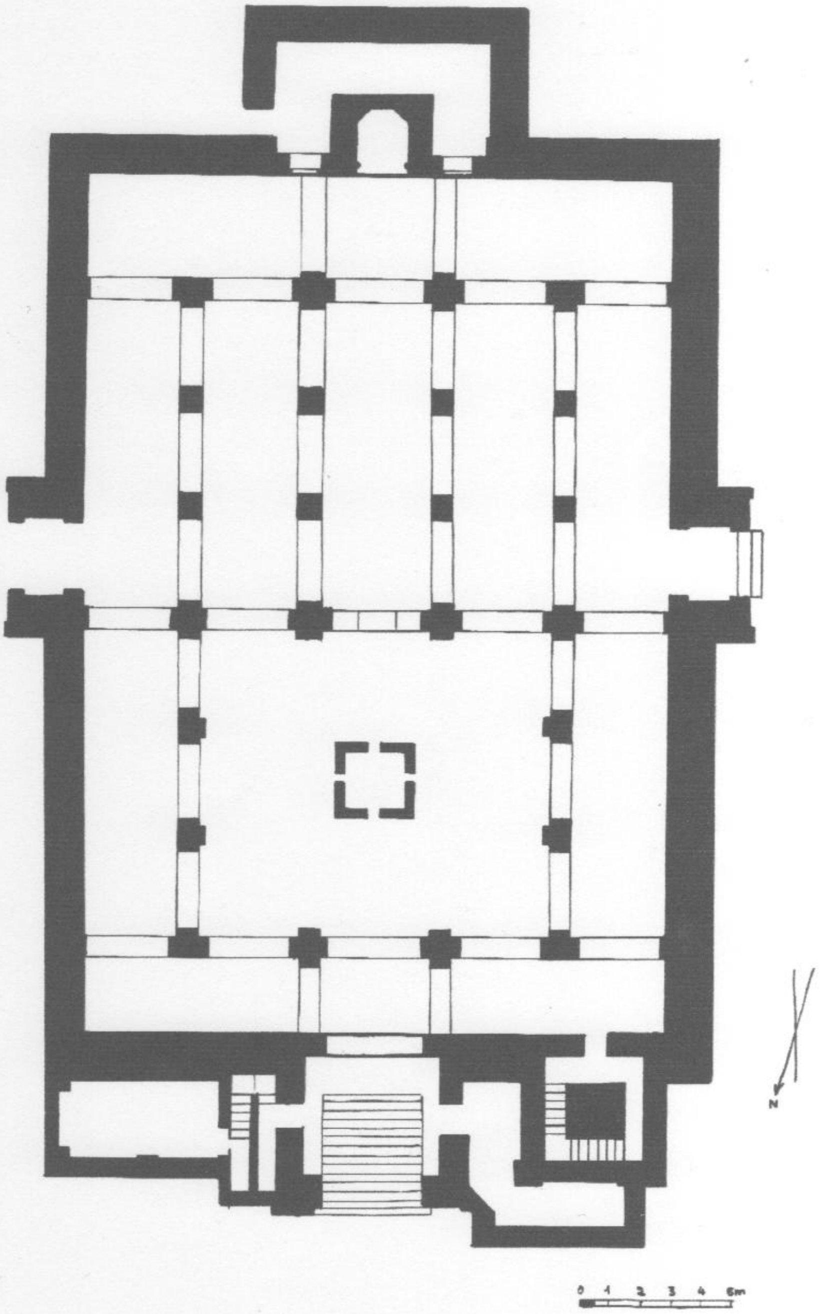
مخطط 7: مسجد سيدي الكتاني، بيت الصلاة (عن بورويبة).



مخطط 8: مسجد سيدي لخضر، بيت الصلاة (عن بورويبة).



مخطط 9: مسجد سيدي إبراهيم (عن بورويبة).




مخطط 10: مسجد سيدي بومدين (عن بورويبة).

الركن الشمالي الغربي وإلى جانبه يوجد مدخل ثان كما يوجد مدخل ثالث يربط بين بيت الصلاة والميضأة. أما النوافذ المفتوحة على الخارج فيصل عددها إلى ثمانية، أربعة تتخال حائط القبلة مربعة الشكل طول ضلعها 1.67م وأربعة أخرى تتخال الحائط الجنوبي أبعادها 1.70 في 1.45م، كما توجد ثلاث نوافذ أخرى اثنان منها ضيقة تفتح على الفناء الحالي للجامع والأخرى كبيرة تفتح على الميضأة لها نفس

أبعاد نوافذ حائط القبلة. ويتوسط محراب حديث حائط القبلة فيما نجد في الزاوية الشمالية الشرقية مقصورة الإمام التي تعتبر من الملحقات الحديثة للمسجد.

والجدير بالذكر أن بيت صلاة جامع محمد بن عثمان حافظ وفق اعتقادنا على تصميمه الأصلي بنسبة كبيرة جدا وهذا بالاعتماد على وصف مقتضب لأحد الكتاب الفرنسيين ومخطط قديم (المخطط 12) أدرجه في مؤلفه يعود إلى السنوات الأولى للاحتلال[1]، فالكاتب يشير إلى أن" شكل المسجد شبه مربع طوله حوالي 23م وعرضه 22م وتقدر مساحته بحوالي 500م2، يتألف من 24 دعامة ذو سطح مستو كانت تقوم في وسطه قبة أزيلت حاليا وأقيم مكانها سقف من الخشب"[2]، ويضيف قائلا:" وعلى بعد أمتار في الركن الشمالي الغربي من الجامع تقوم مئذنة جليلة هي اليوم مصنفة كمعلم تاريخي"[3].

وبناء على ما ذكره الكاتب وما نشاهده على المخطط فإن التغييرات مست أكثر ما مست عناصره المعمارية ومنها القبة التي أزيلت من طرف المحتلين لـ"تهوية" بيت الصلاة التي صار قاعة من قاعات المستشفى العسكري[4]، ويقوم مكانها الآن سقف جمالوني، ومنها كذلك المحراب وبعض المداخل التي تكون قد أضيفت أو سدّت إضافة إلى العقود وحواملها التي نعتقد أنها غير أصلية وعلى أقل تقدير مسّها تغيير كبير، وقد تمّ جانب من التغييرات والإضافات خلال فترة الاحتلال لاسيما حينما

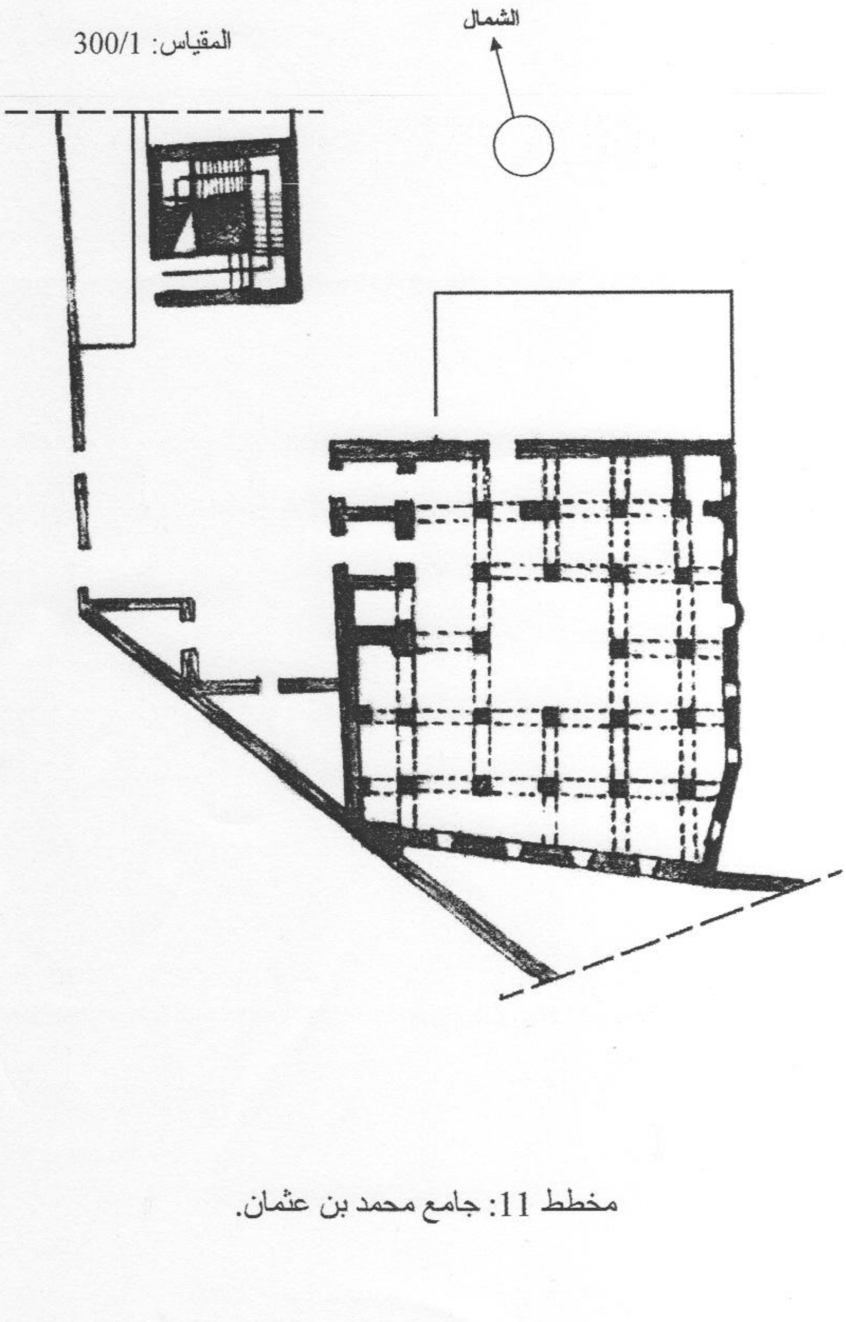
---

1 - كنا نعتقد وإلى وقت قريب جدا على غرار الكثير من الكتاب الذين أشاروا في مؤلفاتهم إلى هذا الجامع أن بيت الصلاة الحالي لا يمت بصلة كبيرة إلى بيت صلاة الجامع الذي بناه الباي محمد الكبير وكدنا نصرف النظر عنه إلا أن هذا الاعتقاد تبدد لحظة الإطلاع على مخطط المستشفى العسكري ، والذي لا يظهر فرقا كبيرا بينه وبين المخطط الحالي لبيت صلاة الجامع، ويبدو أن التغيير لحق أساسا العناصر المعمارية بالرغم من أن سلطات الاحتلال استغلته كقاعة للعلاج مدة طويلة جدا وكيفته حسب متطلباتها.

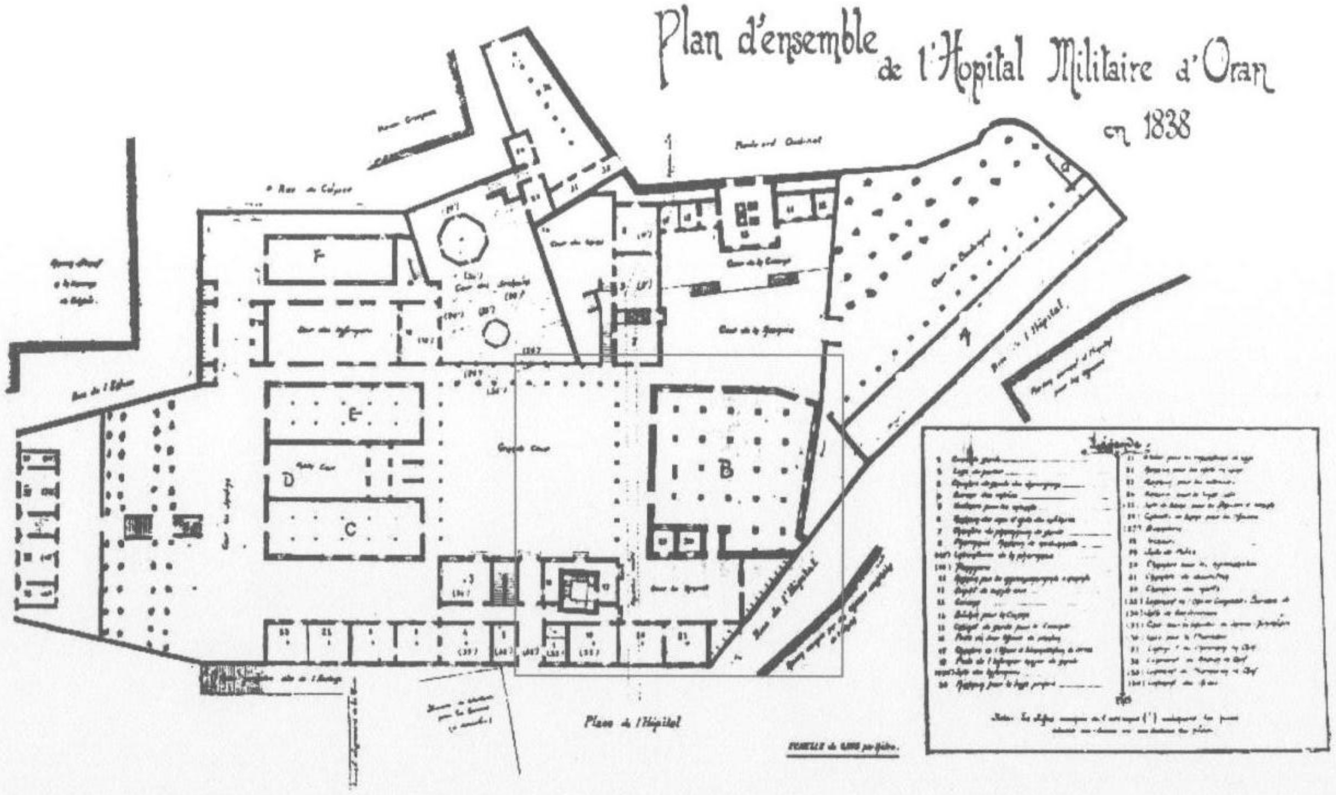
2 - Sandras,G. Les hôpitaux d’Oran, Oran, 1910, P.91.

3 - Sandras,G. Les hôpitaux d’Oran, P.91.

4 - Ibid, P.96.




مخطط 11: جامع محمد بن عثمان.




مخطط 12: المستشفى العسكري (الذي ضمّ جامع محمد بن عثمان) عام 1838م (عن ساندراس).

ألحق بيت الصلاة إلى المستشفى الذي أقيم في الموقع وأصبح بالتالي أكبر قاعاته التي ضمّت 100 سرير علاجي[1]. بينما تمّ الجانب الآخر من هذه التغييرات والإضافات بعد استقلال الجزائر حيث رمم على نحو غير مدروس[2] وأضيفت له بعض الملحقات ومنها مقصورة الإمام والميضأة والمسكن الوظيفي.

ويبدو لنا أن تخطيط جامع محمد بن عثمان الكبير ينتمي إلى الطراز المغربي الأندلسي على غرار مسجد الباي وبالتالي فبيت صلاته يخضع أيضا لنظام التخطيط القائم على الأعمدة وذلك على الرغم من وجود تلك القبة التي لم تكن بذات حجم قباب بعض المساجد التي تعود إلى الفترة العثمانية حيث تشكل فيها القبة المركزية عنصرا جدّ مهم وتأخذ مساحة أوسع من بيت الصلاة وتحيطها قباب من أكثر من جهة.

ومهما يكن، فان الجزائر تنفرد عن باقي البلدان الإسلامية بتنوع مخططات بيوت صلاة مساجدها، حيث نجد بيوت صلاة ذات بلاطات عمودية على جدار القبلة وذات بلاطات موازية وذات بلاطات عمودية وموازية في نفس الوقت، إضافة إلى البيوت ذات القبة المركزية والتي ظهرت خلال الفترة العثمانية[3].

## 4.2 – قبة[4](ضريح) مسجد الباي محمد الكبير: ( الصورة 22).

نصل إلى القبة عبر مدخل يفتح في منتصف جدار القبلة، اتساعه 1.73م وارتفاعه 1.92م يعلوه عقد منكسر متجاوز.

والقبة عبارة عن حجرة مربعة مقاساتها 5.10م X 5.10م، ترتفع عن بيت الصلاة بـ 12سم، مغطاة بقبة مثمنة الأضلاع محمولة على عقود مصمتة منكسرة متجاوزة ترتكز على أربع دعامات مدمجة، لها باب في جدارها الشمالي اتساعه 0.78م وارتفاعه 1.46م متوج بعقد إهليليجي ، يفضي إلى غرفة مجاورة، كما لها – أيضا – أربع نوافذ صغيرة

---

[1] - Sandras,G. Op.Cit. P. 102.

[2] - يبدو أن عملية الترميم والإصلاح التي تمت قبل إعادة فتح الجامع للمصلين تمت بصورة عشوائية، وبدلا من أن تعيد للجامع بعض أصالته شوهت أو طمست ما تبقى من عناصره المعمارية.

[3] - R.Bourouiba, Apports, P.31.

[4] - كلمة قبة مرادفة في البناء الإسلامي لكلمة تربة أو مدفن أو ضريح، خلال العصر العثماني استعملت كلمة تربة للدلالة على المدفن. - لمعي مصطفى صالح، القباب في العمارة الإسلامية، دار النهضة العربية، بيروت، ص، 23.

مستطيلة الشكل تفتح في الأعلى وتحتل الجهات الأربعة، ويتجاوز ارتفاع الغرفة ارتفاع سطح المسجد، وتزدان أضلاع حوائطها الأربع من الخارج بشرّفات مسننة.

وان كانت معظم المدارس في المشرق قد اشتملت على ضريح أو أكثر[1] فان الأمر في المغرب الإسلامي لا يبدو كذلك، وعليه فالمدرسة المغربية ليست بمدارس ضريحية كما يؤكد ذلك مارسي[2]، باستثناء مسجد الباي الذي بني أصلا ليكون مدرسة كما يتبين من النصوص التاريخية[3]، وفي المقابل خلفت لنا مختلف العهود الإسلامية المتأخرة في المغرب الكثير من القباب الضريحية القائمة بذاتها، ومن هذه القباب في الجزائر نذكر قبة سيدي إبراهيم ( 763هـ/1361-1362م ) وقبة سيدي مرزوق التي بناها السلطان يغمراسن وكلاهما يعودان إلى العهد الزياني[4] ، وقبة سيدي بومدين وهي من العهد المريني[5]. ويبدو أن أكثر القباب[6] ترجع إلى الفترة العثمانية وان كان يصعب في الغالب تأريخها[7].

وقبة مسجد الباي لا تختلف في تخطيطها – كما يبدو – عن تصاميم القباب الضريحية[8] الضريحية[8] التي وجدت ببلاد المغرب في عهوده السابقة[9] علما أن أقدم نموذج للعمارة الضريحية عبارة عن قاعة مربعة ذات قبة يفتح باب في واجهاتها الأربعة، هذا النمط يتردد في المشرق كما في المغرب و يبقى "النموذج المخصص للضريح المسلم"[10].

وبالتطرق إلى المساجد الضريحية – التي يمكن أن ندرج مسجد الباي ضمنها – فان الجزائر لا زالت تحتفظ بالكثير منها ومنها في مدينة الجزائر مسجد وضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي المؤرخ في الربع الأول من القرن 12هـ/18م[11]،ومسجد وضريح سيدي محمد بن عبد الرحمن المشهور بسيدي محمد بوقبرين الذي يكون قد بني عام 1206هـ/1792م،وفي وهران مسجد وضريح سيدي الهواري الذي أنشئ عام 1213هـ/1799-1800م

---

[1] - إن موضع الضريح كان ينحصر في أحد أركان المدرسة ولا يقتطع جزء من معتبرا من بناءها. – فكري أحمد، مساجد القاهرة ومدارسها، ص121.

[2] - Marçais,G. l'Architecture…, P.285.

[3] - أنظر:- الزياني، المصدر السابق، ص203.
- المزاري، المصدر السابق، ص294.

[4] - Bourouiba,R. l'Art religieux, PP 130-134.

[5] - Ibid, PP189-191.

[6] - حول أشكال القباب في المغرب الإسلامي أنظر: - Marçais,G. l'Architecture…, Fig., P. 436.

[7] - Marçais,G. l'Architecture…, P436.

[8] - حول القباب الضريحية؛ تخطيطها وتطورها أنظر المرجع نفسه، ص ص 299-301، 435-436.

[9] - Marçais,G. l'Art musulman, Presse universitaires de France, Paris, 1962, P58.

[10] - Ibid, P58.

[11] - Marçais,G. l'Architecture…, P434.

والجدير بالملاحظة أن ما يميز قبة مسجد الباي عن قباب مساجد الجزائر عامة هو احتواءها على ضريح المؤسس نفسه على غرار بعض مساجد تونس التي تعود لنفس الفترة[1].

أما الميزة الثانية – وهي الأهم في اعتقادنا – فتتمثل في أداء القبة لوظيفتين، فمعلوم أن الباي محمد الكبير شيّد هذا المبنى ليكون مدرسة ثم ضريحا له ولأفراد عائلته بعد وفاتهم، وفي عام 1208هـ/1794م حولها إلى مسجد، فالغرفة أصلا – حسب تصورنا – كانت بمثابة قاعة للدرس تتقدم بيت الصلاة مباشرة على غرار الكثير من المدارس خلال الفترة الإسلامية كالمدرسة التاشفينية (المخطط 13) ومدرسة سيدي بومدين (المخطط 14) وبعض المدارس المرينية بالمغرب كمدرسة سلا[2].

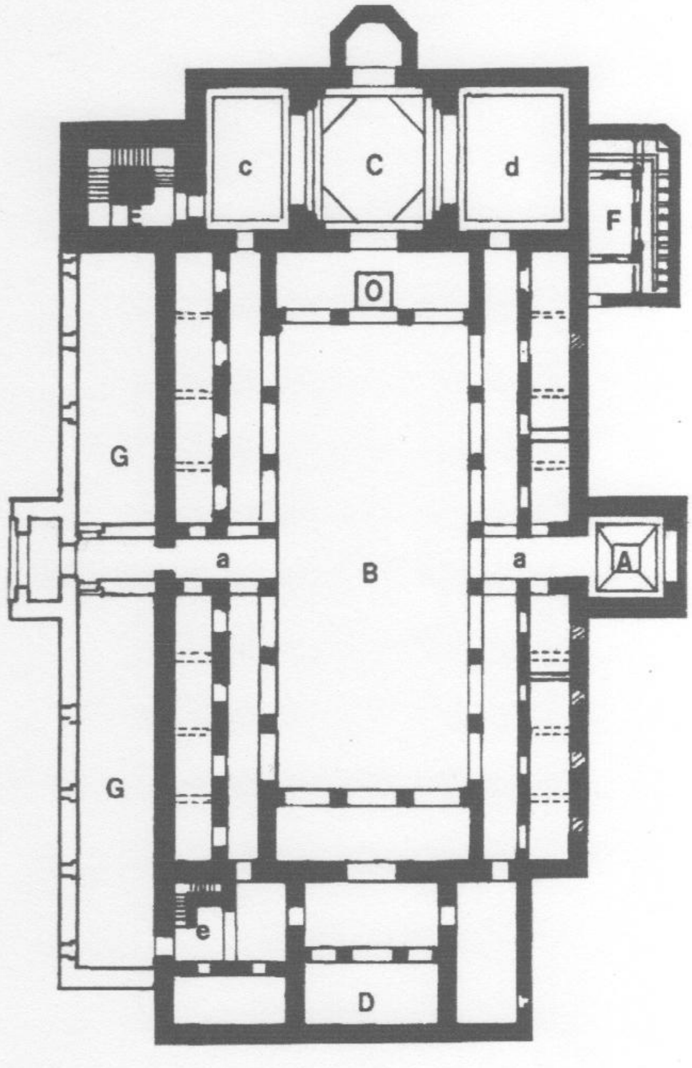
وقد صارت هذه الغرفة (القبة) ضريحا لمؤسسها الباي محمد الكبير ولبعض أفراد عائلته[3]؛ وهي الوظيفة الثانية لها.

واللافت للانتباه أن جميع حجرات المدارس التي أتينا على ذكرها لها محراب في حائطها الجنوبي، أما في مسجد الباي فغير موجود لا في بيت الصلاة ولا في الحجرة التي تتقدمه، ونعتقد أنه كان موجودا في الجدار الجنوبي للحجرة، حيث يغلب الظن أن معالمه طمست في بداية الاحتلال الفرنسي حين حوّل – كما ذكرنا سابقا – إلى

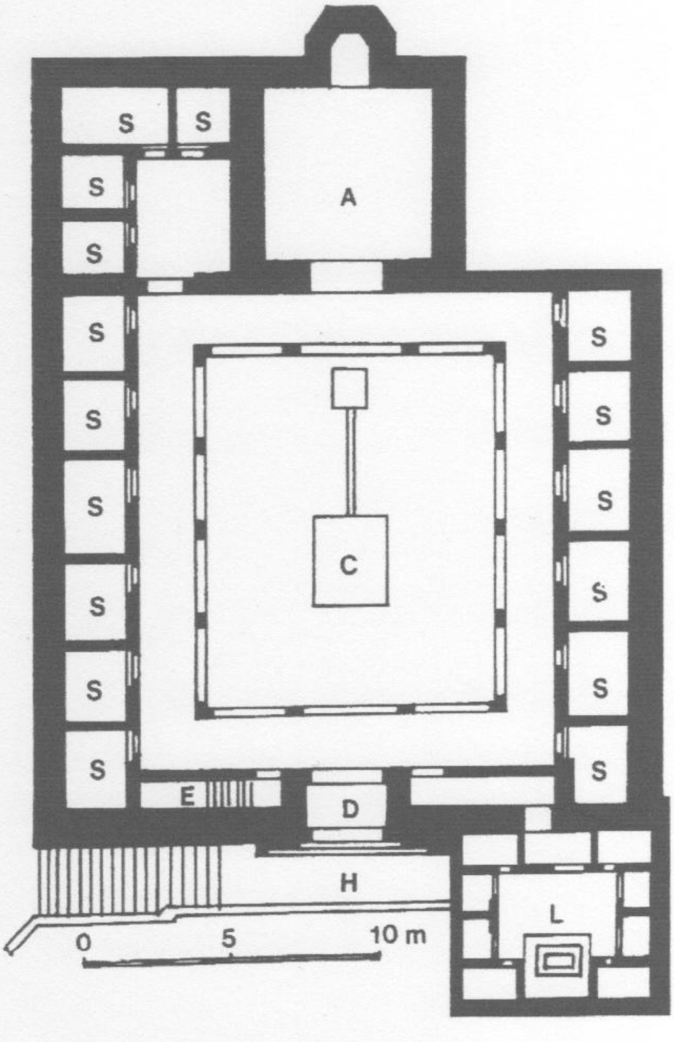
1 - من هذه المساجد نذكر؛ مسجد الداي ومسجد حمودة باشا ومسجد يوسف شهيب، حول الموضوع أنظر المرجع نفسه ص ص 461- 464.

2 - Marçais,G. l'Architecture…, P136, 191, 290.

3 - الأضرحة حاليا غير موجودة وهناك من يزعم أن الرفات نقلت زمن الاحتلال إلى مقبرة بحي رأس العين. أنظر: - بوعزيز يحيى، المساجد العتيقة في في الغرب الجزائري، منشورات A.N.E.P، الطبعة الأولى، الجزائر، 2002، ص57.




مخطط 13: المدرسة التاشفينية بتلمسان (عن كولفان).




مخطط 14: مدرسة سيدي بومدين ( عن كولفان).

حمام للجنود وركّبت تجهيزاته أسفل القبة تماما[1]، فليس من المعقول عدم وجود المحراب في مسجد أو مدرسة وفي فترة متأخرة من العهد الإسلامي؟

ونظرا للتشابه الملموس بين المدرسة والمسجد؛ يقول الأستاذ أحمد فكري:"..أن المدرسة نبعت من المسجد الجامع واحتفظت بصفتها الجامعة هذه وأصبحت لها وظيفتان متلازمتان؛ الدراسة والتدريس."[2] ومع التطور الذي عرفه نظام المدارس منذ القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي أصبح من الصعب الفصل بين عمارة المسجد و المدرسة[3] فهما يشتركان في عناصر رئيسية ثلاث وهي جدار القبلة[4] وبيت الصلاة والصحن المكشوف وقد نضيف إليها عنصرا رابعا مشتركا وهو المجنبات والمؤخر التي تحيط بالصحن[5].

والمدرسة عموما تخضع لنفس التصميم والتوزيع في المشرق كما في المغرب؛ فهي تضم بيتا للصلاة وصحنا مركزيا مكشوفا وبيوتا للطلبة[6]. كما ضمت العديد من المدارس ضريحا أو أكثر، وأصبحت الظاهرة متبعة في جميع البلاد الإسلامية[7]، إلا أننا ننوه أن المدرسة المغربية يختفي فيها الإيوان تماما باستثناء تونس التي تمدنا بالنموذج الوحيد للمدرسة ذات الإيوان المفتوح على الصحن وفق النمط المصري[8].

وقد نشأت المدارس الأولى بخرسان عام 1000م ثم انتشرت في المدن الرئيسية بإيران لتظهر بعد ذلك ببغداد سنة 459هـ/1067م[9]. وحسب أحمد فكري فان المدارس نشأت بنيسابور، ويرجع تاريخ أقدمها إلى ما قبل سنة 406هـ/1015م ثم انتشرت بعد ذلك في العراق وخراسان والشام، إلا أن معظم هذه المدارس اندثرت[10].

أما في المغرب والأندلس فقد ظهرت في نهاية العهد الموحدي ؛ أي –تقريبا – في نفس فترة ظهورها بمصر، ثم انتشرت خلال الفترة المرينية[11].

---

1 - Marial,W. Op.Cit, P53.

2 - فكري أحمد، مساجد القاهرة ومدارسها ، الجزء الثاني، ص72.

3 - محمد رزق عاصم، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي،الطبعة الأولى، القاهرة، 2000، ص273.

4 - يعتبر حائط القبلة عند الأستاذ أحمد فكري قاعدة التخطيط ومحور المسجد. أنظر: أحمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها، الجزء الثاني، ص183.

5 - يقول أحمد فكري:" وان كان تخطيط المدرسة قد احتفظ بثلاثة من العناصر الرئيسية لتخطيط المسجد الجامع فإننا نلاحظ أن العنصر الرابع وهو عنصر المجنبات والمؤخر قد تطور في تخطيط المدرسة".- أحمد فكري، المرجع السابق، ص185.

6 - Marçais,G. l'Architecture…, P.285.

7 - فكري أحمد، المرجع السابق،ص121.

8 - Marçais,G. l'Art musulman, P.128.

9 - Golvin,L. La Madrasa médiévale, Edisud, France, 1995, P.20.

10 - فكري أحمد، المرجع السابق، ص99، 100.

11 - حول الموضوع أنظر: - زكي أحمد، فنون الإسلام، ص113.

وأما المدرسة الضريح[1] فلم تنتشر ببلاد المغرب كما انتشرت بالمشرق، وقد أحصى الأستاذ كولفان نموذجين منها فقط؛ واحدا في الجزائر ممثلا في المدرسة التاشفينية وآخر بتونس[2].

ومع ذلك فان بعض المدارس التي بنيت أثناء الفترة العثمانية في الجزائر اشتملت على ضريح لمؤسسها ومنها مدرسة سيدي الكتاني (1189هـ/1775م) التي بناها صالح باي ومدرسة مازونة التي أسسها سيدي محمد بن الشارف عام 1029هـ.

## 5.2 – محراب جامع الباشا: (الصورة 24).

لم يبق من بين محاريب المساجد الثلاثة سوى محراب جامع الباشا الذي حافظ على الكثير من أصالته[3]. يتوسط هذا المحراب حائط القبلة ويتكون من حنية غائرة على شكل خماسي غير منتظم يقدر عمقه بـ2.10م بينما يقدر عرضه بـ2.25م، يعلو حنيته قبيبة قائمة على قاعدة ثمانية الأضلاع عاطلة عن الزخرفة، يفصل بينهما طنف قليل البروز ذي خطوط مستقيمة، يكتنف الحنية عمودان رخاميان غير مندمجين تماما يحملان عقدا منكسرا متجاوزا أكثر انغلاقا.

والمؤكد أن الزخرفة الأصلية للمحراب طمست تماما واستبدلت بمربعات خزفية حديثة، ولم يبق منها إلا الشمسيات الثلاثة المخرمة التي تعلو إطاره والمصنوعة – كما يبدو – من مادة الجص.

ويتشابه محراب جامع الباشا بصفة خاصة مع المحاريب الزيانية والمرينية بتلمسان في تكوينه المعماري، هذه المحاريب تتخذ شكلا خماسي الأضلاع تغطيها قبيبة، ويكتنف كل محراب عمودان[4] ولا يبدو الاختلاف إلا في شكل العقد والزخرفة.

ومعلوم أن المحراب الذي اتخذ تجويفه شكلا خماسي الأضلاع ظهر لأول مرة في العمارة الإسلامية بجامع تلمسان الذي يعتبر من أجمل محاريب العهد المرابطي لاسيما وأنه

---

Marçais,G. l'Art en Algérie, P.93. -

[1] - يعتقد مارسي أن المدارس المغربية ليست بمدارس ضريحية نظرا لعدم احتواءها على ضريح ويبدو لنا أنه لا يمكن تعميم هذه القاعدة على كل المدارس. أنظر:- Marçais,G. l'Architecture…, P.285.

[2] - Golvin,L. La Madrasa…, P.303.

[3] - نذكر في هذا الخصوص أن محراب جامع محمد بن عثمان الحالي غير أصيل (الصورة 25).

[4] - عن المحاريب الزيانية والمرينية أنظر: - مطروح أم الخير، تطور المحراب في عمارة المغرب الأوسط خلال العصر الإسلامي، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1994، ص ص86-117. وحول المحاريب المرينية بصفة خاصة أنظر: - عبد العزيز لعرج، المباني المرينية، ص ص 534-546.

ما يزال محافظا على شكله الأول[1] ومنه استمدت الكثير من المحاريب في بلادنا – على وجه الخصوص – شكلها في العهود التي تلت؛ بما في ذلك العهد العثماني.

والجدير بالملاحظة أن المحراب ذو التجويف المضلع[2] عرفته مساجد عديدة منها جامع القيروان وجامع قرطبة ومسجد تنس. وفي المشرق جامع واسط وجامع سامرا وجامع أبي داف وجامع ابن طولون[3].

ويعتبر محراب جامع القيروان أقدم المحاريب المجوفة في العالم الإسلامي[4]، وكان تأثيره عميقا في تطور المحاريب المغربية على وجه الخصوص وبدا ذلك التأثير أقوى على محراب جامع قرطبة[5].

وكان الهدف من عمل المحراب المجوف يتمثل في دخول الإمام فيه وفي تضخيم الصوت وفي تحديد القبلة[6]، وعليه فان السبب الوظيفي هو الذي يكون قد دفع المسلمين في صدر الإسلام إلى بناء المحاريب مجوفة[7].

والى جانب جامع الباشا عرفت العديد من المساجد في الفترة العثمانية بمحاريبها خماسية الأضلاع ومنها جامع علي بتشين بالجزائر ومسجد صالح باي بعنابة[8].

كما كان للعديد من محاريب المساجد في نفس الفترة ذات العقد الذي يكتنف محراب جامع الباشا وهو المنكسر المتجاوز. ومن جملة هذه المساجد نذكر جامع كتشاوة وعلي خوجة وسيدي عبد الرحمن والقصبة البراني إضافة إلى مسجد سيدي محمد الشريف بمازونة وجامع تيوقرت[9].

وإن كنا لا نعرف على وجه الدقة نوع الزخرفة التي كانت تكسو حنية المحراب ووجهه الخارجي نتيجة فقدانها، وهل هي زخرفة جصية على غرار الجامع الجديد بمدينة الجزائر وجامع المبايعة بمعسكر؟ أم عبارة عن مربعات خزفية على غرار جامع صفر

---

[1] - مطروح أم الخير ، المرجع السابق، ص ص64-66.

[2] - إلى جانب المحراب ذو التجويف المضلع عرف العالم الإسلامي أيضا المحاريب ذات التجويف نصف الدائري والذي يبدو أنه الأكثر استعمالا في بلاد المشرق والجزء الشرقي من المغرب الإسلامي. أنظر: - Golvin,L. Essai…, T.1, P.120.
- Bourouiba,R. L'Art religieux, P.79.

[3] - مطروح أم الخير، المرجع السابق، ص162.

[4] - نفسه، ص36.

[5] - فكري أحمد، المسجد الجامع بالقيروان، مطبعة المعارف، القاهرة،1983م، ص58-59.

[6] - مطروح أم الخير، المرجع السابق، ص13.
- محمد عاصم رزق، المعجم، ص263.

[7] - مطروح أم الخير، المرجع السابق، ص12.

[8] - Bourouiba,R. Apports, P148.

[9] - Ibid, P.176.

ومسجد سيدي عبد الرحمن ومسجدي القصبة[1]؟ فإننا نميل إلى الاحتمال الثاني لاسيما إذا علمنا أن وجه القبة التي تتقدم المحراب مكسوة بقطع من البلاطات الخزفية، فليس من المعقول استعمال نوعين أو مادتين من الزخرفة في موضع واحد لما قد يحدثاه من تنافر وعدم انسجام[2].

## 6.2 – المآذن:

تعتبر المئذنة أهم عناصر المسجد - إضافة إلى بيت الصلاة والصحن والمحراب - وتمثل دورها الأساسي- عموما – في النداء إلى الصلاة، وقد أعطت للمسجد طابعا جد مميز، بل كان" لها معنى ومغزى أوسع من مجرد رمز للحضور، ونادرة جدا هي الحالات التي يخلو فيها مسجد من مئذنة"[3].

وتعدّ المئذنة الجزء الأكثر مقاومة في المساجد والأكثر اهتماما من طرف المعمار المسلم، حيث اختفت الكثير من المساجد واندثرت بينما ظلت مآذنها قائمة كما هو الشأن بالنسبة لجوامع القلعة وأغادير والمنصورة[4] إضافة إلى جامع محمد بن عثمان الكبير بوهران.

وتنوعت أشكال المآذن وتعددت طوابقها حسب المناطق والفترات، كما اختلف موقع بناءها – أيضا – بين مسجد وآخر، وقد بقت الجزائر (المغرب الأوسط) وفية للتقاليد المعمارية المغربية الأندلسية فيما يخص نظام المآذن ذات المسقط المربع إلى غاية الفترة العثمانية حيث استخدمت المآذن ذات المسقط المضلع لأول مرة[5]، وتجلت في جامع الباشا بوهران وجامع المبايعة بمعسكر وجامع سيدي لخضر بقسنطينة ومسجد لالّا ريّا بتلمسان، إضافة إلى بعض مساجد مدينة الجزائر ومنها جامع سفر ومسجد القصبة.

وكانت المآذن ببلاد المغرب والأندلس مربعة لفترة طويلة حيث فرض هذا الشكل وجوده مبعدا جميع الأشكال الأخرى الذي يبدو أنه مستوحى من جامع دمشق[6]. وقد نفى

---

1 - Dokali,R. Op. Cit., P.50

2 - نذكر بهذا الخصوص أن زخرفة محراب مسجد المبايعة بمعسكر منفذة على الجص وكذلك القبة التي تتقدمه.

3 - Grabar,O. La formation de l'Art islamique, traduit de l'Anglais par Yves Thoraval, Flammarion, Paris, 2000,P.163,166

4 - Marçais,G. L'Art en Algérie, P.99.

5 - Marçais,G. L'art musulman, P.162.

6 - Marçais,G. L'Architecture…, P.209.

الأستاذ أحمد فكري أن تكون المئذنة مستمدة من الأبراج السورية المسيحية مفندا رأي الكثير من الباحثين المستشرقين ومن بينهم الأستاذ مارسي حيث يقول:"ما أشدّ الفرق بينهما وما أكثر اختلاف قيمتهما الفنية، بينما تظهر هذه الأبراج في هيئة الجمود وتخلو من مظهر الاتزان، نرى مئذنة القيروان ترسم في الفضاء كتلة واحدة تجمع بين الانسجام والاتزان"[1].

ومن هذه المآذن الجديرة بالذكر في المغرب والأندلس؛ مئذنة جامع القيروان التي تعتبر أقدم مئذنة في المغرب الإسلامي[2]. بنيت في النصف الأول من القرن 2هـ/8م[3]، ذات مسقط مربع، تتكون من ثلاثة طوابق، وقد أصبحت هذه المئذنة مثالا يحتذى في بلاد المغرب والأندلس[4].

وعموما فان المآذن في الجزائر خلال الفترة العثمانية تعددت أشكالها، فنجد المئذنة المربعة والمئذنة المضلعة والمئذنة المركبة[5]. وينبغي الإشارة هنا أن موقع المئذنة في مساجد الجزائر خلال هذا العهد – وعلى غرار الكثير من المساجد في بلاد المغرب والأندلس – لم يخضع لأية قاعدة[6]، بل كانت تقوم في الموضع الذي يراه المعمار مناسبا ووفق المساحة المتاحة.

وكانت هذه المآذن تتكون من طابقين ويعلو الجوسق قبيبة يتوجها سفود بارز تركب فيه كرات معدنية، ويصعد إلى قمتها عبر درج صاعد يلتف حول دعامة مركزية مصمتة[7]، وتغطي كل مقطع من الدرج الصاعد سلسلة من الأقبية البرميلية، بنيت في الجزء السفلي بشكل جيد ومشكلة عند الزوايا – بتقاطعها – أقبية متقاطعة[8].

---

1 - فكري أحمد، المسجد الجامع بالقيروان، ص111.

2 - يعتقد الأستاذ صالح بن قربة أن تكون مئذنة جامع القيروان قد بنيت مابين سنتي 105 و121هـ/724 و729م، ويضيف أنه " إذا سلمنا بهذا التاريخ فان مئذنة جامع القيروان تعدّ أقدم المآذن الإسلامية الباقية". - بن قربة صالح، المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص33.

3 - عزوق عبد الكريم، تطور نظام المآذن في المغرب الأوسط، رسالة ماجستير، جامعة الإسكندرية، 1991م،ص23.

4 - Golvin,L. Essai…, T.1, P.50.

5 - عن مآذن الفترة العثمانية بالجزائر وأشكالها المعمارية أنظر: - عزوق عبد الكريم ، تطور نظام المآذن في المغرب الأوسط، الفصل الرابع.

6 - عزوق عبد الكريم، المرجع السابق، ص129.

- Dokali,R. Op.Cit., P.41.

7 - عزوق عبد الكريم، المرجع السابق، 129-130.

8 - Golvin,L. Essai…, T.1, P51.

### 1.6.2 – مئذنة جامع الباشا: (المخطط 15-الصورة 26 و27).

تقوم في الركن الجنوبي الشرقي للجامع بعيدة بأمتار عن بيت الصلاة، ذات مسقط أفقي مثمن الشكل طول ضلع قاعدتها 1.40م ويبلغ ارتفاعها 34م[1]، ويتراوح سمك حوائطها ما بين 50سم و86سم و"نفذ بناء هذه المئذنة وفق طراز معماري جديد غير مألوف في العمارة الجزائرية الإسلامية من قبل، بل ابتكار عثماني في العمارة الجزائرية "[2]. وقد ظهرت هذه المآذن المضلعة بالجزائر، كما اشتهرت بها الكثير من مساجد تونس وقد عرفت اليمن في العصر العثماني نماذج عديدة تشبه هذا الطراز الذي شاع في بلاد فارس قبل القرن الخامس الهجري[3].

نصل إلى داخل مئذنة جامع الباشا عبر باب اتساعه 1م وارتفاعه 2.03م تواجهه نواة مركزية على هيئة دعامة شبه مربعة مساحتها 1.80 X 1.66م، يلتف حولها درج صاعد عدد درجاته 147 درجة عرض كل منها 80سم، كل دورة (إنعطاف) تشتمل على 6 درجات، ثم يتغير فيها هذا النظام الى5 درجات وفي الدورة الأخيرة نجد 9 درجات.

الدرج مغطى بأقبية نصف أسطوانية تتحول في الأركان إلى أقبية متقاطعة على غرار معظم المآذن الإسلامية، ويوجد أعلى كل بسطة فتحة صغيرة للإضاءة والتهوية. نصل عبر هذا الدرج الصاعد إلى سطح البرج الرئيسي من باب اتساعه 0.62م وارتفاعه 1.71م. هذا السطح محاط حاليا بسياج معدني حديث، يتوسطه جوسق ذو مسقط مثمن طول ضلعه 0.80م وارتفاعه 6.30م، أوجهه الثمانية مزدانة في نصفها العلوي بشريط من المربعات الخزفية.

غطي الجوسق بقبيبة مضلعة ذات أخاديد ثبت في أعلاها سفود ذي ثلاث تفافيح من البرونز ينتهي بهلال. ونذكر هنا أن الممشى الذي يلتف حول الجوسق اتساعه 1.50م.

تغطي أوجه البرج الرئيسي الثمانية زخارف متشابهة قوامها عناصر معمارية وهندسية بسيطة تتوزع على خمسة قطاعات زخرفية، القطاع الأول لا يظهر منه إلا وجه واحد فقط لاحتجاب باقي الأوجه خلف البنايات الملتصقة بالمئذنة.

[1] - ذكر البعض ومنهم الأستاذ بورويبة أن طول المئذنة هو 32م إلا أنه بعد التدقيق في القياسات تبين لنا أن طولها هو 34م وهي تعدّ ثاني أعلى مئذنة في الجزائر بعد مئذنة جامع المنصورة البالغ علوها 38م. –.Bourouiba, R. Apports, P.274

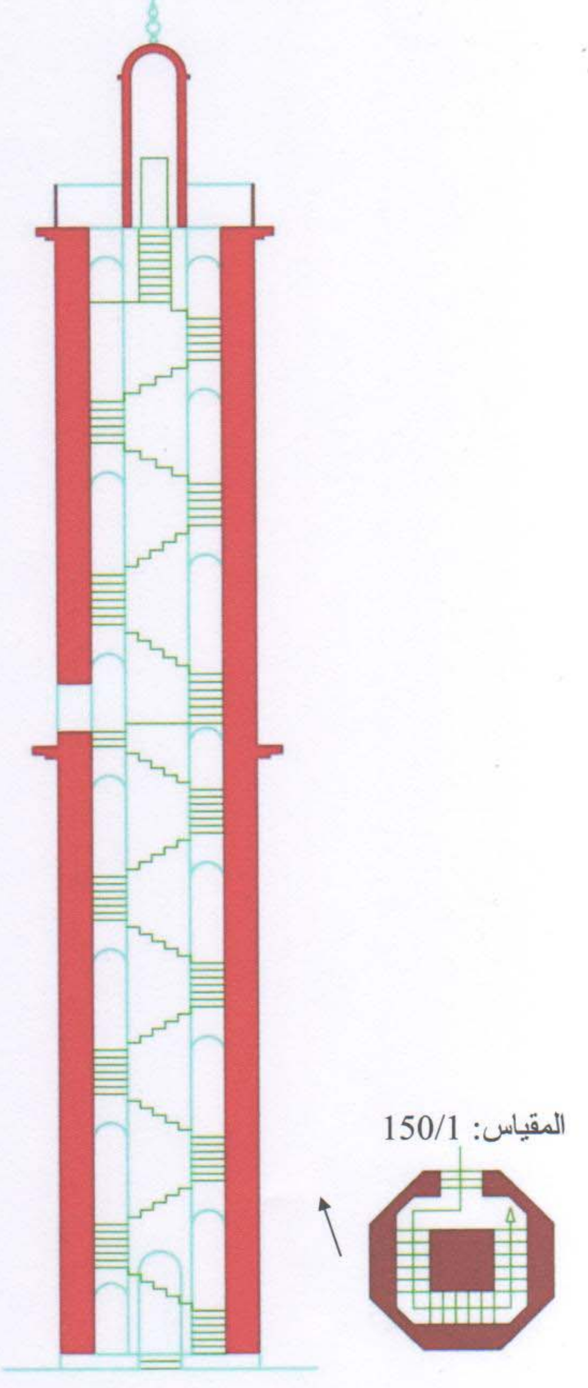
[2] - عزوق عبد الكريم، المرجع السابق، ص134.

[3] - زكي محمد حسن، فنون الإسلام، ص149.

كل واجهة من القطاع يشغلها نطاق (حشوة) مستطيل غائر قليلا عن وجه المئذنة قوامه عقد مصمت نصف دائري ذو فصوص متراكبة (متقاطعة) يعلوه شريط من البلاطات الخزفية، أما القطاع الخامس فمتوج في أعلاه بشريط من البلاطات أكثر عرضا، ويفصل بين القطاع الثالث والقطاع الرابع طنف بارز يقسم البرج الرئيسي ظاهريا إلى قسمين، عرض هذا الطنف يقدر بـ 70سم مما يجعل المئذنة تبدو وكأنها مكونة من ثلاثة طوابق. وعموما فان المآذن ذات الطابقين هي الأكثر شيوعا في الجزائر خلال عهودها المتلاحقة[1] بما في ذلك العهد العثماني[2]، علما بأن أول مئذنة ظهرت بالمغرب الإسلامي كانت تتكون من ثلاثة طوابق وهي مئذنة جامع القيروان.

[1] - Bourouiba,R. Apports, P.273.

[2] - عزوق عبد الكريم، مرجع سابق، ص129.




مخطط 15: مئذنة جامع الباشا، مقطع طولي وعرضي.

(عن الطالب).

**2.6.2 – مئذنة مسجد الباي محمد الكبير:** (المخطط 16-الصورة 28 و29).

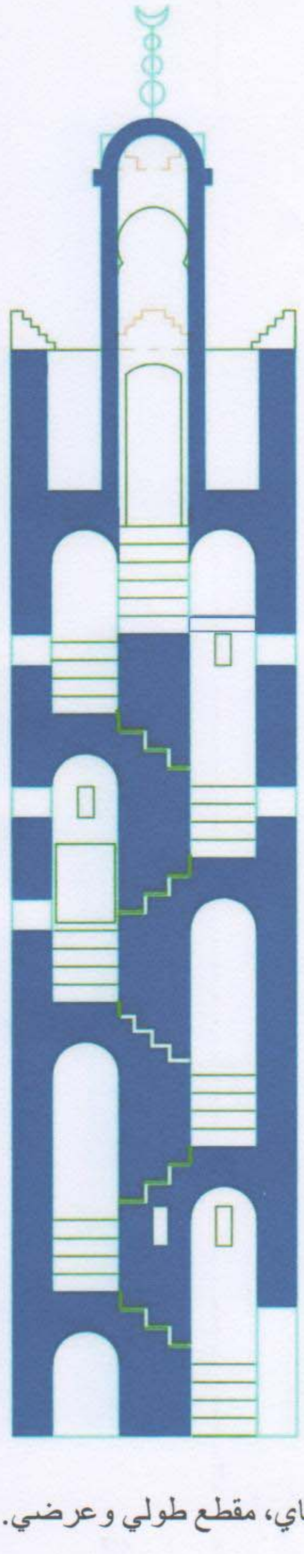
تقع هذه المئذنة في الركن الجنوبي الشرقي من المسجد وهي على طراز المآذن المغربية الأندلسية، ذات مسقط مربع، يبلغ طول ضلع قاعدتها من الخارج 3.5م ويبلغ سمك جدرانها 0.5م بينما يصل ارتفاعها إلى 19م، عند الدخول إليها تواجهنا نواة مركزية عبارة عن دعامة مربعة صماء طول ضلعها 0.95م، يوجد على يسارها غرفة صغيرة مستطيلة الشكل على غرار غرفة مئذنة جامع الباشا يغطيها قبو نصف أسطواني.

نصل إلى جوسق المئذنة عبر درج صاعد يلتف حول النواة المركزية يتكون من53 درجة و13 دورة (انعطاف)، كل دورة تشتمل على أربع درجات ما عدا الدورتين الخامسة والسادسة اللتان تتضمنان خمس درجات والدورة الأخيرة التي تتضمن ست درجات. والدورات مغطاة بأقبية نصف أسطوانية تتحول عند الأركان إلى أقبية متقاطعة، تضاء هذه الدورات من خلال فتحات مستطيلة ضيقة تأخذ من الخارج شكلا زخرفيا داخل العقود الزخرفية.

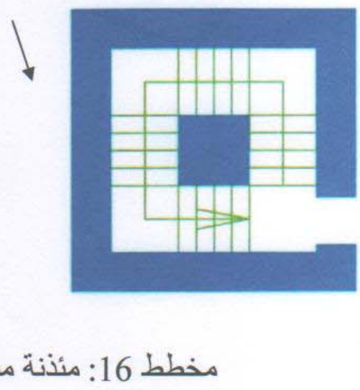
نصل إلى سطح البرج الرئيسي عبر باب معقود بعقدين موتورين متراكبين، ويقوم وسط السطح الجوسق، وهو مربع الشكل طول ضلعه 1.43م تغطيه قبيبة ثمانية الأضلاع ينتصب في أعلاها سفود ذي ثلاث تفافيح كبيرة من البرونز يعلوها هلال.

تزدان واجهات الجوسق الأربعة في الأعلى بشريط من البلاطات الخزفية مكون من ثلاث صفوف أفقية يعلوها طنف بارز، في حين تتوج الجدران بشرّفات تحتل الأركان.

ويتكون البرج الرئيسي من حيث الزخارف من الواجهات الأربعة التي تنقسم إلى أربعة قطاعات، الأول منها خال تماما من الزخرفة، أما باقي القطاعات فزخارفها بسيطة، القطاع الأول عبارة عن عقدين مفصصين والقطاع الأوسط متوج تارة بعقدين ذو شرفة وتارة بعقدين مقرنصين أما القطاع الثالث فمزدان بثلاثة عقود ذات



المقياس: 80/1



مخطط 16: مئذنة مسجد الباي، مقطع طولي وعرضي.

عن الطالب

خمسة فصوص، ويفصل بين هذه القطاعات طنف بارز، وينتهي البرج بشرّفات مسننة؛ أربعة توجد في الأركان وأربعة توجد في منتصف الأضلاع.

نفذ بناء هذه المئذنة وفق طراز معماري مألوف انتشر في بلاد المغرب والأندلس والذي يكون قد انتقل إليها من جامع دمشق عبر القيروان. واستمر العمل به لقرون عديدة إلى غاية بداية العهد العثماني حيث أخذت في الظهور طرز جديدة[1]. ومن أمثلة المآذن ذات المسقط المربع العائدة للفترة العثمانية نذكر مآذن كل من مسجد علي بتشين والجامع الجديد ومسجد القصبة البراني وجامع معسكر إضافة إلى جامع محمد بن عثمان الكبير ومسجد سيدي الهواري بوهران.

إن المئذنة المربعة في الجزائر خلال العهد العثماني لم تكن تختلف في نظامها المعماري عن مآذن الزيانيين و المرينيين على الخصوص، إذ كانت تتكون من برج رئيسي وجوسق متوج بقبيبة مثبت فوقها سفود يحمل تفافيح.

أما من حيث زخرفة واجهات مئذنة مسجد الباي فان التأثير الزياني والمريني لا يكاد يخفى على العيان، لاسيما من حيث استخدام العقود المفصصة، إلا أن هذا التأثير جاء محدودا.

### 3.6.2 – مئذنة جامع محمد بن عثمان الكبير: (المخطط 17-الصورة 30 و31 و32).

تحتل المئذنة الجهة الشمالية الغربية من المسجد وتتشابه من حيث شكلها ونظامها المعماري مع المآذن المغربية الأندلسية عامة والمآذن الزيانية والمرينية خاصة، لها شكل مربع، طول ضلع قاعدتها 6م وسمك جدرانها 0.50م ويصل ارتفاعها إلى 30م، تتكون من طابقين ؛ البرج الرئيسي والجوسق.

يبلغ ارتفاع البرج الرئيسي 23.60م، له أربعة وجوه تزخر بالزخارف المتنوعة والتي يمكن تقسيمها إلى أربعة قطاعات زخرفية، القطاع الأول عبارة عن حشوة مربعة قوام زخارفها شبكة من المعينات المتضافرة محصورة بين عقدين مقرنصين من ستة رؤوس، أما بنيقة العقدين في الواجهة الجنوبية فقوام زخارفها عبارة عن مربع مكون من 16 رأس

---

[1] - جميع مآذن المساجد السابقة للفترة العثمانية- تقريبا- ذات مسقط مربع، لمزيد من التفاصيل أنظر:- بن قربة صالح ، المئذنة المغربية الأندلسية و- عزوق عبد الكريم ، تطور نظام المآذن في المغرب الأوسط.

تتوسطه وريدة ذات 16 فصا وفي الواجهة الشرقية نجد نجمة سداسية الرؤوس[1] تتوسطها وريدة من سبعة فصوص، بينما تحتل الكتابة التذكارية المرصعة على لوحة رخامية بطن الحشوة بالواجهة الجنوبية[2].

أما القطاع الثاني فهو عبارة – أيضا – عن حشوة مربعة يتوسطها في الواجهة الجنوبية عقد مفصص على شكل عقد منكسر متجاوز وفي الواجهة الشرقية عقد مفصص مشكل من عقود ذات الشرفة، ونلاحظ أن جميع حشوات القطاعين مؤطرة من ثلاثة جوانب بشريط من البلاطات الخزفية مكون من صفين، وهذا النوع من الزخرفة نجد ما يشابهه – تقريبا – في مئذنة سيدي الحلوي[3].

والقطاع الثالث عبارة عن حشوة غائرة مستطيلة الشكل مؤثثة بشبكة من المعينات تستند على عدة عقود، ويبدو أن المعماريين الذين شيّدوا مساجد الجزائر جلبوا الكثير من التنوع في عدد العقود التي تسند شبكة المعينات[4]؛ ففي الواجهة الشرقية حملت شبكة المعينات على عقدين من تسعة فصوص يرتكزان على عمود رشيق من الحجر، أما في الواجهة الشمالية والجنوبية فقد حملت على عقدين مقرنصين من ثلاثة رؤوس يرتكزان على عمود من نفس شكل وحجم العمود السابق، وفي الواجهة الغربية حملت على أربعة عقود ثلاثية الفصوص تقوم على أعمدة ذات قواعد مربعة ودون تيجان.

أما القطاع الرابع فهو عبارة عن حشوة مستطيلة غائرة قوام زخارفها أربعة عقود تتشكل من تسعة فصوص تسندها ثلاثة أعمدة حجرية رفيعة.

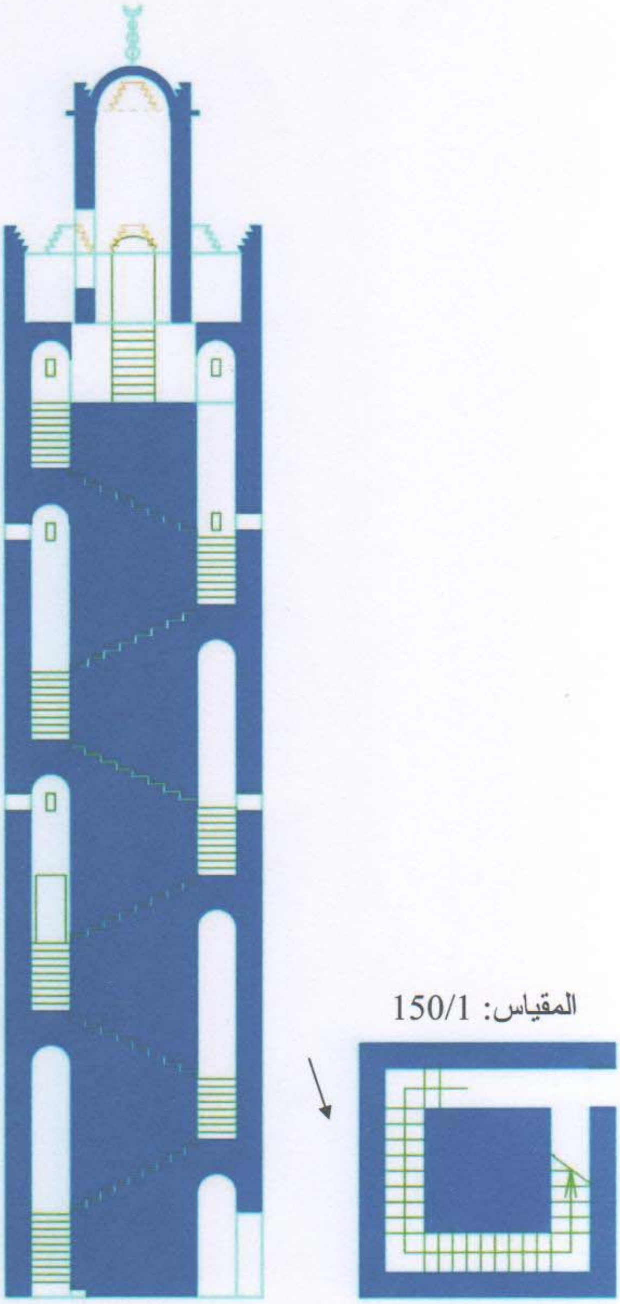
يفتح باب المئذنة في الضلع الغربي اتساعه 1م وعلوه 2م، يقابله مباشرة الدرج الصاعد الذي يلتف حول النواة المركزية وهي عبارة عن دعامة مربعة صماء طول

[1] - نشير إلى أن النجمة الموجودة على اليمين أزيل أحد رؤوسها بينما التي على اليسار أزيل رأسان من رؤوسها، ويبدو ذلك راجع لاعتبارات معينة (صورة 79).

[2] - نلاحظ حاليا أن قطاع الواجهة الشمالية وقطاع الواجهة الغربية محجوبان بسبب البناء الملاصق للمئذنة.

[3] - أنظر: - Bourouiba,R. Apports, P.304.

[4] - Ibid, P296.




مخطط 17: مئذنة جامع محمد بن عثمان، مقطع طولي وعرضي.

(عن الطالب)

ضلع قاعدتها 1.50م، نجد إلى يسارها غرفة مستطيلة يغطيها قبو نصف أسطواني ناتج بالضرورة عن التركيب المعماري للمئذنة قد يستغل كمخزن.

يتكون السلم الصاعد من 128 درجة و15 دورة، تتضمن الدورة الأولى درجتين، أما باقي الدورات فتتكون من 9 درجات باستثناء الدورة الثالثة التي تتكون من 10 درجات والدورة الخامسة التي تتكون من 8 درجات، وكلها مغطاة بأقبية نصف أسطوانية تتحول في الأركان إلى أقبية متقاطعة، كما هو الشأن في مئذنة جامع الباشا ومئذنة مسجد الباي ومعظم المآذن المغربية الأندلسية.

أضيئت الدورات بفتحات مستطيلة ضيقة احتلت الأركان بلغ عددها ثمانية، وتجدر الإشارة إلى وجود باب ضيق عند الدورة السادسة بالجدار الشمالي يفضي إلى سطح المبنى الملاصق للمئذنة. ويقابل الدورة الأخيرة إلى اليمين غرفة مستطيلة، وننفذ إلى سطح البرج الرئيسي عبر باب معقود بعقد نصف دائري، ولهذا السطح ممشى ملتف اتساعه 1.22م محاط بجدار سمكه 0.45م وارتفاعه 1.66م ينتهي بشرّفات مسننة- على غرار شرّفات مئذنة مسجد سيدي بومدين – عددها أربعة في كل ضلع.

أما زخارفه فهي عبارة عن حشوات مستطيلة قوامها تشبيكة من المعينات قائمة على عقد من تسعة فصوص في الواجهة الجنوبية والشمالية، وعلى عقد مقرنص من رأسين في الواجهة الشرقية والغربية، يحيط بهذه الحشوات شريط زخرفي من ثلاث جوانب عبارة عن بلاطات خزفية ملونة.

وبمقارنة هذه المئذنة مع باقي المآذن المغربية الأندلسية ولاسيما منها الزيانية والمرينية فإننا نلاحظ أوجه تشابه كثيرة وعلى رأسها شبكة المعينات. هذا النوع من الزخارف ظهر أول مرة – كما يعتقد الأستاذ بورويبة – بجامع قسنطينة ثم استعمله الموحدون لزخرفة مآذنهم[1]. وبالنسبة للجزائر فان المآذن التي عرفت هذا النوع من الزخرفة كثيرة منها مئذنة مسجد أغادير ومئذنة جامع ندرومة ومئذنة جامع المنصورة ومئذنة مسجد سيدي الحلوي ومئذنة مسجد سيدي بومدين ومئذنة جامع تلمسان.

[1] - Bourouiba,R. Apports, P.295.

ومن أوجه التشابه الأخرى نلاحظ تلك العقود الحاملة لشبكة المعينات التي تميزت بتنوعها وتعدد فصوصها ورؤوسها.

إن الباحث والمتأمل في مئذنة جامع محمد بن عثمان الكبير – الذي يجدها لا تمت بكبير صلة إلى مآذن الفترة العثمانية بالجزائر بما في ذلك مئذنة مسجد الباي من حيث تكوينها الزخرفي – لا يكاد يميزها عن المآذن الزيانية أوالمرينية أو حتى الموحدية[1].

## 3 – العناصر المعمارية:

### 1.3 – الدعامات والأعمدة:

تتكون حوامل جامع الباشا من دعامات وأعمدة، وإن كانت الأعمدة استعملت في مواضع مختلفة فان الدعائم اقتصر استعمالها في بيت الصلاة خاصة، حيث تشكل مدخله من دعامتين مزخرفتين (الصورة 14)، تستندان على قاعدتين عاليتين تحمل تيجان شبيهة بالتاج الكورنثي (الشكل 2- الصورة 38 )، أما داخل بيت الصلاة فكان عدد الدعامات التي ترتكز عليها العقود 16 دعامة ذات مسقط ثماني من حجمين مختلفين ذات ارتفاع يقدربـ1.90م، وقد استخدمت هذه الدعامات منفردة كما استخدمت جنبا إلى جنب مع الأعمدة (الصورة 15 و16) على غرار مسجد صالح باي ومسجد سيدي رمضان ومسجد سيدي الحلوي وجامع تلمسان[2] وجامع معسكر.

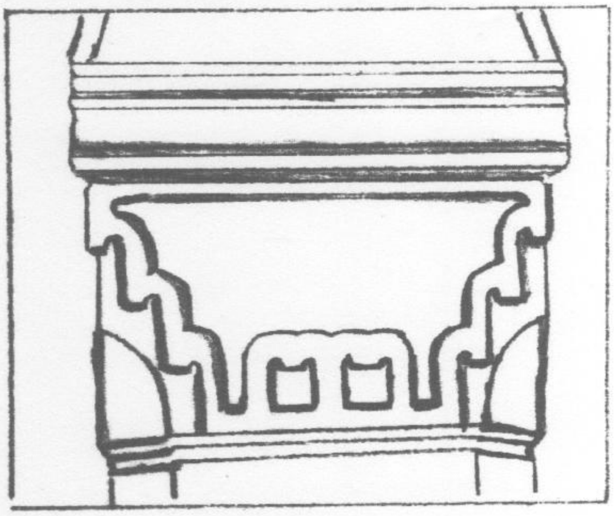
ولقد بنيت هذه الدعامات بدون قواعد (الصورة 33)، ذات تيجان تتكون من أربع قرم متطابقة ( متراكبة) محلاة بزخرفة هندسية جدّ بسيطة (الشكل 1-الصورة

---

[1] - أنظر حول المآذن الموحدية:- Marçais,G, Manuel d'Art musulman, Edition Auguste Picard, Paris, 1926, PP 394-402.

وانظر أيضا:- ليوبولدو توريس بالباس، الفن المرابطي والموحدي، ترجمة: غازي السيد، دار المعارف، مصر، 1971، ص ص27،24. وعن المآذن الزيانية والمرينية أنظر: - بن قربة صالح، المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى، ص ص 85-131.

[2] - Bourouiba,R. Apports P.69.



شكل1: نموذج لتاج دعامات بيت صلاة جامع الباشا.



شكل 2: جامع الباشا، تاج دعامتي مدخل بيت الصلاة.

37)، ومما يشدّ الانتباه هو شكل الدعائم الثماني الذي انفرد به جامع الباشا دون غيره من المساجد الجزائرية[1] بما في ذلك التي تعود إلى الفترة العثمانية.

ويرجع استخدام الدعامات إلى زمن بعيد وقد عرفته المساجد الكبيرة كالمتوكل وأبو دلف، ثم جامع ابن طولون فيما بعد.

في بلاد المغرب ظهر تفضيل استعمال الدعامات منذ القرن 3هـ/9م في جامع سوس، ثم تعمّم استعمالها في المغرب الأقصى وبالذات في جامع القرويين( 859م ). خلال العهد المرابطي اقتصر استخدام الحوامل بالجزائر وندرومة وتلمسان وأيضا بفاس على الدعامات دون غيرها[2]، وقد تعزز استخدامها خلال العهد الموحدي[3]، ويبدو أن جامع حسن بالرباط هو الاستثناء الوحيد حيث فضل الموحدون فيه استعمال الأعمدة عوضا عن الدعامات[4].

في العهد المريني استخدم المعمار في منشآته المختلفة الدعامات والأعمدة[5]، أما الزيانيون فيبدو أنهم فضلوا استخدام الدعامات في مساجدهم التي شيدوها، باستثناء مسجد أبي الحسن الذي استخدمت فيه الأعمدة[6].

وعلى غرار المرينيين، استخدم المعمار الجزائري خلال الفترة العثمانية الدعامات والأعمدة[7]، وان اقتصرت الحوامل في بعض المساجد على نوع واحد دون غيره كما هو واضح في مسجد الباي ومسجد المبايعة في معسكر وجامع كتشاوة وجامع سفر بمدينة الجزائر وغيرها حيث استعملت الأعمدة منفردة، بينما في جامع علي بتشين والجامع الجديد وغيرها استخدمت الدعامات فقط.

ويبدو أن استخدام الأعمدة إلى جانب الدعامات يرجع إلى عدم توفر الأعمدة أو ندرتها – لاسيما الرخامية منها – وما تكلفه من مال وجهد ووقت، الأمر الذي كان يدفع المعمار إلى بناء الدعامات كلما تطلب الأمر ذلك[8]، وربما مرده إلى قدرة الدعامات على تحمل الثقل الثقل الأكبر، خصوصا عند عدم توفر أعمدة تؤدي ذات الوظيفة.

---

[1] - حول أشكال دعائم المساجد الجزائرية عامة أنظر:- Bourouiba,R. Apports, fig.66.
[2] - Golvin,L. Essai…, T.1, P.65.
[3] - Golvin,L. Essai…, T.4, P.264.
[4] - Marçais,G. L'architecture…,P207. – Golvin,L, Essai…,T.1,P. 65.
[5] - لعرج عبد العزيز، المرجع السابق، ص548.
[6] - Bourouiba,R. L'art religieux, P.112.
[7] - عن ذلك أنظر: - Dokali,R. Op.Cit., P43.
[8] - لعرج عبد العزيز، المرجع السابق،ص557.

داخل بيت صلاة جامع الباشا استعملت أعمدة كثيرة وصل عددها إلى 54 عمودا من بينها 24 عمودا مزدوجا، وهذه الأعمدة من نوعين:

- **النوع الأول:** هي أعمدة ضخمة ملساء مشكلة من الحجارة طولها 1.90م وقطرها 0.35م، تتكون من أبدان ملساء مغروسة في الأرض دون قواعد لها تيجان شبيهة بتيجان الدعامات، منها ثمانية استعملت إلى جانب الدعامات لحمل القبة المركزية.

- **النوع الثاني:** هي عبارة عن أعمدة مركبة تتكون من جزأين رئيسيين سفلي ثماني الأضلاع وعلوي حلزوني، ارتفاعها 2.45م ، تحمل تيجان كورنثية علوها 29سم، عددها ستة؛ اثنان منها يكتنفان المحراب من الجانبين بينما تحمل أربعة الدّكّة (الصورة 17 و24).

كما استعملت أنواع أخرى من الأعمدة وفي أماكن مختلفة وهي:

- **النوع الأول:** (الصورة 10 و12) استخدم في حمل عقود الرواقين وهي أعمدة كسيت حديثا بقطع فسيفسائية أفقدتها جمالها، وكانت في الأصل تتكون من أبدان ملساء تقوم على قواعد مربعة (الصورة 11)، أما طولها الحالي فيبلغ 1.71م ومحيطها يبلغ 0.80م بينما يبلغ قطرها 0.25م، ترتكز على قواعد مربعة طول ضلعها 0.32م اختفى الجزء السفلي منها بسبب التبليط الحديث، وهذه الأعمدة مكللة بتيجان (الشكل 3) شبيهة بتيجان أعمدة مسجد سيدي بلحسن وجامع المنصورة وضريح سيدي بومدين[1] ( الشكل 7 و8).

- **النوع الثاني:** (الصورة 77) هذا النوع موجود بشرفة حجرة المدخل المطلة على النافورة ولنا من هذا النوع أربعة أعمدة تقع في مستوى أعلى من أعمدة الرواق، تمتاز برشاقتها، طولها 1.33م ومحيطها 0.34م وقطرها 0.11م تحمل تيجان تذكرنا إلى حد ما بتيجان قصر الحمراء بغرناطة[2] إلا أن شكل المراوح وطريقة نقشها يبدو مختلفا كثيرا (الشكل 4 و5).

---

1 - انظر: - Marçais,G, L'Architecture…, P. 341. :

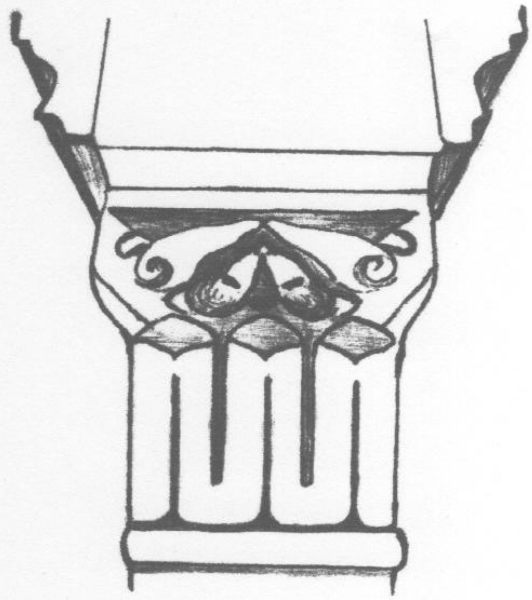
2 - أنظر: -Ibid, P.340.

- **النوع الثالث:** (الصورة 8) يتمثل في العمودين اللذين يكتنفان المدخل الرئيسي للجامع، يتكون هذا النوع من بدن ذو أخاديد يتجاوز طوله 4م، متوج بتاج ذات طابع مغربي أندلسي، يستند على قاعدة عالية.

- **النوع الرابع:** (الصورة 34) هو الموجود عند المدخل لنا منه أربعة أعمدة يرتكز العقد عليها لها قاعدة ارتفاعها 0.63م ويبلغ ارتفاع بدنها الأملس 1.25م، لاثنين منها تيجان علوها 30سم شبيهة بالتيجان المذكورة سالفا.

بمسجد الباي استخدمت الدعامات الحائطية البارزة فقط، حيث احتلت الأركان الأربعة لقبة الضريح مقاساتها 39سم X 39سم، حملت عقودا منكسرة متجاوزة.

أما داخل بيت الصلاة فاستخدمت أعمدة حجرية تحمل العقود، ارتفاع بعضها 1.47م وبعضها 1.58م، محيطها 0.84م وقطرها 0.27م، لها قواعد مستديرة سمكها 5سم كلها ذات بدن أملس (الصورة 18)، باستثناء عمود واحد جاء مسقطه مضلعا (سداسي الأضلاع) (الصورة 35)، تعلوها تيجان بسيطة غير مزخرفة ذات شكل



شكل 3: جامع الباشا، تاج أعمدة رواقي الصحن( إعادة تصور).



شكل 4: جامع الباشا، نموذج لتاج أعمدة شرفة حجرة المدخل التذكاري.

شبه مخروطي تسلب في الأركان لتتحول قاعدة التاج إلى مثمن، وقد عثر على ما يشابهها في منازل الأحياء القديمة بالمنستير[1] (الشكل 6)، بعضها ارتفاعه 30سم والبعض الآخر 38سم تبعا لطول العمود.

ويوجد بالواجهة الغربية للمسجد صف من الأعمدة المزدوجة (الصورة 36)، بعضها غير ظاهر للعيان بسبب الترميمات والتغييرات التي مست المبنى، طولها الحالي 1.31م ومحيطها 0.83م وقطرها 0.26م، كما يوجد داخل الميضأة صف آخر من الأعمدة المزدوجة؛ الجزء الظاهر منها مكسو بطبقة من الإسمنت، لهذه الأعمدة – كما يبدو – نفس شكل وحجم أعمدة بيت الصلاة، غير أنه تعلوها تيجان تأخذ شكل متوازي الأضلاع تحمل في أركانها لفيفة على شكل قرص يربط بينها أربعة خطوط متوازية غائرة قليلا.

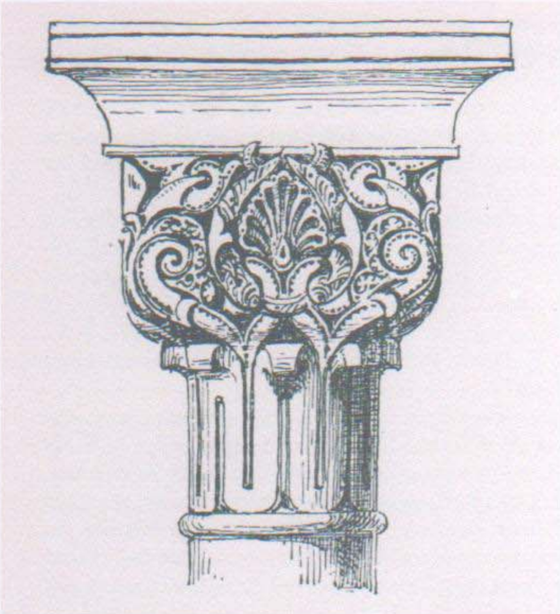
وعموما فقد تعددت أشكال الأعمدة في مساجد الفترة العثمانية فكان منها الأسطواني والحلزوني والمضفر والمضلع والمثمن والمضلع – الحلزوني، إلا أن العمود ذو الساق الأسطواني كان هو الشائع ونكاد نجده في كل المساجد[2]. كما تنوعت مادة تشكيل هذه الأعمدة فمنها الرخامية ومنها الحجرية ومنها ما بنيت بالآجر، أما عن أبعادها فقد تباينت هي الأخرى حتى في داخل المعلم الواحد.

والجدير بالذكر أن المسلمين الأوائل اتخذوا من جذوع النخل أعمدة لمساجدهم[3]، كما يتضح من خلال النصوص التاريخية؛ في المسجد النبوي وجامع عمرو بن العاص وأيضا في جامع سيدي عقبة[4].

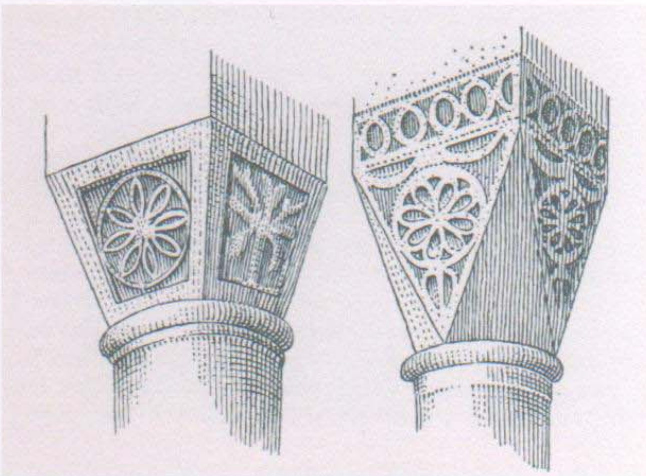
وفي فترة لاحقة استعمل المسلمون أعمدة كانت تنقل من المعابد والكنائس والعمائر القديمة[5]، ولم يكن يهم البنائين كثيرا عدم التجانس في الشكل والطول بقدر ما يوفره العمود من تجسيد لسقوف مرفوعة بطرق مختلفة كما هو الشأن في مدن كدمشق وحلب والقدس وتونس وقرطبة.

---

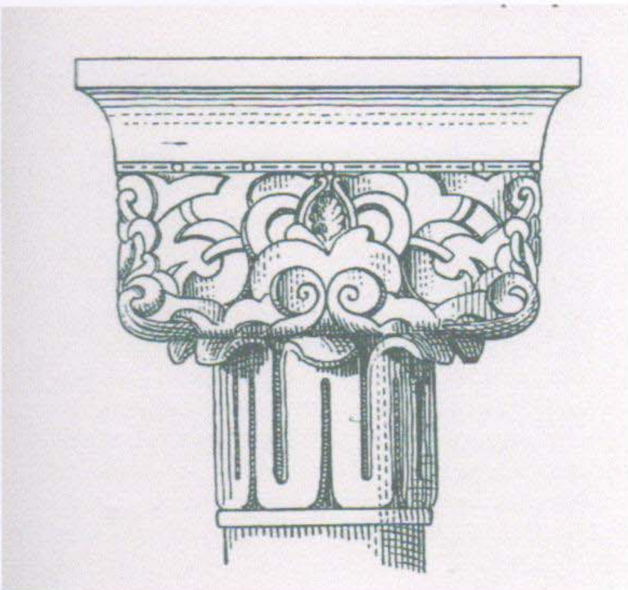
[1] - Marçais,G,L'architecture…, P. 124.
[2] - أنظر عن ذلك: - Dokali,R. Op.Cit., P.45.
[3] - Bourouiba,R. Apports, P73.
[4] - Ibid, P78.
[5] - Golvin,G. Essai…, T.1, P.64.



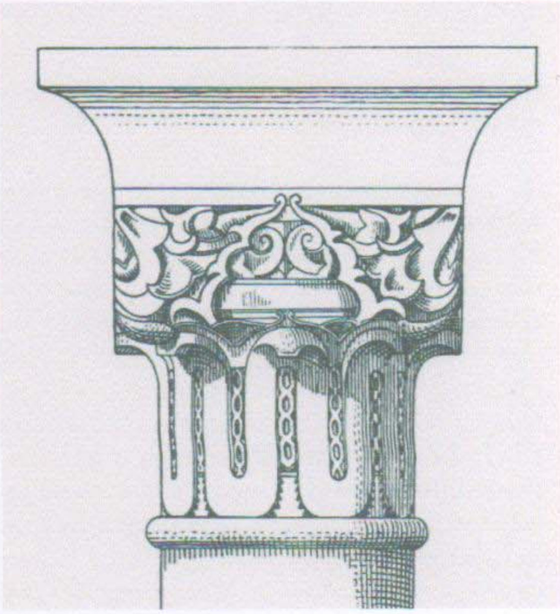
شكل 5: أحد تيجان أعمدة ساحة الأسود بقصر الحمراء(عن مارسي).



شكل 6: نموذجان لتيجان بمنازل المونستير من العهد الأغلبي(عن مارسي).



شكل 7: نموذج لتاج بمسجد سيدي بلحسن(عن مارسي).



شكل 8: نموذج لتاج من جامع المنصورة(عن مارسي).

وعلى غرار الأعمدة فقد تنوعت التيجان خلال الفترة العثمانية بالجزائر عموما، ومنها تاج شبيه بالتاج الكورنثي[1] وهو الأكثر شيوعا، ويبدو أنه منبثق "بشكل محسوس من التاج العربي"[2]، نجده كما ذكرنا سابقا داخل بيت صلاة جامع الباشا، قسمه الأسفل مشكل من صف من أوراق الأكانتس ومن جهة أخرى نجد المساحة الواقعة بين الحلزونيات الجانبية مؤثثة بعنصر نباتي يعلوه هلال يتصل جزء منه بالوسادة.

ونذكر في هذا الصدد أن هذا النمط من التيجان المصنوع غالبا من المرمر أو الحجر الجيري الأصفر يتوج معظم الأعمدة في مساجد مدينة الجزائر[3].

وهناك نوع ثان من التيجان يتشكل من جزأين، جزء سفلي أسطواني يشغله صف من المراوح النخيلية المحورة تأخذ شكلا شبيها بالإبهام، أما الجزء الأعلى فهو عبارة عن شكل متوازي المستطيلات وهو الجزء الذي يتلقى معظم الزخارف المكونة من عناصر نباتية متنوعة عادة، وقد وجدناه يتوج أعمدة مدخل وصحن جامع الباشا.

وتكوين هذه التيجان[4] لا يختلف عن التيجان الزيانية ولا حتى المرينية بتلمسان، خاصة تلك الموجودة بمسجد سيدي بومدين وضريحه والى حد ما جامع المنصورة[5].

ويبدو أن التأثير الزياني لم يقتصر على مدينة وهران فحسب بل تعداها إلى مدن كالجزائر وقسنطينة وعنابة حيث نجد تيجانا من هذا النوع بجامع القصبة وسيدي عبد الرحمن وسيدي لخضر وصالح باي[6].

ولعل أقدم التيجان الإسلامية المعروفة هي التي وجدت بجامع الكوفة بعد إعادة بناءه من طرف حاكم العراق زياد بن أبيه في خلافة معاوية، يليها تيجان قبة الصخرة ببيت المقدس وجامع دمشق التي حاكت التيجان الرومانية الكورنثية والمركبة[7].

ومنذ القرن 4هـ/10م صارت للأعمدة في العمارة الإسلامية تيجانها الخاصة التي تميزها عن التيجان الإغريقية والرومانية والبيزنطية، وتميزت بزخارفها النباتية والهندسية ودخل الخط العربي عليها ليجعل لها خصوصية إسلامية بحتة.

---

[1] - التاج الكورنثي يتشكل من نسقين من أوراق الأكانتس وهو الأكثر شيوعا وظهر من هذا الطراز تاجان؛ الكورنثي الإغريقي والكورنثي الروماني.

[2] - Dokali,R. Op.Cit., P.43

[3] - Dokali,R. Op.Cit., P. 43.

[4] - ظهرت الأشكال الأولى لهذه التيجان خلال الفترة الموحدية، ولرصد تطور هذه التيجان الإسلامية أنظر:- Marçais,G,L'Architecture…,PP 235-237.

[5] - أنظر حول ذلك:- Ibid, Figs. P. 341, PP 340-342.

[6] - Bourouiba,R. Apports, P. 118,119.

[7] - Bourouiba,R. Apports, P. 94.

## 2.3 – العقود:

تنوعت العقود المستعملة في المباني الدينية التي أنشأها الباي محمد الكبير وأهمها العقد المنكسر المتجاوز، حيث استخدم داخل بيت صلاة جامع الباشا وشكلت منه البلاطات وعقد المحراب وعقد المدخل الرئيسي، كما شكلت منه أروقة الصحن. امتازت عقود البلاطات بكبر حجمها وكانت أكثر اتساعا وأقل انكسارا في مفتاحها واستخدمت بدون زخارف، أما باقي العقود فكانت ذات حجم أصغر وأكثر انكسارا،حلي البعض منها بالزخارف (الصورة 39 و40).

أما في مسجد الباي فاستخدم هذا العقد – كما هو الشأن في جامع الباشا – داخل بيت الصلاة وأيضا في الواجهة الغربية من المسجد وداخل الميضأة وبقبة الضريح وأعلى الواجهة الشرقية للجوسق (الصورة 19 و42). وقد جاءت عقود الأساكيب والمجنبتين من الحجم الكبير، أكثر اتساعا وأقل انكسارا؛ إذ تراوح اتساعها ما بين 2.48م و2.58م، بينما جاءت عقود البلاطات ومؤخر المسجد من الحجم الصغير؛ أقل اتساعا وأكثر انكسارا، تراوح اتساعها مابين 1.20م و1.28م وتميزت بدقة النسب وجمال الإنشاء، وبدا عقد الجوسق شبيها بعقد حدوة الفرس لانكساره.

وحسب الأستاذ كولفان فان العقد المنكسر المتجاوز ظهر جليا في قصر الأخيضر[1] كما ظهر بعد ذلك بجامع القيروان في عهد الأغالبة[2]، وقد شاع استعماله في عهود الموحدين والمرينيين والزيانيين وعنهم ورثته الجزائر خلال العهد العثماني ونال من الإقبال والشهرة بمثل ما ناله من قبل وربما أكثر، إذ استخدم – تقريبا – في جميع مساجد تلك الفترة[3]. وعنه وعنه يقول الأستاذ فريد شافعي:" .. ومما يستوقف النظر أن هذا النوع لم ينتشر في العمارة العربية في الشرق الإسلامي مثلما انتشر في الغرب الإسلامي، الذي يمكن القول أنه هاجر إليه منذ العصر الإسلامي المبكر، وأصبح من أشهر مميزات العناصر الإسلامية هناك "[4].

---

1 - Golvin , Essai…, T.1, P.92.

2 - Marçais,G. L'architecture…, P.19. Golvin,L, Op.Cit. P. 92.

3 - Dokali,R. Op.Cit., P.45.

4 - شافعي فريد، العمارة العربية في مصر الإسلامية(عصر الولاة)، المجلد الأول، الهيئة المصرية للكتاب، 1970، ص206.

والنوع الثاني من العقود هو العقد النصف الدائري، واستخدامه جاء محدودا إذ لا نعثر عليه إلا في موضعين اثنين في جامع الباشا، عند مدخل بيت الصلاة والمدخل المصمت داخلها، وقد استخدم بزخارف، لذلك نعتبره من العقود ذات الوظيفة الزخرفية بالدرجة الأولى.

وكان هذا العقد هو المستعمل في صدر الإسلام[1] وذلك قبل الشروع في استعمال أشكال أخرى من العقود، حيث استخدم في قبة الصخرة والمسجد الأقصى وجامع دمشق والمسجد النبوي خلال الفترة الأموية[2]. ونميز في هذا العقد نوعين؛ غير المتجاوز والمتجاوز، هذا الأخير ظهر في المغرب الإسلامي لأول مرة بجامع قرطبة[3] ثم في القيروان[4]. كما كثر استعماله في قلعة بني حماد[5] ثم في العهود التي تلت[6]. أما في عمائر الجزائر خلال الفترة العثمانية فكان استخدامه محدودا ولاسيما المساجد؛ حيث يظهر فقط في محراب الجامع الجديد وفي واجهات مئذنة مسجد صالح باي ومئذنة مسجد سور الغزلان.

أما النوع الثالث من العقود فتمثل في العقد الإهليليجي، ويعتبر من العقود التي تميزت بها العمائر العثمانية بالجزائر وخاصة المدنية منها. وجدناه يعلو المدخلين الموجودين في نهاية رواقي صحن جامع الباشا، أما في مسجد الباي فاستخدم في نوافذ القبة الضريحية (الصورة 22) وبابها الذي يؤدي إلى الغرفة الشمالية (مكتبة المسجد حاليا)، وقد جاء هذا الأخير مدببا في مفتاحه ومشكلا زاوية حادة، بالإضافة إلى باب الغرفة الواقعة على يمين قبة الضريح التي منها نمر إلى جوف المئذنة.

وقد قل استخدام هذا النوع من العقود في المساجد الجزائرية خلال العهد العثماني[7]، إذ وجد فقط في مسجد صالح باي بعنابة[8] ومسجد سيدي عبد الرحمن. أما العمائر الإسلامية فقد خلت منه، ويبدو أنه ليس من السهل التعرف على أصله كما يجهل أيضا موطنه الأم، إلا

---

[1] - سامح كمال الدين، العمارة الإسلامية في مصر، الهيئة المصرية للكتاب،القاهرة، 1983م، ص80.

[2] - Golvin,L. Essai… , T.1, P.83.

[3] - استخدمت الأندلس خلال الفترة الأموية العقد النصف الدائري المتجاوز ونجده في عقود الجامع السفلية وهو يعتبر من العقود التي شاعت في عمارة الأندلس. - Barrucard et Bednorz, L'architecture maure en Andalousie, P.M.L.Edition et Taschen, Almagne, 1995, p42.

[4] - Golvin,L, Essai…,T.1, PP 83-85, Fig. 19.

[5] - Golvin,L. Recherche archéologique à la Qala de banu- Hammad, Maison neuve, Paris, 1965, P.42.

[6] - تبنى المرابطون العقود النصف الدائرية المتجاوزة وكانت المفضلة لديهم واستخدموه في الأبواب وأسفل القباب وببلاطة المساجد وفي المحاريب وبنوافذ المآذن، أما العقود النصف الدائرية غير المتجاوزة فلا تظهر مطلقا إلا في الفتحات الصغيرة.
- Marçais,G, Manuel…, P. 364.

[7] - Marçais,G, L’architecture…, P. 147.

[8] - Bourouiba,R, Apports, P. 137.

أن الأستاذ مارسي أشار إلى ما يشابهه في عمائر شبه جزيرة البلقان المشيدة في نهاية القرن السابع عشر ميلادي[1]، مع العلم أنه ظهر في الجزائر قبل ذلك وبالتحديد خلال القرن السادس عشر[2].

النوع الرابع من العقود هو العقد الساساني واقتصر استخدامه في موضع واحد، إذ توج به المدخل الموجود بالقرب من الركن الشمالي الشرقي من بيت صلاة جامع الباشا، غير أننا نشك في أصالته، إذ لم تعرفه عمائر الجزائر عامة باستثناء جامع قسنطينة وقلعة بني حماد[3].

والى جانب العقد الإهليليجي، استخدم أيضا العقد الموتور الذي شاع استعماله في العمارة العثمانية بتركيا، أما في بلادنا فنجده بمسجد صالح باي وجامع توقرت[4] إضافة إلى مسجد الباي، وقد استخدم في هذا المسجد – حسب اعتقادنا – لضرورة معمارية بحتة، وجدنا مثالين منه أعلى المدخل المؤدي إلى سطح الطابق الأول للمئذنة وأربعة أمثلة منه أعلى شمسيات القبة، كما استخدم أيضا عند مدخل جوسق مئذنة جامع محمد بن عثمان الكبير.

أما النوع السادس من العقود فهو العقد ذو الوظيفة الزخرفية بالدرجة الأولى والمتمثل في العقد المفصص، استعمل بجامع الباشا في الشرفة المطلة على نافورة الصحن، ويتكون من ثلاثة فصوص (الصورة 77)، وأيضا في واجهات المئذنة على شكل عقود متطابقة (متراكبة)( الصورة 26)، كما استخدم أيضا على واجهات مئذنتي مسجد الباي (الصورة 28 و29 و41)، وجامع محمد بن عثمان الكبير (الصورة 30 و32 و79).

وقد استخدم هذا العقد في جامع قرطبة الذي يكون قد انتقل منها إلى المغرب الإسلامي حيث استعمله الحماديون ولو استعمالا محدودا في زخرفة مئذنتهم[5] وفي محراب جامع قسنطينة[6].

وقد عرف المغرب العقود المفصصة الكبيرة خلال الفترة المرابطية حيث ظهر في جامع الجزائر عام 490هـ/1097م وفي جامع القرويين بفاس حوالي 529هـ/1135م

---

1 - Marçais,G, Op.Cit., P. 450.
2 - Dokali,R, Op.Cit., P. 50.
3 - Bourouiba,R, L'Art religieux, P 36.
4 - Bourouiba,R, Apports, p. 128, Fig.109,2.
5 - Bourouiba,R, L'art religieux, P. 36.
6 - بورويبة رشيد،" وصف الجامع الكبير بقسنطينة"، ترجمة بن عيسى حنفي، الأصالة، عدد5، 1971م، ص94.

وفي جامع تلمسان في حدود 530هـ/1136م. ويبدو حسب كولفان أنه مستوحى من العمائر الأندلسية[1]، وقد عرفت القيروان هذا العقد – على نحو ما – وأيضا بلاد الشام[2]، وليس مستبعدا حسب مارسي أن الأندلس ورثته عن الأمويين ببلاد الشام، مع العلم أنه استخدم أيضا في العمائر العباسية بالرقة وسامرا[3].

أما خلال الفترة العثمانية[4] فيبدو أن استخدامه كان محدودا وضمن نطاق ضيق، وقد وجد بجامع سيدي لخضر حيث شكلت منه العقود العمودية الحاملة للقباب[5]، كما زخرفت به به واجهات بعض مآذن المساجد التي ترجع لنفس الفترة، ومن ضمن هذه المساجد التي زخرفت واجهات مآذنها بالعقود المفصصة نذكر مسجد سيدي الهواري بوهران وجامع معسكر .

والجدير بالذكر أن هذا العقد استخدم لغرضين؛ الأول معماري أساسا والثاني زخرفي أساسا، إلا أن الاستخدام الثاني كان هو الطاغي.

واستخدم أيضا في المنشآت المعمارية الدينية للباي محمد الكبير العقد ذي الشرفة المكون من خطوط مستقيمة وخطوط مقوسة، حيث تتبادل فيه الفصوص الدائرية مع الزوايا القائمة على نحو بارز[6]. زخرفت به – هو الآخر – واجهات مئذنتي مسجد الباي وجامع محمد بن عثمان.

ظهر هذا العقد حسب كولفان لأول مرة في العمارة الإسلامية بسامرا[7]، كما وجد بمحراب وجوسق مئذنة جامع القيروان وقلعة بني حماد[8]. أما مارسي فيذكر أن هذا العقد ظهر بالجعفرية وسرقسطة[9]، ويوجد بتلمسان وتنمل وأيضا بجامع سور الغزلان[10].

وعلى غرار العقد ذو الشرفة، استخدم العقد المقرنص لغرض زخرفي أساسا، حيث زخرفت به أيضا واجهات مئذنتي مسجد الباي وجامع محمد بن عثمان. يتكون هذا العقد من

---

1 - Golvin,L, Essai…,T.1, P. 98.
2 - Marçais,G, L'Architecture…, P. 164.
3 - Ibid, P.164.
4 - استعمل هذا العقد أيضا خلال الفترتين الزيانية والمرينية، عن ذلك أنظر: - Golvin ,L. La Mosquée, Imprimerie la Typo-litho et Jules Carbonel reunies, Alger, 1960, P.59.-Bourouiba,R. Apports, P.134.
5 - Bourouiba,R, Apports, P. 135.
6 - Barrucand,M. et autre, L'Architecture Maure en Andalousie, P. 143.
7 - Bourouiba,R, Apports, P. 137.
8 - Golvin,L, Essai…, T.1, P. 98.
9 - Marçais,G, L'Architecture…, P. 232.
10 - Bourouiba,R, Op.Cit., P. 137.

خطوط مقوسة، ويبدو أن هذا العقد الذي اكتمل تطوره خلال فترة الموحدين[1] ولد بجامع القرويين[2] ويعتبر حكرا على المغرب الإسلامي، ولم تعرفه تونس إلا من خلال الزخرفة على الجص[3].

وللعلم، فان هذه الأنواع الأخيرة من العقود – ذات الوظيفة الزخرفية أساسا – انتشرت كثيرا في عمائر المغرب والأندلس، خاصة في زخرفة واجهات المآذن.

ونضيف إلى العقود السابقة، عقدا آخر استخدم هو أيضا لغرض زخرفي بالدرجة الأولى في تزيين واجهات مئذنة مسجد الباي، يوجد لدينا منه أربعة نماذج، هذا النوع من العقود لم نشاهد مثيلا له – حسب علمنا – في العمائر الإسلامية المختلفة، ويبدو على شكل ورقة ذات خمسة فصوص، أكبرها الفص الأوسط، ويمكن القول أنه تطور طبيعي للعقود المفصصة حتى وان ظهر متميزا عنها.

## 3.3 – التسقيف:

استخدم المعمار في هذه العمائر الدينية أنواعا عدة من التسقيف بغية تغطية الفراغات الناتجة عن تشييد المباني ومن أهمها القباب، فجامع الباشا يحتوي لوحده على 17 قبة، كلها من نوع واحد وهو القباب ثمانية الأضلاع حتى وان اختلفت في الشكل والحجم. أما أكبر هذه القباب حجما فهي القبة المركزية لبيت الصلاة (الصورة 9)، إذ يبلغ طول ضلعها 4.53م وقطرها 12.60م، تحملها ثمان دعامات وثمانية أعمدة مزدوجة وثمانية عقود منكسرة متجاوزة.

وبالرغم من ضخامة هذه القبة وكبر حجمها، فإنها شبه خالية من الزخارف فيما عدا نجمة ثمانية الرؤوس تكلل مركزها ويشع منها تضليعات، وإفريز مستدير بارز يعلو مباشرة رقبتها ويمتدّ حولها، وهو خال من الزخارف. لهذه القبة أربع نوافذ تحتل الجهات الأربعة.

يحيط بالقبة المركزية اثنتا عشر قبة أصغر حجما، تقوم كلها على منطقة انتقال تتشكل من مثلثات ركنية ملساء، وجميعها خالية من الزخارف باستثناء القبة التي تتقدم المحراب والمزينة ببلاطات خزفية متنوعة.

---

[1] - نجد أحسن النماذج للعقد المقرنص خلال الفترة الموحدية في جامع تنمل، عن ذلك أنظر:- Golvin, L. Essai…, T.1, P.100.

[2] - Golvin, L. Essai…, T.4, P.214.

[3] - Golvin, L. Essai…, T.1, P.100.

أما أجمل القباب وأغناها من حيث الزخرفة فهي قبة حجرة المدخل (الصورة 43 و44)، وهي ذات أضلاع ثمانية، يكتنف كل ضلع عرقان، تتقاطع جميعها عند قمة (مركز) القبة مشكلة نجمة ثمانية الرؤوس، وفضلا عن ذلك يتضمن بطن القبة زخارف جصية متنوعة، وهي تقوم على منطقة انتقال تتكون من مثلثات ركنية ذات حزوز أفقية متوازية وتستند على بوائك معقودة بأربعة عقود.

بالإضافة إلى هذه القباب، يوجد قبيبة تتوج جوسق نافورة الصحن هي الأخرى مضلعة (الصورة 10 و46)، وتقوم على منطقة انتقال تتكون من مثلثات ركنية ذات حزوز أيضا، يعلوها سفود بارز يحمل ثلاث كرات من البرونز وهلال.

كما يتوج جوسق المئذنة بقبيبة مضلعة تميزت من الخارج بأخاديدها (الصورة 27)، الأمر الذي لم نلاحظه على باقي قباب الجامع، وظهور الأخاديد على القباب ليس بالشيء الجديد، حيث عهدناه في مآذن أخرى[1].

أما قبيبة المحراب، فلا تختلف في إنشائها عن باقي القباب، وهي مكسوة ببلاطات خزفية حديثة.

في مسجد الباي تظهر القبة في غرفة الضريح (الصورة 22)، حيث غطت الفراغات المربعة الناتجة، تكونت من الناحية المعمارية الإنشائية من منطقة انتقالية غائرة عبارة عن حنايا ركنية صدفية الشكل رأسها يمتد إلى أسفل مشكلة من اثني عشرة أخدودا (الصورة 23). واستعملت أيضا قبيبة مضلعة لتغطية الفراغ المربع لجوسق المئذنة، وللانتقال من الشكل المربع إلى الشكل المثمن؛ استخدم المعمار المثلثات الركنية، وقد تميزت رقبة هذه القبيبة بالطول المفرط.

كما غطيت غرفة جوسق مئذنة جامع محمد بن عثمان الكبير أيضا بقبيبة مضلعة، مثبت في أعلاها سفود حديدي يحمل ثلاث تفافيح برونزية يعلوها هلال على غرار جامع الباشا ومسجد الباي.

---

[1] - من هذه المآذن نذكر على سبيل المثال: مئذنة جامع الكتبية بمراكش ومئذنة جامع القيروان، عن ذلك أنظر: - Marçais,G. Manuel d'Art musulman, Edition Auguste Picard, Paris, 1926, P.399, Fig. 227.-Marcais,G. l'Architecture, P.13, Fig.1.

وإن كان مستحيلا – وفق كولفان – التدقيق في تاريخ ظهور القبة في العمارة الإسلامية فان الأكيد هو وجودها بقبة الصخرة منذ إنشاء هذا المعلم (72هـ/691م) كما وجدت بجامع دمشق (87هـ/706م) والمسجد الأقصى[1].

أما أول قبة ظهرت ببلاد المغرب فكانت بجامع القيروان، وقد أقيمت أمام المحراب، وتعتبر من أهم الظواهر المعمارية بهذا الجامع، وتوجد قبة مقابلة لها عند نهاية البلاطة المحورية[2].

وظهرت القبة المضلعة (ذات العروق) لأول مرة بجامع قرطبة (364هـ/965م)، وقد تجسد التأثير الأندلسي جليا في قبة جامع تلمسان[3] التي بدورها تعتبر أول قبة مضلعة تظهر ببلاد المغرب[4].

أما القبة ذات الأخاديد فظهرت بجامع القيروان وتونس، ونجد هذا النوع من القباب خلال الفترة المرابطية بتلمسان في محراب الجامع وحمام الصبّاغين، هذا الأخير كان النموذج الذي احتذاه الزيانيون في قبة سيدي إبراهيم[5].

خلال الفترة العثمانية، هيمنت القبة على عناصر المسجد وأضحت تؤدي دورا أهم بكثير من الدور الذي أدته من قبل[6]، بل وأصبحت السّمة الأبرز للمساجد العثمانية عموما، والجزائر كمثال لم تشذ عن هذه القاعدة، وجامع الباشا يعتبر خير مثال نستدل به في هذا المجال[7].

وقد لعبت القبة – كما يقول كمال الدين سامح:" دورا هاما كعنصر من عناصر العمارة الإسلامية في زخرفة وتصميم المنشآت المعمارية المختلفة واتخذت في كل إقليم طابعا خاصا يميزها ويحدد تاريخ إنشائها"[8].

واستخدم إلى جانب القباب؛ القبو، وهو يعد" أكثر العناصر المعمارية الإنشائية استخداما في التسقيف وتغطية الفراغات مقارنة بالعناصر الأخرى كالقباب والأسقف المسطحة

---

[1] - Golvin,L. Essai…, T.1, P.122.

[2] - زكي محمد حسن، فنون الإسلام، ص60.

[3] - لم يبق لدينا من الفترة المرابطية إلا القبة التي تتقدم محراب جامع تلمسان، أول قبة من هذا النوع في بلاد المغرب وهي مستوحاة من قبة جامع قرطبة وباب مردوم الذي له 9 قباب مضلعة، ويبدو أن الأثريين كلهم –حسب بورويبة- مجمعون أن القبة ذات العروق أصلها فارسي لأنه توجد في المعالم الساسانية، وهي مستعملة في إيران إلى اليوم.- Bourouiba, R. L’Art religieux, P.85.

[4] - Bourouiba,R. L'art…, P.85.

[5] - Ibid, P.123.

[6] - نذكر بهذا الخصوص أن القباب في العهود السابقة اقتصر استخدامها لتغطية أمكنة محددة لعل أبرزها المكان الذي يتقدم المحراب، كما أن عدد القباب كان محدودا.

[7] - الكثير من المساجد في الجزائر خلال الفترة العثمانية عرفت بتعدد قبابها ومنها:- جامع معسكر ومسجد المبايعة وجامع كتشاوة وجامع سفر.

[8] - سامح كمال الدين ، المرجع السابق، ص95.

الخشبية، وكذلك لما يتمتع به من خصائص إنشائية ووظيفية ومعمارية فضلا عن توفر مادته التي هي نفس مادة بناء الأسوار والجدران كالآجر والطابية والحجارة إضافة إلى أن طريقة إنشائه سهلة ميسورة "[1].

والأكيد أن الأقبية المتقاطعة[2] هي الأكثر استخداما لاسيما في جامع الباشا، حيث غطت غطت أروقة بيت الصلاة إلى جانب القباب (الصورة 47)، وبدت جميلة في منظرها ومنسجمة في إنشائها، كما استخدمت في تغطية أركان دورات الدرج الصاعد في المآذن دون استثناء. ويعتبر هذا النوع من الأقبية الأكثر انتشارا في عمارة مساجد الفترة العثمانية[3].

هذا النمط من التغطية استعمل خاصة في العهد الفاطمي والصنهاجي بإفريقيا[4] ابتداء من القرن 4هـ/10م بدل الأقبية نصف الأسطوانية[5]، ويبدو في المقابل أنه لم يستعمل من بعد لدى المرابطين والموحدين والمرينيين والزيانيين[6].

أما الأقباء نصف الأسطوانية فاستخدمت في تغطية دورات الأدراج الصاعدة في المآذن والتي تتحول عند الأركان إلى أقباء متقاطعة، وفي تغطية الغرف الطولية الضيقة التي توجد دوما عند بداية الدرج الصاعد وعند نهايته، كما استخدمت في تغطية الممر المؤدي إلى الميضأة الحالية خلف جدار القبلة بجامع الباشا وأيضا في النفق الموجود أسفل بيت الصلاة والذي سبق الإشارة إليه.

وقد كان استخدام الأقبية الأسطوانية معروفا لدى المسلمين وخاصة في العهد العباسي[7]، العباسي[7]، كما استخدمته تونس[8] منذ القرن 3هـ/9م وربما قبل ذلك كما يعتقد كولفان[9].

---

1 - لعرج عبد العزيز، المرجع السابق، ص599.

2 - يعرفها الأستاذ أحمد فكري بما يلي:" ..وكل منها عبارة عن قبوتين مقوستين متعارضتين، أي أنها تعتبر حشوا للمثلثات الأربعة التي تنتج عن تعامد عقدين قائمين على أركان مربع أو مستطيل".- أحمد فكري، مساجد القاهرة ومدارسها، الجزء الأول، ص162.

3 - Bourouiba, R. L'art religieux, P.123.

4 - من بين المساجد الأولى التي استخدمت فيها الأقبية المتقاطعة، نذكر جامع المهدية(303هـ/916م) وجامع بجاية(425هـ/1033م) ومساجد سوسة. انظر عن ذلك:- أحمد فكري، مساجد القاهرة ومدارسها، ج.1، ص162.

- Marçais, G. Manuel…, P.107.

- Marçais, G. L'architecture…, P.P. 70-74.

5 - Marçais, G. L'architecture…, P.126.

6 - Bourouiba, R. Op.Cit, P.123.

7 - Marçais, G. L'art musulman, P.28.

8 - نذكر بهذا الخصوص أن جامع سوس غطيت بلاطاته بأقبية نصف أسطوانية وأيضا مسجد أبو فتاتة. أنظر:

- أحمد فكري، مساجد القاهرة ومدارسها، ج1، ص161.

Marçais, G. L'architecture…, P.23-24.

9 - Golvin, L. Essai…, T.1, P.168.

وحسب الأستاذ بورويبة فان هذه الأقبية لم تظهر في الجزائر إلا في مسجد سيدي إبراهيم – حيث استخدمت في تغطية أروقة الصحن – وفي الجامع الجديد[1].

أما في مسجد الباي فاستخدم في تغطية بيت الصلاة فيه ومجنباته وبعض ملحقاته الأسقف المسطحة[2] (الصورة 19) المكونة من أوتاد خشبية تعلوها طبقة مشكلة من عدة مواد، علما أن بعض الأجزاء من المسجد تعرضت لعمليات الإصلاح والترميم.

هذا النوع من التغطية – الذي ينتشر خاصة في عمارة الدور والقصور بالجزائر التي ترجع إلى الفترة العثمانية[3] – تعود أصوله الأولى إلى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وقد كان منتشرا في شبه الجزيرة العربية حين ذاك[4].

في بلاد المغرب والأندلس؛ استخدمت الأسطح المستوية كما استخدمت الأسقف الخشبية الجمالونية ولاسيما في الجهة الغربية (الأندلس والمغرب والجزائر الوسطى والغربية)[5]، وقد وقد غطيت هذه الأسقف بالقرميد نصف الأسطواني[6].

خلال الفترة العثمانية عمّ استخدام الأسطح المستوية في تغطية المباني الدينية والمدنية على حد سواء، وقد لا يرجع ذلك إلى ندرة في الخشب – حسب اعتقادنا[7] – بل إلى عوامل أخرى قد يكون المناخ واحد منها[8].

ومهما يكن فان السقف بأنواعه يعتبر أحد العناصر المعمارية الخاضعة لمنطق التطور على غرار القباب والمآذن والعقود والتي تباين دورها وشكلها ما بين فترة وأخرى.

---

[1] - Bourouiba, R. Apports, P.261.

[2] - يبدو أن الأسقف المسطحة استخدمت- على الأرجح- في تغطية رواقي صحن جامع الباشا، ونظرا للتجديدات والإصلاحات التي تعرضت لها فقدت طابعها الأصلي تماما.

[3] - سنتعرض إلى هذه النقطة بالشرح والتحليل في الفصل الثاني( المنشآت المدنية).

[4] - Golvin, L. Essai…, T.1, P.162.

[5] - Ibid, P.162.

[6] - تردد استخدام القرميد نصف الأسطواني كثيرا في هذا الجزء من بلاد المغرب والأندلس وفي مختلف العصور، ابتداء من العصر الأموي بالأندلس ومرورا بالعهد المرابطي والموحدي وانتهاء بالعهد الزياني والمريني ونحن نذكر أن جامع قرطبة شكل سقفه من هذا القرميد نصف الأسطواني، ويبدو أن مساجد الفترات اللاحقة استمدت من هذا الجامع نمط ومادة تغطيتها دون إن ننسى في ذلك جامع تلمسان وغيره.

[7] - كان الخشب ولا يزال متوفرا ببلادنا وقد استخدم بكثافة في تشكيل الأسقف خاصة في المساكن والقصور. أنظر الفصل الثالث من هذا البحث(مواد البناء والزخرفة).

[8] -- تتميز المناطق الشمالية للجزائر بقلة الأمطار خاصة الغربية منها، ومع ذلك يبدو أن المناخ لم يكن العامل الرئيسي في استخدام الأسطح المستوية خصوصا إذا علمنا أن هذه الأخيرة أدت دورا وظيفيا مهما لاسيما في قصور ودور الجزائر التي تعود إلى الفترة العثمانية. أنظر تفاصيل ذلك في الفصل الثاني من هذا البحث.

# الفصل الثاني

## المنشآت المدنية

شهدت الجزائر خلال العهد العثماني اهتماما كبيرا بتشييد المباني المدنية من قصور ودور وحمامات وأسبلة وغيرها وفي مختلف المدن ولاسيما الكبرى منها كنتيجة للوضع الاقتصادي المزدهر والذي أدى إلى تجمع أموال معتبرة، صرف جانب منها في مجال العمران.

وللأسف فان ما تبقى من هذه المباني المدنية المشيدة قليل، نظرا لتضافر عدة عوامل أهمها على الإطلاق؛ الاحتلال الأجنبي، وتبقى مدينة الجزائر وحدها تحتفظ بمجموعة لابأس بها من هذه المعالم المدنية وخصوصا الدور والقصور[1].

أما مدينة وهران، ولئن شهدت بعد تحريرها الثاني نشاطا معماريا كبيرا[2] لاسيما خلال خلال حكم الباي محمد الكبير، فان ما تبقى من معالمها المدنية قليل جدا.

ويبقى قصر الباي المعلم الأبرز من بين هذه المعالم، والشاهد المادي الأهم على مرحلة مهمة من تاريخ المدينة والذي يرتبط اسمه دوما بفتح وهران، وهو المبنى المدني الوحيد القائم الذي ينسب للباي محمد الكبير[3].

---

[1] - أحصى الأستاذ كولفان ما يزيد عن أربعين دارا وقصرا مشهورة تتوزع على مدينة الجزائر وضواحيها، عن ذلك أنظر:
- Golvin,L. Palais et demeures d'Alger à la période ottomane, O.P.U., 1988, PP11-13.

[2] - بورويبة رشيد، وهران، ص95.

[3] - ما زالت تحتفظ ببعض المعالم المدنية الأخرى ومنها على الخصوص دار الباي حسن الملاصقة لجامع الباشا وحمام الترك المتاخم لجامع محمد بن عثمان الكبير.

# قصر الباي:

## 1 – موقع القصر وتاريخه: (المخطط 1)

يقع القصر ضمن المجمع المعماري المسمى بالقصر الجديد[1] الذي يضم أيضا البرج الأحمر (الصورة 49) والأبراج الاسبانية والقطاع العسكري ومنتزه ابن باديس والفندق (الصورة 50).

يوجد القصر الجديد في وسط مدينة وهران، يشرف على البحر من ناحية الشمال، أما جنوبا فيحدّه نهج الصومام وساحة المسرح، وشرقا حديقة فيشي، أما من ناحية الغرب فيحدّه نهج خديم مصطفى.

يعود تأسيسه إلى العصر الوسيط، فبينما ينسبه البعض إلى الفنيقيين، ينسبه البعض الآخر إلى تجار مالطيين بنوه بأمر من القديس جون ملك بيت المقدس[2]، وينسبه المؤرخون العرب إلى أبي الحسن المريني وفي هذا الصدد يقول صاحب دليل الحيران:" .. والبرج الأحمر وبرج المرسى الأول فبناهما أبو الحسن المريني..."[3]. ويؤكد ذلك ابن زرفة بقوله:".. والسلطان أبو الحسن المريني هو الذي بنى مرسى وهران و البرج الأحمر فيها ..."[4].

تمّ بناء السور – الذي لا يزال قائما إلى اليوم- خلال الاحتلال الاسباني الأول للمدينة[5]، وأطلق على البرج بدلا من التسميتين العربيتين؛ قصر الأمحال أو البرج الأحمر، القصر الجديد[6].

وخلال فترة الاحتلال الاسباني الثانية[7]، تمّ بناء الكثير من المنشآت، أهمها المدخل التذكاري ومراقد الجند (الأقبية) وذلك عام 1760م[8].

---

[1] - القصر الجديد هي التسمية الاسبانية له وما تزال متداولة إلى اليوم، أما المسلمون فكانوا يسمونه أحيانا قصر الأمحال(برج اللقالق) وأحيانا البرج الأحمر، وهما تسميتان عربيتان حسب فاي Fey. - Fey,H. Op.Cit, P.66.

[2] - Pièsse,L. Itinéraire…, P.213.

[3] - الزياني، المصدر السابق، ص158.

[4] - ابن زرفة، المصدر السابق، ورقة20(ظهر).

[5] - دامت هذه الفترة من الاحتلال قرنين ونيف أي ما بين عامي 1509م و1708م.

[6] - Pièsse,L. Op. Cit.,P. 213.

[7] - امتدت هذه الفترة من سنة 1732م إلى غاية 1792م.

[8] - Hontabat, «  Description des places d'Oran et Mers-el- kebir », trad. Cazenave, in B.S.G.A.O., T. XLIV, 1924, PP34-38.

ويعدّ القصر الجديد أهم الأبراج[1] لموقعه الاستراتيجي ولتحصيناته الدفاعية القوية،حيث كان يعتبر الملاذ الأخير للأسبان حالة الحصار[2].

تقدر مساحته الحالية بأكثر من 10000م2، نصل إليه عبر مدخله التذكاري الذي يتضمن لوحة رخامية مثبتة في أعلاه، سجل عليها الأسبان جميع الإضافات التي تمت خلال حكم الملك شارل الثالث[3]، ولمّا حرر الباي محمد الكبير وهران؛ خلّد هذا الفتح على لوحة من الرخام ثبتت فوق اللوحة السابقة تحمل تاريخ 1207هـ.

غداة جلاء الأسبان، اختار الباي المنطقة الأهم من القلعة الحصينة؛ وهي المنطقة الجنوبية لبناء قصره، حيث يشرف على المدينة القديمة والجديدة[4] في آن واحد، كما يشرف على الجهة الجنوبية والشرقية، وأيضا على الواجهة البحرية.

وقد ورد ذكر هذا القصر في الكثير من النصوص التاريخية العربية والأجنبية، والتي أجمعت على ذكر مؤسسه وهو الباي محمد الكبير. وفي هذا الصدد يقول صاحب دليل الحيران:" ..ثم بنى في السنة السابعة والمائتين والألف[5] قلة البرج الأحمر..."[6]، وذكر ذلك المزاري في مؤلفه قائلا:" .. ثم بنى في السنة السابعة والمائتين والألف قبة البرج الأحمر فزادت له رونقة لصعودها السماء مشرقة..."[7].

أصبح القصر مقر حكم وإقامة الباي محمد الكبير وللبايات من بعده طيلة 38 سنة[8]. في في عام 1831م غزت جنود الاحتلال الفرنسي وهران، ومن حينها أصبح القصر مقرا للحكام العسكريين الذين تداولوا على حكم المدينة، وثكنة عسكرية تضم - إضافة إلى العشرات من الجنود – مسؤولي معظم القطاعات العسكرية وقد أطلق عليه اسم فندق الفرقة العسكرية[9].

---

[1] - نذكر من بين هذه الأبراج؛ برج العيون وبرج بوبنيقة وبرج اليهودي وبرج الفرنسيس وقلعة مرجاجو.

[2] - Fey,H. Histoire d'Oran, P.194.

[3] - حول التفاصيل الواردة في اللوحة أنظر: - Hontabat, Op.Cit., P.234.

[4] - يقصد بالمدينة القديمة الأحياء التي بنيت قبل 1792م على الضفة الغربية من وادي الرحى والتي أتى زلزال 1790م على معظم مبانيها، أما المدينة الجديدة فهي التي شرع الباي محمد الكبير في بناءها على الضفة الشرقية من وادي الرحى.

[5] - الموافق لـ1792-1793م.

[6] - الزياني، المصدر السابق، ص202.

[7] - المزاري، المصدر السابق، ص293.

[8] - Pièsse,L. Op.Cit., P.212.

[9] - يذكر المؤلف الفرنسي كروك أن القصر الجديد استقبل في حينه 600 رجل من جنود الاحتلال كما جهز داخله مستشفى من 200 سرير. Cruck, E., - E., Oran et les témoins de son passé, imprimerie Hientz freres, Oran, 1956, P.51,53.

خلال فترات متباينة ولاسيما سنة 1882م وسنة 1906م همّت سلطات الاحتلال بإزالته بغية شقّ طريق واسع وتوسيع المدينة الجديدة[1].

لقد تعرض هذا المعلم التاريخي المهم أثناء فترة الاحتلال الطويلة إلى الكثير من التغييرات والإضافات أفقدته جانبا هاما من أصالته، فنقلا عن أحد الضباط الفرنسيين – الذين أقاموا بالقصر – يذكر كروك (Cruck) أن أقسام القصر خضعت منذ الغزو مرات عديدة للتعديل لجعلها تتلاءم مع متطلبات الحياة الأوربية، وعلى فترات متعددة تمّ ترميم القصر في مجموعه[2].

بعد سنة 1962م، صار مجمع القصر الجديد – بما في ذلك قصر الباي – تابعا لمؤسسة الجيش إلى غاية 1970م، ثم ترك بدون وصاية معرضا لمختلف أشكال النهب والتخريب، وفي خضم هذه الوضعية الكارثية التي كان يمر بها الموقع، قررت السلطات المحلية عام 1974م بناء فندق ضخم في قلب القصر الجديد يضمّ 21 طابقا[3]، مما زاد في تأزم الوضع بسبب الآليات الثقيلة المستعملة من جهة، وعمال البناء من جهة أخرى، الذين اتخذوا من قصر الباي مرقدا لهم ولسنوات عديدة، تعرض المعلم أثناءها للسرقة والتشويه.

وفي عام 1990، صنف القصر كمعلم تاريخي، وأصبح مقرا للدائرة الأثرية بوهران، ومازال كذلك إلى اليوم.

## 2- **المظهر الخارجي للقصر:** (المخطط 18- الصورة 48 و50).

يقع القصر محل الدراسة في الجهة الجنوبية الغربية من القصر الجديد، يمتد من الجنوب إلى الشمال على شكل شبه منحرف، يبلغ طول قاعدته الكبرى حوالي 90م والصغرى حوالي 40م، وتقدر مساحته بـ4000م2، يتخذ سطحه انحدارا متدرجا من أعلى إلى أسفل، أي من الجنوب إلى الشمال، مشكلا ثلاثة مستويات طبوغرافية، ويرتفع المبنى على منحدر ترابي[4] مقام على جوانبه سور القصر الجديد[5] البالغ متوسط ارتفاعه 12م، والمبني من حجارة مصقولة، أبعادها المتوسطة تقدر بـ50سم X 50سم X 40سم.

---

1 Chaila,H., Histoire d'une ville, Edik, 2 E., 2002, P.62. -Cruck,E. Op.Cit., P.56.

2 - Ibid, P.53.

3 - لحسن الحظ تدخلت السلطات الولائية وأوقفت الأشغال بهذا الفندق لخطورته على هذا المعلم الأثري الهام.

4 - تعسر علينا التأكد من طبيعة الأرض التي بني عليها القصر هل هي نتاج ردم أم أرضية أصلية، إلا أننا نميل إلى الاحتمال الثاني.

5 - تمّ بناء هذا السور من طرف الأسبان خلال احتلالهم الأول للمدينة(1509-1708م).

يتكون القصر من عدة أقسام (أجنحة) هامة وهي الديوان ودار الإقامة والمبنى المفضل ودار الضيافة(الدويرة) والحمام إضافة إلى الحديقتين اللتان تعدان عنصر اتصال بين الأقسام المذكورة.

وعلى غرار قصور ودور العهد العثماني في الجزائر – التي تميز مظهرها بالبساطة والتواضع – حيث كان الاهتمام ينصب بصفة خاصة على الداخل – جاءت جدران قصر الباي ساذجة وعاطلة عن الزخرفة فيما عدا الاطناف التي تحدد مستويات المبنى، والنوافذ - التي تفتح كثيرة – معظمها غير أصلي. ونظرا للإضافات والتغييرات التي لحقت القصر فان مظهره بدا من الخارج مشوها.

## 3 – المدخل: (المخطط 28-الصورة 51).

هو عبارة عن مدخل غير بارز يتوسط تقريبا الضلع الشمالي للقصر، يقدر اتساعه بـ2.67م وارتفاعه بـ2.97م، مشكل من عقد منكسر متجاوز يرتكز على دعامتين مستطيلتين، يتقدم حجرة شبه مربعة مقاساتها 3.66 X 3.14م، مفتوحة من جهة الجنوب على حديقة كبيرة بباب ذي عقد منكسر متجاوز أيضا، لهذه الحجرة إيوان مقتضب يقع إلى اليسار عمقه 0.82م وعرضه 2.06م، بحائطه الشرقي باب مسدود كان يفضي إلى غرف مجاورة انهارت سقوفها و جزء من جدرانها. ونجد إلى اليمين من حجرة المدخل وفي منتصف الجدار الغربي بابا صغيرا لغرفة ضيقة طولها 2.85م وعرضها 1.75م وارتفاعها 2.33م، ذات سقف نصف اسطواني، يبدو أنها كانت معدة للحراسة، ويتخلل الغرفتين قبو صغير.

تخلو واجهة المدخل – على غير العادة – من الزخرفة فيما عدا الخطوط المستقيمة التي تشكلها البروزات، وإفريز القرميد نصف الأسطواني المتطابق المكوّن لتكرارات أفقية أعلى الحائط.

## 4 – أجنحة القصر وملحقاته: (المخطط 18)

### 1.4 - الديوان: (المخطط 19 - الصورة 52).

يعدّ الديوان أهم أجنحة القصر باعتباره قاعة استقبال ومقرا للحكم، كما قد يتخذ كمحكمة[1]، يقع في الناحية الشرقية ويشرف على الحديقة الكبرى، نرتقي إليه عبر درجتين، يبلغ ارتفاع الواحدة 15سم.

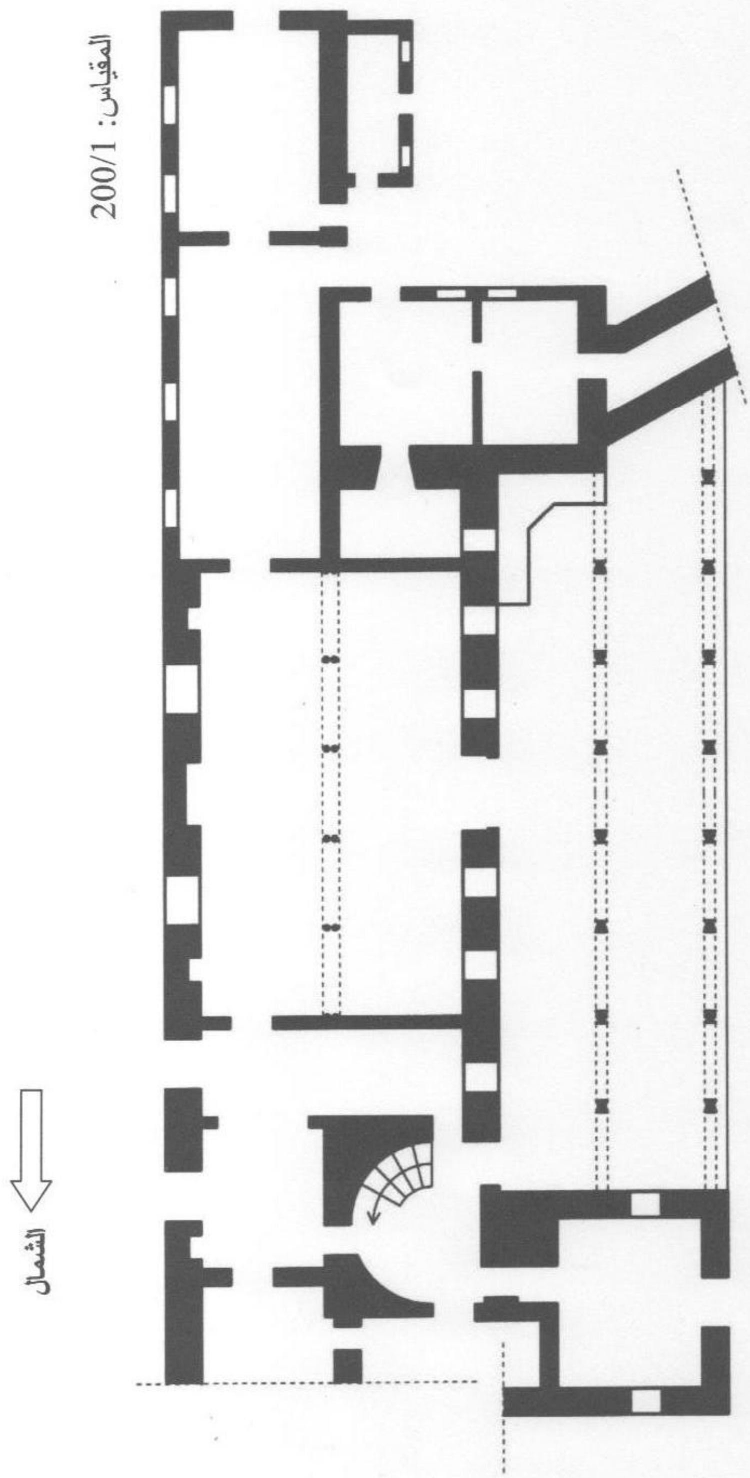
يتقدم قاعة الديوان رواق مكون من صفين من الأعمدة (الصورة 53 و54)، طوله 22.40م وعمقه 6.80م، أما الصف الأول المتوج للواجهة فيتشكل من تسعة عقود منكسرة متجاوزة، تستند على ثمانية أعمدة أسطوانية من الرخام الأبيض، أما الصف الثاني فمكون من ثمانية عقود محمولة على سبعة أعمدة، تبلغ المسافة بين الصفين 3.04م، أما المسافة بين الأعمدة فتتراوح ما بين 2.61م و2.66م، ونجد في الجهة الجنوبية الشرقية من الرواق مصطبة ارتفاعها 60سم، بينما يبلغ عمقها 90سم.

ندخل إلى قاعة الديوان عبر مدخل اتساعه 1.94م وارتفاعه 2.26م، وينبغي أن نسجل هنا أن اتساعه من الداخل مختلف قليلا؛ إذ يبلغ 2.42م، ومرجع ذلك - كما نعتقد – إلى التجديدات التي تمت خلال فترة الاحتلال. يكتنف المدخل عن اليمين وعن اليسار ست نوافذ.

1 - Golvin, L. Palais et demeures d'Alger, P.91.




مخطط 18: قصر الباي وملحقاته.




مخطط 19: مبنى الديوان وملحقاته.

(عن الطالب)

قاعة الديوان هذه مستطيلة الشكل، طولها 14.04م وعرضها 8.24م، ذات مساحة تقدر بـ115.69م2، ارتفاعها الحالي 4م، يقوم في منتصفها صف من ستة أعمدة مزدوجة من الرخام تحمل خمسة عقود منكسرة متجاوزة. هذا الصف من الأعمدة يقسم القاعة إلى قسمين متقايسين (الصورة 56). ويكون المعماري قد لجأ إلى هذه التقنية لتوزيع ثقل السقف المسطح على الجانبين.

وبالنسبة لأرضية القاعة، فهي مشكلة من عوارض خشبية رفيعة وضعت أثناء فترة الاحتلال وترتفع عن الأرضية الأصلية بـ30سم (الصورة 66)، ويبدو أن ساكني القصر من الفرنسيين لجأوا إلى رفع أرضية القاعة لجعلها في مستوى واحد مع أرضية الرواق.

فتحت نافذتان كبيرتان في حائط القاعة الشرقي، تتوسطهما مدفأة حديثة من الرخام الأبيض تعلوها خزانة جدارية اتساعها 2م وعلوها 1.82م ذات عمق يقدر بـ0.47م. ويعتقد أن هذا المكان هو عبارة عن إيوان صغير كان مخصصا لجلوس الباي، وعن يمين ويسار النافذتين الكبيرتين نجد خزانتين جداريتين أصليتين اتساعهما 0.80م وعلوهما 1.20م وعمقهما 0.45م.

للقاعة بابان آخران، يقع الأول في الحائط الجنوبي قريبا من الركن الجنوبي الشرقي مقاساته 1.55م X 1.37م، أما الثاني فيقع في الحائط المقابل قريبا من الركن الشمالي الشرقي له نفس مقاسات الباب الأول، يعلوهما عقد منكسر متجاوز، إلا أننا نعتقد أن هذين البابين غير أصليين على الأرجح.

يكسو جدران القاعة بلاطات خزفية وذلك إلى ارتفاع 2.58م، تمثل تجميعات من أربع مربعات خزفية من عدة أنواع، أما أعلى الحوائط فنجد رسومات جدارية مختلفة، كما أن السقف هو الآخر مزخرف برسومات متعددة على أرضية جصية رفيعة، وجميع هذه الرسومات استحدثت خلال زمن الاحتلال.

والواقع أن هذه القاعة تعرضت لبعض التغييرات وذلك بغرض تكييفها مع الاستخدامات الجديدة للاحتلال، وأهمها تقليص مساحتها من حيث الطول، فالحائط الجنوبي والشمالي مستحدثان، ويتضح هذا الأمر من خلال فحص مادة البناء المستخدمة والمختلفة تماما عن مادة البناء الأصلية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى لاحظنا أن الأعمدة المزدوجة

المتطرفة – والتي سبق الإشارة إليها – مندمجة تماما مع الحائطين، وهذه الظاهرة لم نعهدها – على الأقل – في قصور ومساكن الجزائر خلال العهد العثماني، وبالرجوع إلى النوافذ الستة التي تكتنف المدخل، نجد أربعة منها فقط تنفتح من القاعة، أما النافذتان الأخريان فتنفتحان من حجرتين مجاورتين واللتان نعتقد أنهما كانتا في الأصل امتدادا لقاعة الديوان ، وبناء على ما سبق فإننا نرجح أن طول القاعة كان يبلغ حوالي 20م (المخطط 20).

**2.4 – المبنى المفضل[1]:** (المخطط 21-الصورة 50 و57).

يحتل هذا المبنى الجهة الجنوبية من القصر، مفصولا تماما عن باقي الأجنحة، يتكون من ردهة وغرفة وشرفة، يشغل مساحة تقدر بـ46م2، نرتقي إليه من الحديقة الصغرى عبر درج صاعد مشكل من سبع درجات، واجهته مزدانة بثلاثة عقود نصف دائرية تستند على عمودين رخاميين لهما تيجان كورنثية، يعلو العقود نتوء بارز عاطل عن الزخرفة يمتد إلى باقي الجهات، يليه نتوء آخر أكثر بروزا يبدو من مواد بنائه أنه غير أصلي[2]، وتنتهي الحوائط بشرّفات مسننة.

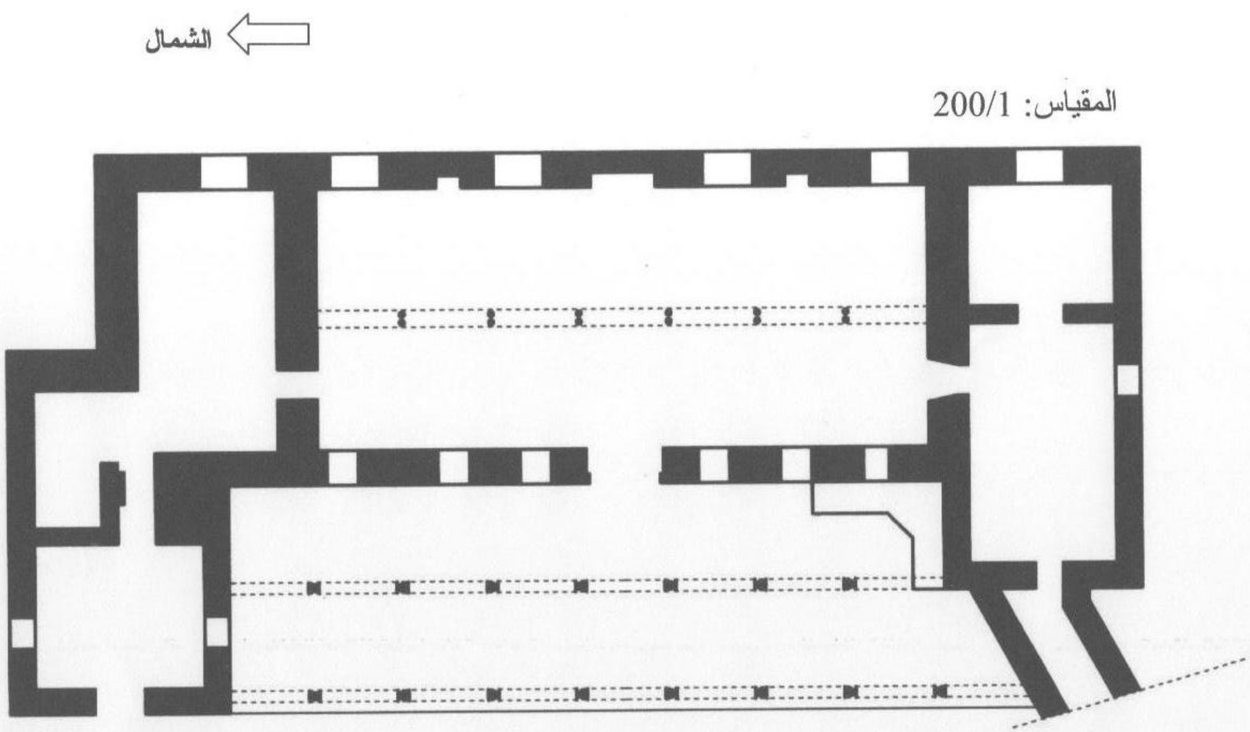
يتقدم الغرفة ردهة مستطيلة الشكل مساحتها 8.75م عرضا و2.95م عمقا أما ارتفاعها فيصل إلى 3.89م، لها نافذتان متقابلتان تفتح الأولى على الجهة الغربية بينما تفتح الثانية على الجهة الشرقية أبعادهما 1.08م في 0.68م يعلوهما عقد إهليليجي.

---

[1] - أطلقنا على هذا القسم من القصر اسم المبنى المفضل لعدة اعتبارات ومنها الموقع الهام الذي يحتله وجمال عقوده وزخارفه ودقة بناءه، الأمر الذي يجعله مميزا وذو مكانة خاصة لدى البايات الذين تعاقبوا على السكن بهذا القصر باعتباره إقامة فاخرة وفي مقدمة هؤلاء البايات الباي محمد الكبير مؤسس القصر، وقد سمّاه الفرنسيون مبنى المفضلة ضنّا منهم أنه كان مخصصا لإحدى المحظوظات من زوجات الباي، ويبدو أن هذه التسمية غير مناسبة خاصة إذا علمنا أن الباي محمد الكبير اشتهر بزهده وتدينه، مما دفع البعض إلى تسمية هذا القسم بمبنى المعتكف. وعطفا على ما ذكرناه من قبل ننوه أن تسمية"جناح المفضلة" أطلقت أيضا على أحد أقسام قصر الباردو، وقد عقب الأستاذ كولفان على هذه التسمية(على الهامش) قائلا أنها" من وحي الخيال الغربي".أنظر:-
Golvin, L. Palais et demeures d’Alger à la période ottomane, P.100,106.

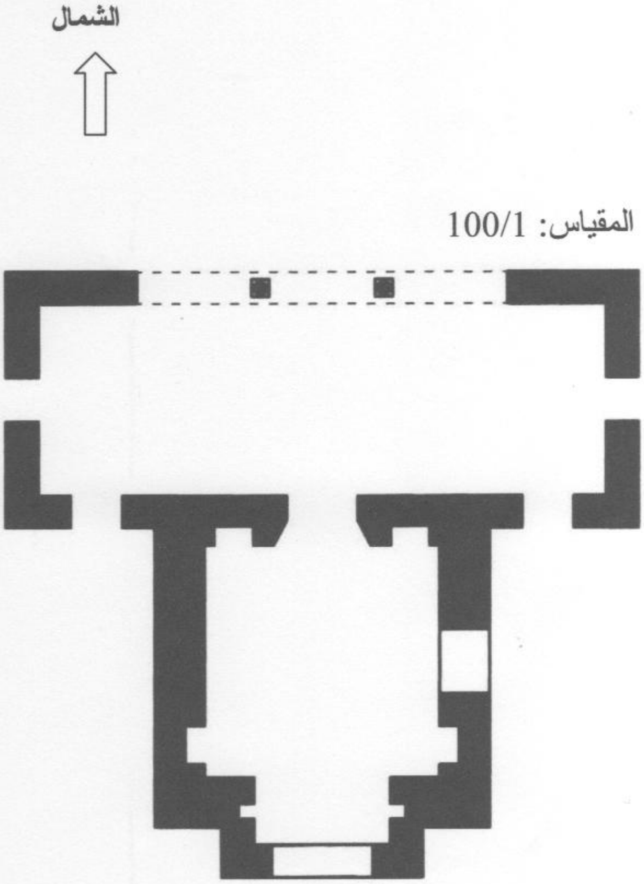
[2] - لاحظنا في جزء منه ظهور الاسمنت وقضبان الحديد.

المقياس: 200/1



مخطط 20: مبنى الديوان وملحقاته (إعادة تصور).

(عن الطالب)




مخطط 21: المبنى المفضل.

(عن الطالب).

بلطت أرضية الردهة بمربعات حديثة، أما السقف فهو خشبي مزدان بزخارف متنوعة مستحدثة.

يشغل الحائط الجنوبي للردهة ثلاثة أبواب؛ الجانبيان منها يفتحان على شرفة المبنى مقاساتهما متقاربة؛ 2م X 0.84م و2.03 X 0.79م، يعلوهما زخرفة جصية مقولبة على شكل عقد ، وهي تعد من الإضافات التي تمت خلال فترة الاحتلال.

يحتل الباب الثالث منتصف الحائط، يبلغ علوه 1.72م واتساعه 1.09م متوج بعقد منكسر متجاوز، تعلوه هو الآخر زخرفة جصية مقولبة، وعبر هذا الباب نصل إلى غرفة مربعة ترتفع عن الردهة بدرجة واحدة (17سم) مساحتها 3.63م X 3.61م وارتفاعها 3.46م، لها نافذة في حائطها الغربي أبعادها 1.22م X 1م، يعلوها عقد منكسر متجاوز، كما لهذه الغرفة أربع خزائن جدارية تتوزع على حوائطها متوجة كلها بعقد إهليليجي.

تمتد هذه الغرفة جنوبا مشكلة إيوانا عرضه 2.11م وعمقه 1.04م تفتح في حائطه الجنوبي نافذة تأخذ شكل عقد منكسر متجاوز اتساعه 1.98م، كما يوجد بهذا الإيوان فتحتان مستطيلتان غائرتان تحتلان أسفل الحائطين الأيمن والأيسر، ومن المرجح أنهما استعملتا لوضع المصابيح.

زينت الحوائط العليا بزخرفة جصية حديثة، أما السقف فهو خشبي تكسوه زخارف نباتية وهندسية جميلة تعود كلها إلى الحقبة الاستعمارية[1]، أرضية الغرفة مبلطة ببلاطات من الرخام الأبيض والأسود تبدو غير أصلية.

يحيط بهذه الغرفة من الخارج من ثلاث جهات شرفة يقدر عمقها بـ 1م، ذات درابزين معدنية حديثة تعلوها أقواس منكسرة متجاوزة ذات ظلّة إنسيابية من الخشب أرضيتها مبلطة ببلاطات مربعة مقاساتها 21سم X 21سم وحجارة مهذبة كبيرة الحجم تحتل الأطراف.

يشغل هذا المبنى موقعا إستراتيجيا هاما من خلال إشرافه على المدينة من كل جهاتها، وتعتبر غرفته أهم الغرف حيث تأخذ اتجاها شماليا يسمح بتلقيها نسمات البحر الرطبة ويمنع عنها هبوب الرياح الساخنة الآتية من الجنوب صيفا، كما أنها تستفيد من أشعة الشمس في الشتاء عبر نافذة الإيوان الكبيرة المفتوحة في الحائط الجنوبي لأن الشمس تكون في ذلك

[1] - يذكر كروك(Cruck) أن زوجة أحد الجنرالات الذين أقاموا بالقصر كانت فنانة ورسامة وذات موهبة عالية، قامت سنة 1929م بإعادة زخرفة السقف.- Cruck, E. Op.Cit, P.50.
ويعتقد البعض الآخر أن السقف الأصلي نقل بكامله إلى مكان ما وعوض بآخر خلال الحقبة الاستعمارية، وهذا ما نميل إليه.

الفصل عمودية على مدار السرطان، وبالتالي تأتي الأشعة مائلة لا يحول دونها شيء، أما صيفا – حيث الحرارة شديدة – فإنها تتقي أشعة الشمس المحرقة لأنها تكون – تقريبا – فوق خط الاستواء، وبالتالي تكون الأشعة عمودية على المبنى.

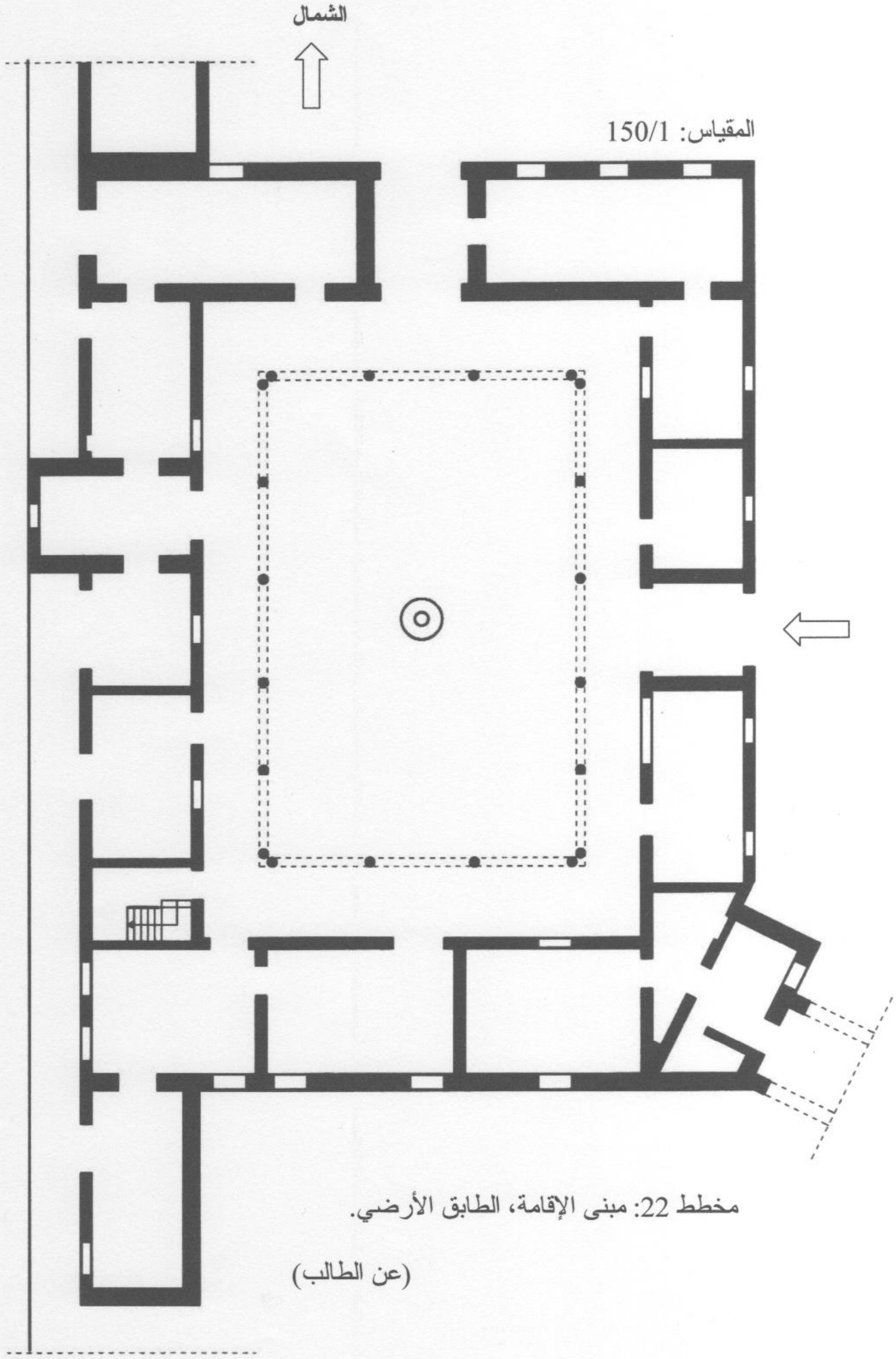
### 3.4 – مبنى الإقامة: (المخطط 22-الصورة 58).

يقع هذا الجناح في الجهة الغربية من القصر قبالة الديوان، تفصل بينهما الحديقة الكبرى، يحتل مساحة تقدر بحوالي 870م2، مكون من طابقين، كان مخصصا لإقامة الباي وأسرته، أطلق عليه الفرنسيون اسم الإقامة الزرقاء[1]، وقد تعرض هذا القسم الهام من القصر إلى تغييرات كثيرة أفقدته صورته الأصلية تقريبا وخاصة الطابق العلوي منه[2]، بحيث أصبح من الصعب إعادة تصور تقريبي لما كان عليه سابقا.

للمبنى مدخل بسيط يتوسط الحائط الشرقي ويفتح على الحديقة الكبرى اتساعه 2.07م وارتفاعه 2.32م، له عقد موتور نصل من خلاله إلى ردهة مربعة مساحتها 2.71م X 2.71م، نلاحظ أنها مفتوحة مباشرة على الصحن بحيث يمكن لمن في ظاهر الدار من رؤية من في داخلها، وكان المعمار المسلم عادة ما يعمد إلى عمل انكسار في مدخل الدار فينحني الداخل من الباب الرئيسي إما يمينا وإما شمالا، وهذا الأمر يدفعنا إلى الاعتقاد أن هذه الردهة التي تلي المدخل لم تكن مفتوحة أصلا على الصحن إنما استحدثت من قبل الفرنسيين (المخطط 23).

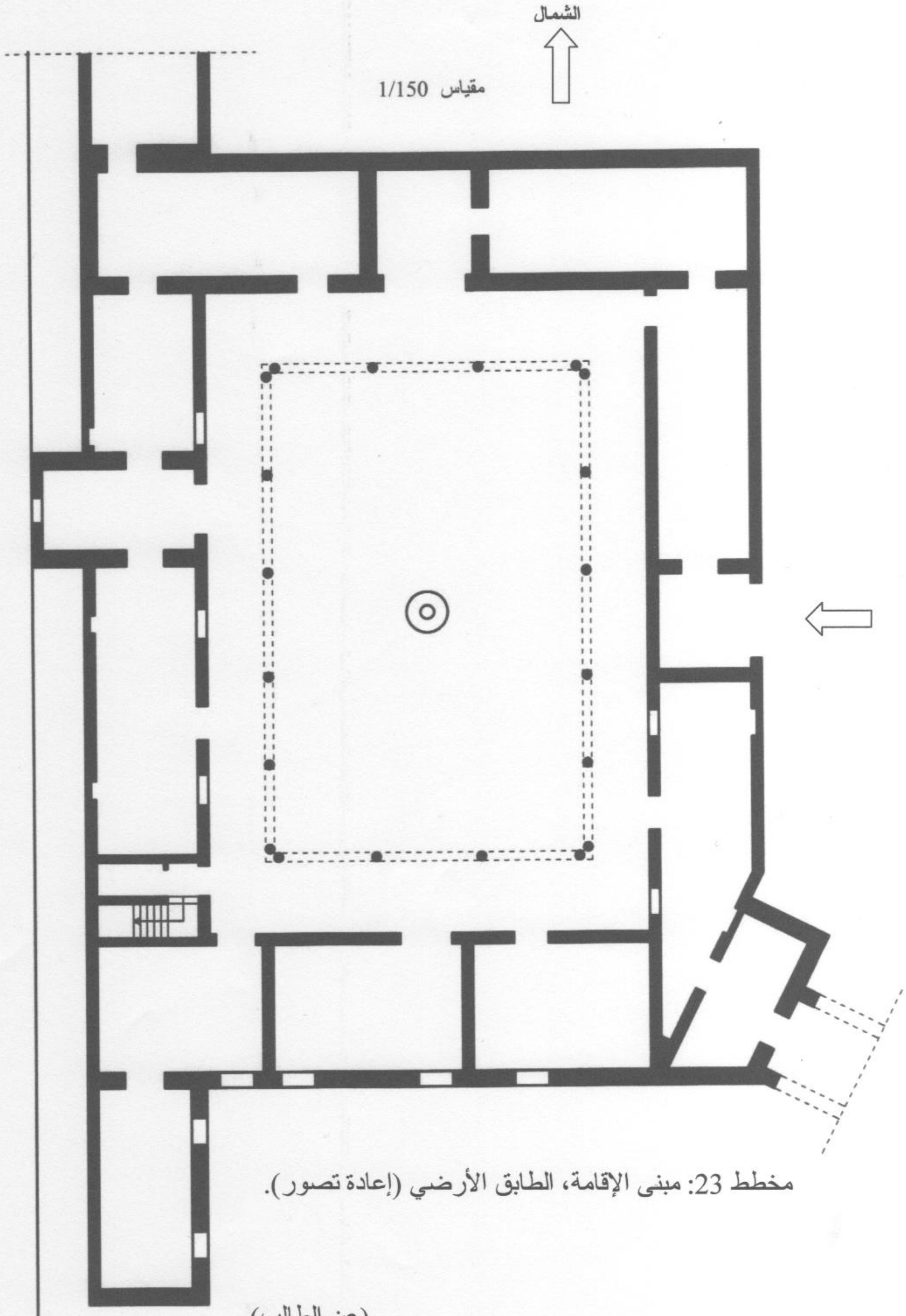
[1] - يعتقد البعض أن الصحن كان عبارة عن حوض مائي كبير تربى بداخله الأسماك، إلا أن هذه المعلومة غير الموثقة لم نأخذها بعين الاعتبار. وربما سمي هذا المبنى بـ" الإقامة الزرقاء" نظرا للبلاطات الزرقاء التي مازالت تغطي أرضية الصحن والتي ترجع بدون شك إلى فترة الاحتلال (الصورة 59).

[2] - أشار بعض الكتاب الفرنسيين إلى ما لحق المبنى من تشويه ومنهم بييس(Pièsse). أنظر:- Pièsse, L. Op.Cit, P.213.




مخطط 22: مبنى الإقامة، الطابق الأرضي.

(عن الطالب)




مخطط 23: مبنى الإقامة، الطابق الأرضي (إعادة تصور).

(عن الطالب)

و" يعد المدخل المنكسر سمة من سمات العمارة السكنية الإسلامية ويتجاوب مع القيم الروحية للمسلمين، ويعكس رؤيتهم للعلاقة الاجتماعية وتجسيد نظرتهم للحياة الأسرية القاضية بالحفاظ على أسرارها وحماية حريتها الخاصة من عيون المارة وسكان المنازل المقابلة إذا خرجوا أو وقفوا بالأبواب أو أشرفوا"[1].

نصل إلى غرفة يمين الردهة عبر باب يفتح على الرواق بدلا من الباب الذي من المفترض أن يكون في حائطها الجنوبي، مقاسات هذه الغرفة هي 7.86م في 2.70م مقسمة إلى جزأين عبر جدار سمكه 20سم، ومن المرجح أن تمثل هذه الغرفة السقيفة الكبرى، فغالبا ما تقترن سقائف المساكن والقصور بالجزائر خلال الفترة العثمانية بالمداخل[2]، إلا أننا نسجل هنا خلوها حاليا من المقاعد. لهذه الغرفة ثلاث نوافذ؛ اثنتان منها تفتح على الحديقة الكبرى بينما تفتح الثالثة على الصحن.

وكانت تتكون مساكن وقصور الجزائر أثناء العهد التركي غالبا من سقيفتين اثنتين تتخذان موقعا على غاية من الأهمية حيث تأتيان مباشرة بعد المدخل، وفي هذا الصدد يقول الأستاذ عقاب:" ومهما كان موقعها، فهي تأتي مباشرة بعد البوابة الرئيسية للقصر وهذه تسمى بالسقيفة الأمامية أو الصغرى، بينما السقيفة الأساسية التي تأتي بعدها تسمى بالسقيفة الكبرى"[3]. وهذا فعلا ما نلاحظه في قصر عزيزة وقصر حسن باشا وقصر الدار الحمراء ودار الداي حسين على سبيل المثال[4].

أدت السقيفة وظائف متعددة، ففيها يستقبل السيد ضيوفه وينجز أعماله[5]، كما يمكن اعتبارها قاعة انتظار للزوار[6]، ولا تخرج السقائف عموما عن دائرة هذه الوظائف.

ولما كانت السقيفة بهذه الأهمية، أولاها المعمار المسلم عناية معمارية وفنية خاصة، فأنشأ بها مقاعد للجلوس موزعة على جوانبها تفصل بينها أعمدة مزدوجة، ويعلو كل مقعد عقد إهليليجي وتبلط أرضيتها بالقطع الرخامية أو الحجرية، وكسا حوائطها السفلى ومقاعدها

---

[1] - لعرج عبد العزيز، المباني المرينية، ص389.
[2] - عقاب محمد الطيب، قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، رسالة دكتوراه، الحلقة الثالثة، جامعة الجزائر، 1985م، ص43.
[3] - نفسه، ص43.
[4] - أنظر: - Golvin,L. Palais et demeures…, P.79,111
[5] - Dr.Shaw, Voyage dans la régence d'Alger, traduit de l'Anglais par J.Maccarthy, Paris, 1850, P.97.
[6] - Golvin, L. Op.Cit, P.79.
- Marçais, G. L'architecture…, P.441.

بالمربعات الخزفية الجميلة، أما مدخلها فشكّل إطاره من الرخام أو الحجر المزخرف وجعل سقفها متقاطع الأضلاع[1].

وتعتبر السقيفة إلى حد ما عنصرا جديدا في تصميم المسكن بالجزائر عكس العناصر الأخرى الموروثة عن العمارة المغربية الأندلسية[2]. وقد عرفتها تونس أيضا مع بعض الاختلاف، حيث كانت توجد سقيفة واسعة تدعى "دريبة" تليها سقيفتان أخريان[3].

إلى اليسار من المدخل نجد غرفة مستطيلة مقاساتها 5.72م عرضا و2.81م عمقا، ننفذ إليها عبر باب يفتح على الرواق، لها هي الأخرى ثلاثة نوافذ، واحدة تشرف على الصحن والأخريان تشرفان على الحديقة الكبرى.

ويضم الجانب الشمالي من المبنى غرفتين تتوسطهما ردهة، مقاسات الغرفة اليمنى تبلغ 6.95م X 3.10م، لها بابان واحد متصل بالسقيفة وباب ثاني يفتح على الردهة وثلاث نوافذ تشرف جميعها على الخارج ناحية الشمال، يوجد في منتصف جدارها الجنوبي مدخنة مما يرجح أنها كانت عبارة عن مطبخ، الغرفة الأخرى مستطيلة الشكل أيضا عرضها 7.07م وعمقها 3.15م، لها مدخلان، بينما يفتح الأول على الصحن، يفتح الثاني على غرفة مجاورة بالجانب الغربي، مع ملاحظة باب مسدود عند الركن الشمالي الغربي كان يفضي مباشرة إلى الحمام. للغرفة نافذة في حائطها الشمالي وشرفة تطل على الناحية الغربية.

أما الردهة التي تتوسط الغرفتين؛ فشبه مربعة إذ تبلغ مساحتها 3.07م X2.76م، لها مدخل أول يفتح على الرواق اتساعه 2.39م وارتفاعه 2.48م ومدخل ثان غير أصلي في الجهة الشمالية مقاساته 1.41م اتساعا و1.56م ارتفاعا له باب حديدي من مصراعين[4].

تتوزع في الجانب الغربي من مبنى الإقامة ثلاث غرف متباينة المساحة، أما الأولى المتصلة بالغرفة الشمالية السابق ذكرها فمساحتها 4.65م X 2.94م لها نافذة تفتح على الصحن وموقد تمتد منه مدخنة في جدارها الغربي لم نتأكد من أصالتهما، وخزانة جدارية حديثة أبعادها 55سم X 49سم، تتصل هذه الغرفة عبر باب بالغرفة المجاورة التي يبلغ

---

[1] - استقينا هذه الخصائص والمميزات من قصور ومساكن مدينة الجزائر ولتفاصيل أكثر أنظر:- محمد الطيب عقاب، قصور مدينة الجزائر.
- Golvin, L. Palais et demeures d'Alger.

[2] - Marçais, G.l'Architecture…, P.442.

[3] - Ibid, P.478.

[4] - المدخل بهذا التصميم لا يحقق وظيفة المدخل المنكسر الحافظ لأسرار البيت، لذا اعتقدنا أنه حديث.

عرضها 4.32م بينما يبلغ عمقها 2.50م، مقسمة حاليا إلى جزأين بواسطة حائط سمكه 7سم، لها إيوان أقل غورا وعمقا في الناحية الغربية وبها باب يشرف على الصحن وباب آخر يفتح على الغرفة الثالثة ونافذة تطل على الخارج.

حافظت هذه الغرفة على جزء من سقفها الأصلي[1] المكون من أعمدة العرعار، يصل ارتفاعها إلى 2.59م. إن ارتفاع هذه الغرفة أمدنا بفكرة واضحة عن ارتفاع جميع غرف هذا الطابق، والذي نعتبره ارتفاعا محدودا إذا ما قورن بارتفاع قاعة الديوان والمبنى المفضل وأيضا غرف قصور ومساكن مدينة الجزائر أثناء العهد العثماني[2]، حيث كان من الممكن انجاز فتحات فوق الأبواب والنوافذ لتشكل منها الشمسيات المعروفة، وهذا ما لا يمكن للمعمار انجازه في ارتفاع يقل عن الثلاثة أمتار كما هو الحال في الطابق الأرضي لهذا الجناح.

أما الغرفة المحاذية لها فأكبر مساحة، حيث تبلغ 8.16م طولا و3م عرضا، قسمت – هي الأخرى – أثناء فترة الاحتلال إلى قسمين بواسطة حائط سمكه 7سم، لها باب ونافذتان تشرف على الصحن، كما لها شرفتان تطلان على الخارج، وخلف هذه الغرفة مباشرة وفي الجهة الجنوبية يوجد السلم الموصل إلى الطابق الأول.

ونجد في الجانب الجنوبي من المبنى ثلاث غرف تفتح على الصحن، أما الأولى فمستطيلة الشكل مساحتها 4.60م X 3.72م لها باب يفتح في جدارها الشرقي ونافذتان؛ واحدة تشرف على الصحن والثانية على الحديقة الصغرى، تجاورها غرفة أخرى مستطيلة الشكل أيضا مقاساتها 5.49م X 3.72م ذات مدخلين واحد يفتح على الصحن والثاني على غرفة مجاورة، كما لها نافذتان تطلان على الحديقة الصغرى، يلي هذه الغرفة غرفة ثالثة مساحتها 4.84م X 3.72م تتصل بالرواق عبر باب يفتح في ركنها الشمالي الشرقي تشرف على الخارج من خلال نافذتين في جدارها الغربي وعلى الحديقة الصغرى عبر نافذة في جدارها الجنوبي، بها باب في حائطها الجنوبي يفتح على غرفة رابعة يبلغ طولها 5.80م وعرضها 2.78م لها شرفة ونافذة في حائطها الغربي تشرفان على الخارج.

---

[1] - نشير هنا أن جميع أسقف الغرف السابقة غير أصلية.
[2] - يصل ارتفاع معظم غرف دار الداي حسين بالضاحية-مثلا- إلى حوالي 3.80م، بل ومن الغرف ما يصل ارتفاعها إلى 4م.

نصل إلى الطابق الأول عبر سلم في الركن الجنوبي الغربي مكون من 14 درجة وثلاث بسطات محفوف بدرابزين معدني حديث.

يصل عدد غرف هذا الطابق إلى 17 غرفة مختلفة المقاسات تتوزع حول الأروقة المفتوحة على الصحن من ثلاث جهات، ومعظم هذه الغرف حديثة.

تقع في الركن الجنوبي غرفة مستطيلة الشكل مساحتها 3.22م X 2.84م لها ثلاثة أبواب واحد يفتح على الصحن وثان يفتح على غرفة شرقية وثالث على غرفة جنوبية، كما يوجد بجدارها الغربي نافذة واحدة تشرف على الحديقة الصغرى.

من خلال هذه الغرفة نصل إلى غرفة تقع إلى الجنوب منها حافظت على بعض عناصرها المعمارية مساحتها تقدر بـ 3.07م X 2.90م ويصل ارتفاعها إلى 2.83م ذات إيوان عمقه 1.17م تكتنفه خزانتان جداريتان صغيرتان أبعادهما 40سمX 35سم يعلوهما عقد إهليليجي، ونظرا لموقعها الممتاز ولاحتوائها على إيوان نرجح أنها كانت تعد من الغرف المهمة، وربما استعملت كحجرة لنوم الباي وراحته.

يلي هذه الغرفة غرفة أخرى جنوبا، نصل إليها عبر باب، طولها 2.85م وعرضها 2.53م وارتفاعها 3.03م، لها خزانة جدارية مقاساتها 1.12م اتساعا و0.83م ارتفاعا، ويبدو أنها كانت نافذة ثم سدّت حديثا، كما يوجد في جدارها الجنوبي آثار لنافذة مسدودة كانت تطل على الحديقة الصغرى أبعادها 0.62مX 0.58م لها سقف يبدو أنه أصلي.

وتتميز القصور والمساكن في الجزائر خلال الفترة العثمانية عامة باشتمالها على "وسط الدار" أو صحن مركزي مكشوف تتوسطه نافورة محاط بأروقة تتوزع حولها الغرف ذات سطوح أفقية مستوية (المخطط 24-25-26)، وهذا التصميم "المتطور" يتجاوب مع الظروف المناخية التي تميز منطقة البحر الأبيض حيث الحرارة مرتفعة نسبيا وأشعة شمس معتبرة إضافة إلى أمطار قليلة وغير منتظمة. ومن هذا المنطلق قام الصحن بعدة أدوار أهمها المحافظة على الاتصال المباشر بالهواء الطلق والسماء الزرقاء وما يستمد منها من نور وإضاءة والتخفيف من حدة الضوء الواصل إلى الأروقة والإقلال من نسبة الغبار المتطاير من الطرقات التي تحيط بالمبنى في الغالب والمحافظة على الدفء شتاء والرطوبة

صيفا[1]، علاوة على ما يمثله من مساحة فسيحة تسمح للأطفال بأخذ قسطهم من اللعب والمرح وللمرأة من الخروج دون أن تتوارى من أحد[2].

أما من حيث العامل الثاني الذي أثّر في تصميم المسكن فهو الحالة الاجتماعية، إذ بفضله تمّ المحافظة على حرمة الأسرة وأسرار وحرية أفرادها[3].

وثالث العوامل؛ العامل الديني الذي فرض على المعمار المسلم أن تكون عمارة الدار متفقة مع تعاليم الدين الإسلامي الداعية إلى عدم الاختلاط وكشف العورات[4].

وتجدر الإشارة إلى أن تصميمات القصور والدور بالجزائر أثناء الفترة العثمانية كانت ذات صلة قوية بالتصميم الشرقي، ويبدو ذلك واضحا من خلال الحفريات الأثرية التي أجريت في بلاد الرافدين بين عامي 1926م و1927م والتي كشفت عن مبان ذات طابقين بسلم داخلي وغرف تحيط بصحن مكشوف[5].

كما ساد في العهد الروماني نمط قريب الشبه بتصميم مباني مابين النهرين وذلك من خلال صحن مكشوف محاط بأروقة تتوزع حولها – أحيانا – قاعات متعددة الوظائف.

استمر التصميم الرافدي أثناء العهد الإسلامي، فتصميم قصر المشتى الذي يعدّ من بواكير العمارة الإسلامية ضمّ أفنية داخلية مكشوفة تتوزع حولها الحجرات[6]. وقد تطور التصميم فيما بعد إلى ما نراه في قصر الأخيضر بالعراق وبيوت الفسطاط بمصر، فتخطيط البيت الطولوني – كمثال – مكون من فناء مربع يتوسط البيت ويحده من جهة سقيفة تتقدم مجموعة من ثلاث غرف تتوسطها غرفة كبيرة عبارة عن إيوان مفتوح من جهة يكتنفها من جهتيها غرفة تفتح كل منها على السقيفة[7].

ساد في بلاد المغرب الأوسط[8] – أيضا – تخطيط مشابه مستوحى على الأرجح من المشرق، ففي سدراتة؛ ضمّ المسكن – عادة – عدة غرف تحيط بصحن مركزي غير فسيح مستطيل الشكل محاط بأروقة أحيانا[9]. كما عرفت أشير وقلعة بني حماد ذات التخطيط وان

---

[1] - عاصم محمد رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، ص167.

[2] - Golvin,L. Palais et demeures…, P.128.

[3] - لعرج عبد العزيز،المباني المرينية، ص582.

[4] - عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص239.

[5] - عقاب محمد الطيب، قصور مدينة الجزائر، ص38.

[6] - ثروت عكاشة، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، دار المعارف، مصر، الطبعة الأولى، 1981م، ص76.

[7] - كمال الدين سامح، العمارة الإسلامية في مصر، ص67، 68

[8] - كان البيت الإسلامي في الأندلس مكونا من صحن مركزي محاط أحيانا بأروقة، كما قد يوجد في بعض الأحيان صحن مركزي وحديقة. أنظر:- Barrucand, M. et autre, Op.Cit, P.217.

[9] - حول هذا الموضوع أنظر: Hamlaoui ,A., l'Art de Sedrata(X-XII S°), PP 39-64.

اختلاف في التفاصيل، حيث وجد صحن مركزي أو أكثر محاط بأروقة أو بدونها تتوزع حولها الغرف[1]. وشاع بتلمسان نفس التصميم تقريبا[2].

ومن المهم الإشارة هنا أنه ساد خلال القرنين 7 و8هـ/11 و12م مخطط مستطيل عبارة عن قاعات تحيط بصحن واسع كما القصور الأموية بالشام وكانت القاعات أكثر عرضا وأقل عمقا، وفي عمقها يوجد المخدع الذي يمتد على شكل مقدم مبنى الذي يذكرنا بذلك الذي بأشير والقلعة وبلارم[3].

هذه التصاميم المشار إليها لا تبتعد كثيرا في جوهرها عن تصميم قصور ومساكن مدن الجزائر ومليانة والمدية ومستغانم ووهران وقسنطينة خلال العهد العثماني. هذا التصميم الذي بالإمكان أن نميز فيه نمطين؛ نمط حضري ونمط ريفي، المتميز خاصة بمساحة البناء الواسعة غير المحدودة مما يسمح بالتمدد الأفقي في البناء وإضافة ملحق أو أكثر للمبنى والتي من ضمنها الجناح الإداري الذي يشتمل عادة على الديوان، وانفتاح النوافذ على الضاحية حيث لا وجود لمقابل، فكانت أكثر تعدادا واتساعا من مثيلاتها في المساكن الحضرية، إضافة إلى احتواء المسكن – غالبا – على حديقة أو أكثر.

ضمن هذا النمط ندرج قصر الباي محمد الكبير الذي احتفظ تصميمه بعناصره الأساسية التي يشترك فيها كلا النمطين والمتمثلة أساسا في الصحن المركزي المكشوف والأروقة المحيطة به من الجهات الأربعة إضافة إلى الغرف الموزعة حولها والسطح الأفقي والملحقات.

ونشير في هذا الصدد أن القصر يشبه - إلى حد ما – قصر الحاج أحمد باي بقسنطينة – الذي بني في فترة لاحقة – من حيث المساحة والتصميم وتعدد الأجنحة والعناصر المعمارية والزخرفة[4].

وخضع المسكن في تونس خلال نفس الفترة لذات المعايير والأسس العامة التي خضعت لها مساكن الجزائر؛ مدخل منكسر وصحن مركزي محاط بأروقة تتوزع حولها

[1] - أنظر: - بورويبة رشيد، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977، ص ص 251-272.
[2] - لعرج عبد العزيز، المباني المرينية، ص580.
[3] - Marçais,G. l'Art musulman, P90.
[4] - بني هذا القصر ما بين عامي 1826 و 1835م، وهو عبارة عن مستطيل واسع مساحته 5609م2، شيّد على أرض منحدرة يتكون من طابق واحد يضم يضم عدة أجنحة منها إقامة الباي ومقره المفضل ومقره الشتوي والحمام له حديقتين واسعتين وثلاثة صحون. لمزيد من التفاصيل أنظر:
- Feraud,C. Visite au palais de Constantine, E.Arnolet, Constantine, 1867.
- Marçais, G. L’architecture…, P.438.

الغرف، ويبقى الاختلاف في شكل الصحن وعدد الأروقة، إذ نلاحظ أن شكل الصحن جاء مستطيلا ومحاط برواقين فقط[1].

أما غرف القصر فتميزت عموما بالاستطالة إذا أخذنا في الاعتبار التغييرات الحاصلة أثناء الاحتلال، بينما عمقها لا يتعدى غالبا الثلاث أمتار، ذلك أن العمق يتحدد بمدى احتمال السقف الخشبي للثقل الموزع عليه من جهة، وبغية مجارات النمط العام للمساكن من جهة ثانية، واستغلال المساحة المتاحة حول الصحن استغلالا عقلانيا من جهة ثالثة. وان خاصية استطالة الغرف لم يعرفها المسكن الجزائري في العهد العثماني فحسب، إنما سادت من قبل حيث عرفتها بيوت سدراتة[2] والقلعة[3] وتلمسان[4]، كما عرفتها تونس والمغرب في نفس العصور، وعرفها أيضا المشرق الإسلامي، وهي باختصار خاصية عامة تميزت بها معظم المساكن والبيوت منذ العصور الإسلامية الأولى، بل وحتى الحضارات القديمة.

وتحتوي بعض الغرف – كما سبق وأن أشرنا – على أواوين قليلة الغور، اثنان منها تقع في مواجهة الباب المحوري، وعلى هذا الأساس كان الشكل العام لهاتين الغرفتين قريبا من التاء اللاتينية المقلوبة(T)، أي أن الغرفة ترتبط بشكل متعامد مع الايوان.

وإذا ما عدنا إلى الوراء، نجد أن الإيوان ظهر في الحضارات الشرقية القديمة كبلاد الرافدين، وأصبح تقليدا معماريا توارثته الأمم عبر العصور، وتصرفت فيه من حيث التخطيط والتركيب وكان يتخذ منه قاعة استقبال، ولهذا ظهر الإيوان جليا في العهد الساساني وأصبح قاعة حقيقية[5]. أما في العمارة الإسلامية فتجلى أول ما تجلى في قصور الأمويين ببادية الشام، لكن على غير صورته الأصلية، وتأكد تأثير الإيوان في العمارة المدنية إبان الدولة العباسية وكان يسبق – عصرئذ – برواق الذي يعتبر كمقدم قاعة حقيقي[6]، وكان يتوسط الغرف بمنازل الفسطاط غرفة كبيرة عبارة عن إيوان تسبقه شرفة مسقوفة تنفتح على الفناء ويواجه مجموع الغرف في الجهة المقابلة، أما الجهتان الأخريان فبكل منهما إيوان أقل عمقا من السابق[7].

---

[1] - Marçais,G. l'Architecture…, P478.
[2] - Hamlaoui, A. L'art de Sedrata, P.P.39-64, Fig, 3,5,8,9,12.
[3] - Golvin, L Recherche…, P.103
[4] - لعرج عبد العزيز، المباني المرينية، ص532.
[5] - Marçais,G. « Salle, anti-salle », in Annales de l'institut d'études orientales, T.10, Alger, 1952, PP274-276
[6] - Ibid, P280,283.
[7] - سامح كمال الدين ، المرجع السابق، ص69.

ومن مصر انتقل إلى بلاد المغرب لينتشر في أقطاره، حيث عرفته قصور أشير والقلعة وسدراتة[1].

أما في العهد العثماني هنا بالجزائر، فقد صار الإيوان عنصرا أساسيا في العمارة السكنية يسبق دائما بقاعة عميقة[2].

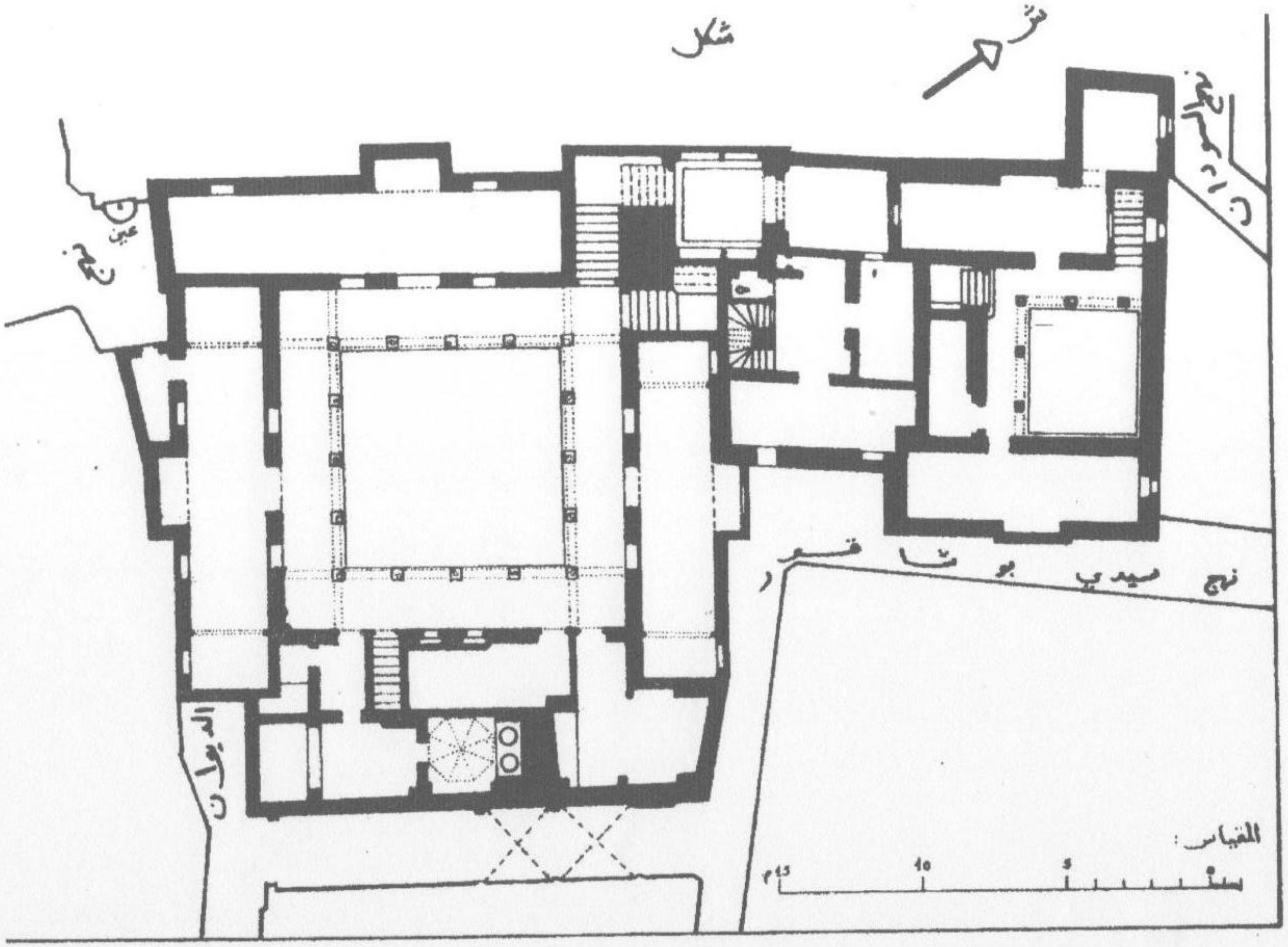
وكذلك كان الحال بالنسبة لتونس في ذات العهد، مع اختلاف نسبي في التركيب والتخطيط[3].

---

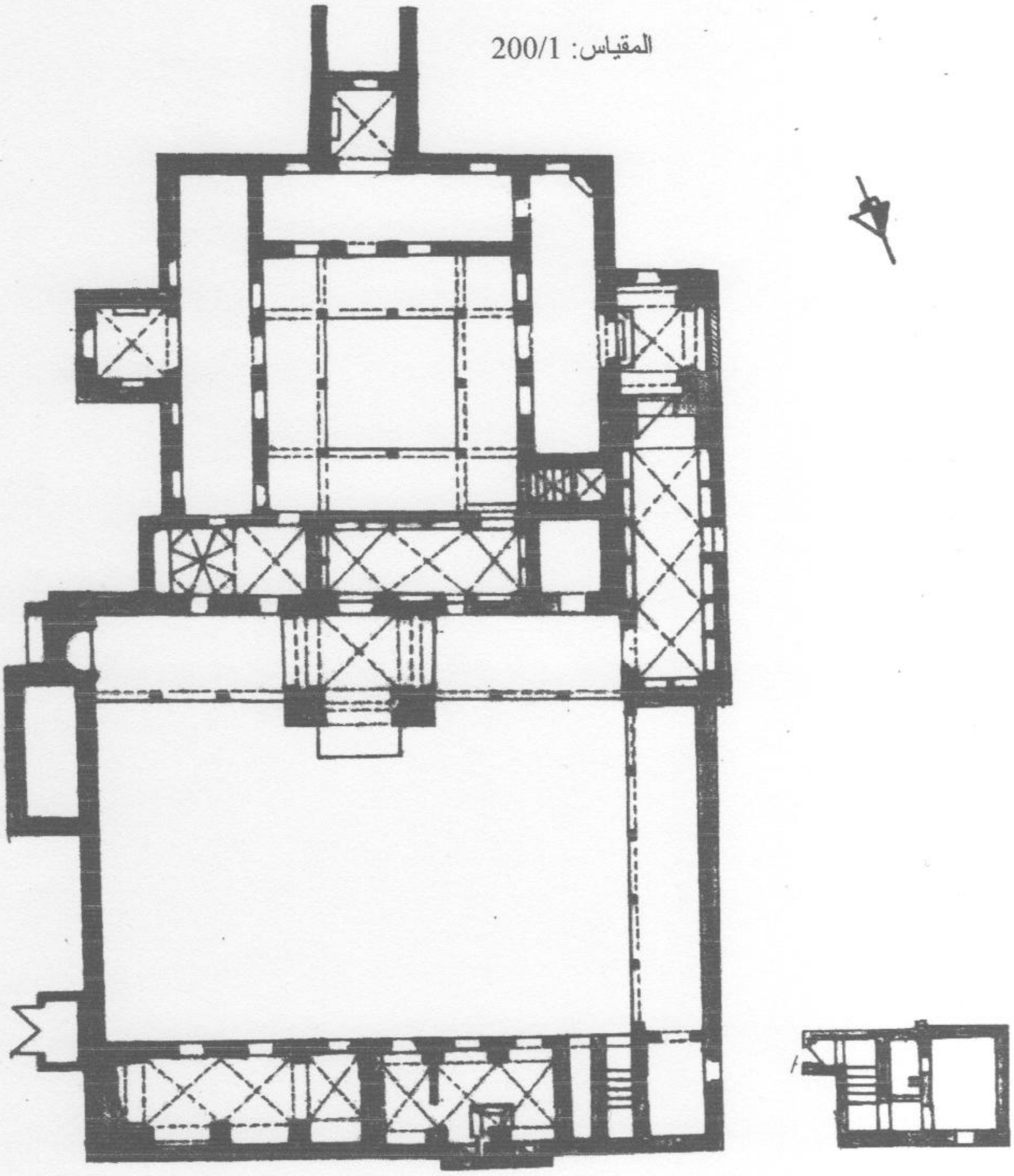
[1] - Hamlaoui, A. Op.Cit, P.145,126.

[2] - Golvin, L. Le Maghrib central, P.197. -
حول الموضوع أنظر على سبيل المثال:- Golvin, L. Palais et demeures.

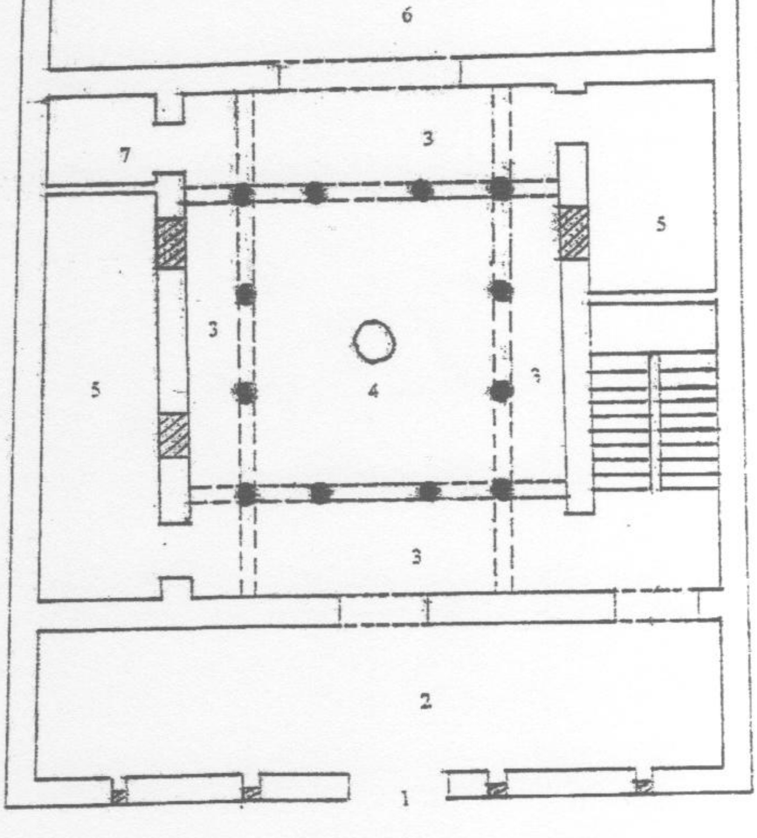
[3] - Marçais, G. L'architecture…, P.474.




مخطط 24: دار عزيزة، الطابق الأرضي(عن عقاب).




مخطط 25: دار الداي حسين بضاحية الجزائر، الطابق الأرضي.




مخطط 26: منزل القائد بمستغانم، الطابق الأرضي (عن بلجوزي).

**-الصحن والأروقة:** (الصورة 59).

يتوسط الصحن مبنى الإقامة، له شكل مستطيل عكس معظم قصور ومساكن الفترة العثمانية بالجزائر التي اشتملت على صحن مربع[1] (المخطط 24-25) . تبلغ مساحته 13.75م طولا و7.95م عرضا ويبلغ قطراه 15.48م و15.40م، أرضيته مبلطة بقطع مربعة زرقاء ترجع إلى الفترة الفرنسية، تتوسطه نافورة من الرخام الأبيض يقدر قطر حوضها الأسفل بـ1.14م بينما يقدر قطر حوضها الأعلى بـ0.40م، ومن غير المؤكد أن هذه النافورة تعود للفترة العثمانية نظرا للتغييرات الكبيرة التي تعرض إليها هذا القسم من القصر بما في ذلك أرضية الصحن التي أعيد تبليطها من جديد وفق الذوق والميولات الفرنسية.

يحيط بالصحن من جهاته أربعة أروقة، طول الرواقين الغربي والشرقي 18.57م وعمقهما 1.65م، ترتفع هذه الأروقة لغاية السقف بـ2.74م، تحملها أعمدة أسطوانية من الحجر الكلسي ذات تيجان محلية بسيطة يبلغ عددها أربعة في كل من الرواقين الشمالي والجنوبي وستة في كل رواق من الرواقين الغربي والشرقي، ويجب أن نسجل هنا أن أعمدة الأركان وضعت بشكل مزدوج مثنى- مثنى.

تحمل هذه الأعمدة عقودا نصف دائرية غير منسجمة فيما بينها، يعلوها طنف بارز مشكل من مربعات خزفية تحدّها قطع مستطيلة من الفخار المطلي باللون الأخضر الزرعي.

إن هذه الأروقة الأربعة الموجودة بالطابق الأرضي والتي تفصل بين الصحن ومرافق المبنى لا تتكرر بنفس الشكل في الطابق العلوي باستثناء الرواق الجنوبي الذي حافظ على بعض عناصره المعمارية ومنها الأعمدة الأربعة التي تستند عليها عقودا مصمتة فتح بها نوافذ على شكل نصف قرص.

ومهما يكن من أمر فان الصحن وما يحيط به من أروقة يعتبر من العناصر الأساسية التي لا غنى عنها. ونظرا لما تتميز به الأقطار العربية بما فيها الجزائر من مدى حراري واسع بين الليل والنهار؛ فان الصحن يستخدم في تكييف حرارة الجو خاصة في الصيف،

[1] - من بين أهم القصور والدور التي اشتملت على صحن مربع نذكر قصر الداي بالقصبة ودار عزيزة ودار مصطفى باشا ودار خداوج العمياء ودار الداي حسين.أنظر:- Golvin, L. Palais et demeures.

ذلك أن الهواء الرطب ينزل إلى أدنى مستوى ليلا ثم ما يلبث أن يتسرب إلى الغرف فيلطف حرارتها، ويظل محصورا بين جدران الأروقة حتى ساعة متأخرة من النهار[1].

وكان لوضع الصحن والأروقة المحاطة بالغرف أثره في السماح بتسرب أشعة الشمس شتاء لتدفئة الغرف الداخلية خاصة ما يوجد منها في الطابق الأول، إضافة إلى ذلك فان المعمار المسلم لجأ إلى إحاطة الصحن بالأروقة لتفادي أشعة الشمس على مدار النهار، فهي بذلك تعتبر هيكلا متقدما للغرف والمرافق الأخرى، حيث تشكل حاجزا يقي من تلك الأشعة خلال أيام الحرّ. وعليه فهي تقوم بدور المعدل للحرارة في الصيف كما في الشتاء، كما تقوّم – أيضا – سقوط الأمطار في اتجاه مستقيم.

إلى جانب ذلك، نجد لعنصري الصحن والأروقة وظيفة تزيينية وهذا من خلال واجهات الأروقة المزخرفة بالمربعات الخزفية والأرضية المبلطة بالقطع الرخامية المرصوفة بأشكال هندسية منتظمة والعقود ذات الحنايا البديعة المسندة على الأعمدة الرشيقة الجميلة بتيجانها، كل ذلك وفق نظام دقيق وتناسق وانسجام ملفت يسر الناظرين.

أما عنصر الصحن في حد ذاته فيعتبر مكان التقاء أفراد الأسرة خاصة في الجلسات المسائية، كما يعتبر أحسن مكان لإحياء الحفلات والسهرات وأفراح الزفاف والختان[2]، وبه تتم الكثير من الأعمال المنزلية ولاسيما غسل الأواني والملابس[3].

### 4.4- الحمام: (المخطط 27-الصورة 60 و61).

عادة ما تتوفر القصور والدور في الجزائر خلال الفترة العثمانية على الحمامات، والتي كانت تتكون من غرفة فأكثر[4].

أما حمام قصر الباي فيقع في الجهة الشمالية الغربية ملاصقا لمبنى الإقامة، يتكون من أربع غرف يتقدمها رواق معقود، يمتدّ هذا المبنى من الجنوب إلى الشمال ويشغل مساحة تقدر بحوالي 380م2.

---

[1] - عكاشة ثروت، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، دار المعارف، الطبعة الأولى، مصر، 1981م، ص85.

[2] - Shaw,Dr. Op.Sit., P.94.

[3] - Ravéreau, A., Casbah d'Alger et le site créa la ville, Sindbad, Paris, P.60.

[4] - يتكون حمام دار الداي حسين على سبيل المثال من غرفتين، أما حمام قصر عزيزة و حمام قصر حسن باشا فيتكون من ثلاث غرف.

تأخذ الغرفة المتصلة مباشرة بمبنى الإقامة شكلا مستطيلا وهي صغيرة الحجم مساحتها 3.08م X 2.6م، لها باب في حائطها الشرقي حديث البناء وفي مقابلها تقع نافذة صغيرة، أما بابيها الأصليين الرابطين بين مبنى الإقامة من جهة والحمام من جهة ثانية، فقد سدّا على الأرجح. تليها إلى الشمال غرفة مستطيلة تعتبر أكبر الغرف، مساحتها تبلغ 9.79م عرضا و2.50م عمقا، يصل ارتفاعها إلى 3.23م، وهي مجزأة إلى قسمين بواسطة حائط مستحدث سمكه 6سم، لها باب مطل على الرواق مقاساته 2.04م على 1.39م، وباب آخر حديث يشرف هو الآخر على الرواق أطواله 2.05م على 0.99م، وباب ثالث مسدود يوجد بحائطها الجنوبي الملاصق للغرفة السابقة. لها نافذتان، أما الأولى فتشرف على الخارج مقاساتها 1.08م ارتفاعا و0.83م اتساعا، وأما الثانية فتشرف على الرواق أطوالها 1.5م على1.31م.

أما من حيث الوظيفة فان الغرفة نرجح أن تكون القاعة الباردة بالنظر إلى حجمها وموقعها وقياسا على تصاميم الحمامات عامة والعثمانية منها خاصة، إلا أنها فقدت الكثير من عناصرها المعمارية ولاسيما مقاعدها المعقودة وتبليطها الذي نرجح أن يكون من البلاطات الرخامية إضافة إلى الزليج الذي غالبا ما يكسو الحوائط إلى ارتفاع قامة الإنسان.

ومن هذه الغرفة ننزل درجتين علو الواحدة 20سم، لنصل عبر مدخل اتساعه 2.40م وارتفاعه 2.85م إلى غرفة مربعة مساحتها 2.92م X 2.90م، يقدر سمك الحائط الفاصل بين الغرفتين بـ1.40م، وليس هذا بالأمر الغريب، إذ غالبا ما تبنى الحمامات بطريقة خاصة وبحوائط سميكة حفاظا على المبنى من التصدع بسبب الحرارة المرتفعة من جهة والرطوبة الزائدة من جهة أخرى.

يعلو الغرفة قبة ثمانية الأضلاع ترتكز على عقود منكسرة متجاوزة مصمتة، يفتح بهذه الغرفة نافذتان الأولى تشرف على الرواق اتساعها 62سم وعلوها 91سم، والثانية مشرفة على الخارج بارتفاع 94سم وعرض 79سم. ومن دون شك فان هذه الغرفة كانت تمثل القاعة الدافئة.

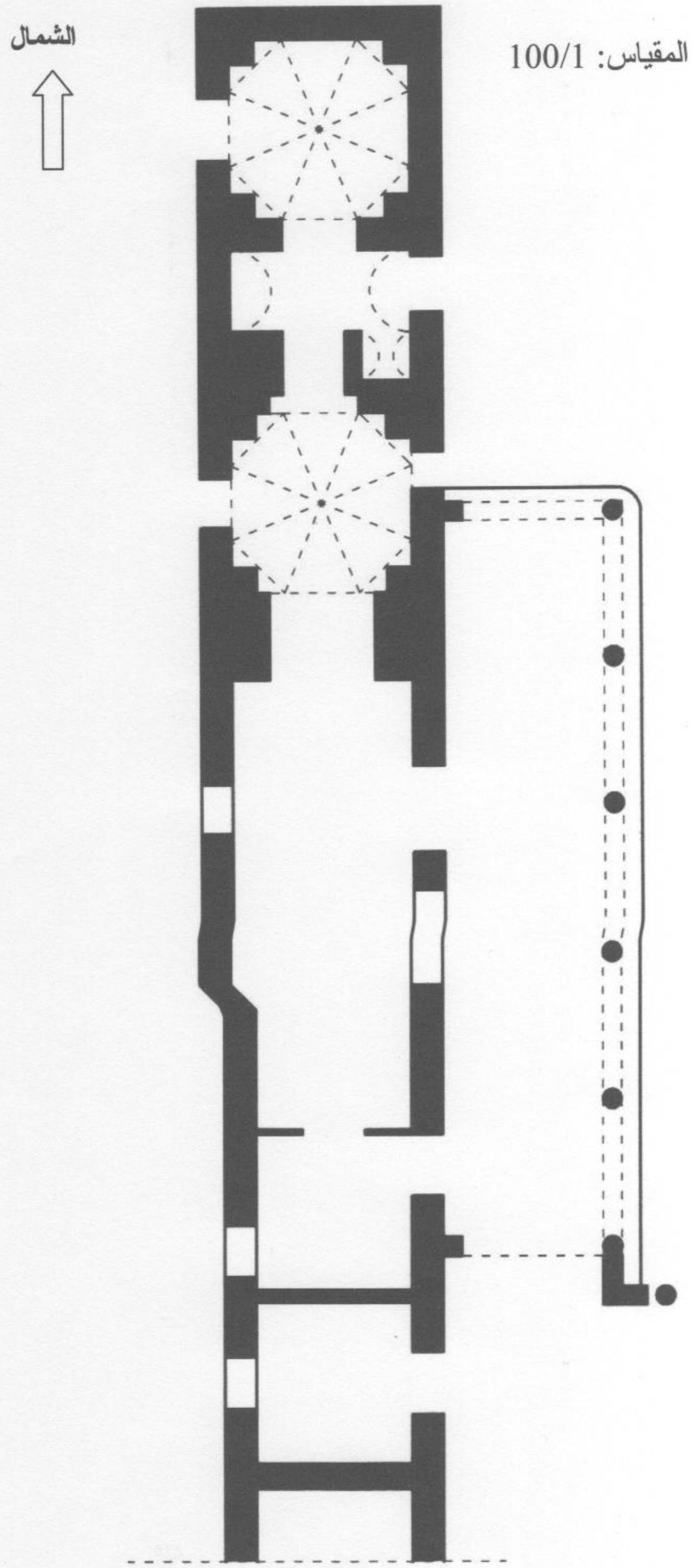
ومن هذه الغرفة ننتقل إلى غرفة مستطيلة ضيقة – أشبه بالدهليز – مساحتها 3.66م طولا و1.29م عرضا، ذات باب في حائطها الشرقي - يعدّ من الإضافات الفرنسية- وفتحة مسدودة في حائطها الغربي ذات سقف برميلي به ثلاث فتحات صغيرة في جزءه الشرقي.

أما الغرفة الأخيرة فمربعة الشكل، مساحتها 2.88م X 2.88م، يبلغ ارتفاعها 2.63م، نصل إليها من خلال مدخل اتساعه 1.22م وارتفاعه 2.3م متوج بعقد منكسر متجاوز لها نافذة بحائطها الغربي أبعادها 1.02م اتساعا و0.45م ارتفاعا، وهي ذات قبة ثمانية الأضلاع.

ويبدو من خلال الدلائل المعمارية الموجودة بالغرفة أنها تمثل القاعة الحارة، ولاسيما ظهور المدخنة على سطحها ووجود القنوات الفخارية والمجازات المستطيلة المبنية بالآجر لسحب الدخان.

أما الرواق الذي يتقدم الحمام فيبلغ طوله 11.80م وعمقه 2.57م وارتفاع سقفه 3.55م، مشكل من خمسة أعمدة من الحجارة الكلسية ذات تيجان محلية تحمل خمسة عقود منكسرة متجاوزة، وفي مقابل هذا الرواق؛ بني رواق آخر مماثل له حديث، يتقدم دورة للمياه، وينفصل بين الرواقين فناء مربع طول ضلعه 10.45م.

ورغم أن هذا الحمام حافظ على طابعه الأصيل ممثلا في تركيبته المعمارية وبعض عناصره المعمارية، إلا أنه في المقابل فقد معظم مرافقه الضرورية ولاسيما الفرناق وأحواضه الرخامية ومخزن الخشب وخزّانات الماء.




مخطط 27: الحمام.

(عن الطالب)

وكانت الحمامات الأولى في الإسلام ملحقة بالأبنية السكنية وخاصة القصور منذ العصر الأموي، ثم عمت الحمامات العامة بعد ذلك في أحياء المدن الإسلامية[1].

وقد حافظت الحمامات المبكرة في الإسلام[2] على نفس التكوين الذي عرفته الحمامات اليونانية والرومانية" القاعات الثلاث؛ الباردة والدافئة والحارة" إلا أنها خضعت للتقاليد الإسلامية الجديدة[3] واختلف بالتالي دورها، "فهي لم تكن مظهر حضارة وترف فقط، بل ضرورة أوجبتها فريضة التطهر والاغتسال في الإسلام. بينما كانت قبل ذلك مكانا يلتقي فيه علّية القوم للهو والتسلية و المتعة والترفيه"[4].

كما حافظت الحمامات خلال الفترة العثمانية بالجزائر على نفس التركيب المعماري المشكل من الأقسام الثلاثة مع اختلاف في بعض التفاصيل – على غرار حمام قصر الباي بوهران . ومن بين هذه الحمامات نذكر حمام قصر عزيزة وحمام قصر حسن باشا[5] وحمام العرب(المور) بمستغانم[6] وحمام الترك بوهران[7].

ونشير أن الحمام بالمغرب الإسلامي عموما والذي يعتبر من العناصر الأساسية في الحياة الحضرية، له تصميم مختلف قليلا عن التصاميم المشرقية، ومن مميزاته أنه دون نوافذ ولا يتلقى الضوء إلا من خلال ثقوب من القرميد مفتوحة في الأقبية عامة[8].

1 - ، المرجع السابق، ص85،84.

2 - من أشهر هذه الحمامات وأقدمها حمام قصير عمرة(712-715م) المكون من ثلاث قاعات صغيرة، الأولى ذات سقف من قبو نصف أسطواني والثانية سقفها من قبوين متقابلين والثالثة يعلوها قبة نصف دائرية. ونضيف إلى الحمامات المشهورة حمام الصرخ(725-730م) والذي يشبه في تخطيطه حمام قصير عمرة. أنظر:- محمد زكي، فنون الإسلام، ص.ص 44-48

3 - فريد شافعي، العمارة العربية، ص107.

4 - عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص86.

5 - عقاب محمد الطيب، قصور مدينة الجزائر، ص88، 89

6 - بلجوزي بوعبد الله، دراسة أثرية لنماذج من العمارة العثمانية في مدينة مستغانم، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2006، ص86.

7 - يعتبر حمام الترك بوهران من الحمامات العمومية فهو غير ملحق بقصر من القصور، بني ما بين عامي 1708 و1832م في عهد الباي مصطفى بو شلاغم.

8 - Marçais,G. l'Architecture…, P215.

**5.4- دار الضيافة(الدويرة):** (المخطط 28-الصورة 62 و63).

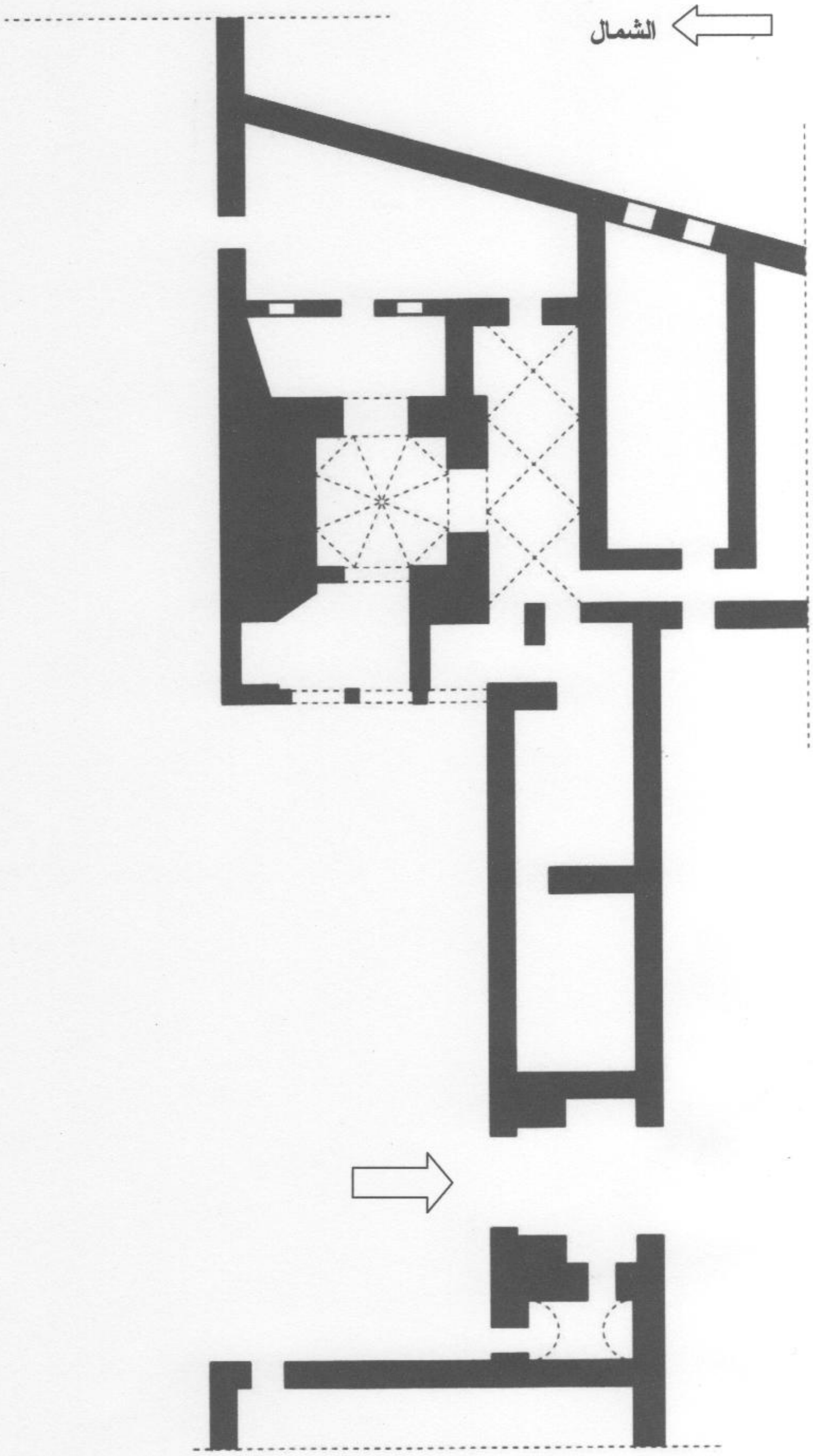
يقع هذا المبنى إلى اليسار من المدخل الرئيسي للقصر يتقدمه رواق من ثلاثة عقود منكسرة متجاوزة، يسندها عمودان أملسان بدون تاج، والواجهة مزدانة في الأعلى بطنف بارز من القرميد نصف الأسطواني وضع بشكل متطابق، يبلغ طول الرواق 7.05م وعمقه 2.27م وارتفاعه 3.30م، ومن هذا الرواق نصل عبر مدخل اتساعه 1.04م وارتفاعه 2م إلى غرفة مربعة مساحتها 3.75م X 3.75م ذات قبة ثمانية الأضلاع لها أربع فتحات، واحدة مسدودة حاليا، وخلف هذه الغرفة ناحية الشرق نصل عبر مدخل معقود إلى غرفة ذات شكل شبه منحرف مساحتها 5.70م X 2.37م بينما يبلغ ارتفاعها 2.93م، تفتح على الخارج من الناحية الشرقية بنافذتين أبعادهما 1.26م ارتفاعا و1.20م اتساعا، لها – أيضا – باب يفتح على فناء صغير.

ويقع جنوب الغرفتين السابقتين غرفة مستطيلة طولها 7.90م وعرضها 2.65م وارتفاعها 3م ذات سقف متقاطع لها مدخل في الجهة الشرقية اتساعه 1.46م وارتفاعه 2.20م بها خزانة جدارية مقاساتها 1م على 0.94م، تفتح غربا على الرواق من جهة ، وعلى غرفة أخرى من جهة ثانية بواسطة دعامة مستطيلة المسقط، أرضيتها مبلطة ببلاطات ثمانية الأضلاع طول كل ضلع 8سم، يوجد بركنها الجنوبي الشرقي فتحة لمدخنة ما تزال تحمل آثار الاحتراق، ونعتقد بوجود موقد في المكان سابقا، وعليه فان الغرفة يحتمل أن تكون مطبخا.

من هذه الغرفة نصل إلى ممر ضيق على هيئة دهليز عبر مدخل يقع في ركنها الجنوبي الغربي، ينتهي الممر بثلاث مداخل؛ واحد يفتح على الحديقة وثان يفتح على مقر الدائرة الأثرية وهو من الإضافات الحديثة أما الثالث فيفضي إلى غرفة ذات شكل شبه منحرف طول قاعدتها الكبرى 9.50م وطول قاعدتها الصغرى 8.50م أما عمقها فيقدر ب3.50م، لها نافذتان تفتحان على الناحية الشرقية.

إذا اتجهنا من ناحية غرفة المطبخ غربا نجد غرفة شبه مربعة مساحتها 2.50م طولا و2.40م عرضا ويبلغ ارتفاعها 3م، لها مدخل في حائطها الجنوبي يفتح على

المقياس: 200/1




مخطط 28: المدخل ودار الضيافة (الدويرة).

(عن الطالب).

الحديقة اتساعه 1.10م وارتفاعه 2.41م، يليها إلى اليمين غرفتان مستطيلتان شبه منهارتين حيث فقدتا سقفيهما وأجزاء من حوائطهما، تبلغ مساحة الأولى 4.55م طولا و3.43م عرضا، وأما الثانية والتي تتصل بحجرة المدخل عبر باب مسدود حاليا، فمقاساتها 5.16م X 3.38م، يوجد لكلا الغرفتين في الحائط الشمالي نافذتان مسدودتان حاليا كانتا تشرفان على الخارج.

وكان عادة ما تضم القصور والدور الكبيرة – بما في ذلك الموجودة بالضاحية – مسكنا إضافيا يعرف محليا بـ"الدويرة" يخصص لإقامة كبار الزوار والضيوف[1] أو مسكنا للخدم[2]. وربما اتخذ منه مباتا للجند القائمين على الحراسة – على الأقل بالنسبة لقصر الباي هذا – خاصة إذا علمنا بان بعض الغرف - المشار إليها – تتصل مباشرة بالمدخل الرئيسي.

وكانت "الدويرة" في قصور العاصمة ودورها الكبيرة عبارة عن مسكن يتألف غالبا من صحن مركزي محاط بالأروقة تتوزع حولها الغرف الا أنه أصغر مساحة من المبنى الرئيسي[3]، وقد نجد في تونس ما يشابهها[4].

## 6.4 – **الحديقتان:** ( المخطط 18-الصورة 48).

كانت الحديقة تعرف محليا بالجنينة، وتعتبر من أهم العناصر التي يقوم عليها تصميم البيت الريفي خاصة، ففيها يحس المرء بمباهج الحياة الخاصة في مقام هو بمنآى عن كل فضول وإزعاج من خلال ما كانت تحتويه الحدائق من أشجار للتزيين تارة وللمنفعة الغذائية تارة أخرى، وأزهار وورود وعيون ونافورات للمياه وربما أيضا أقفاص للطيور.

يضم قصر الباي حديقتين، أما الأولى وهي الحديقة الكبرى فنصل إليها عبر المدخل الرئيسي مباشرة، تتوسط الديوان والمباني الفرنسية ودار الاستراحة من جهة، ومبنى الإقامة من جهة أخرى، تأخذ شكلا شبه منحرف تتربع على مساحة واسعة تقدر بـ583م2 يتوسطها حوض مائي من الحجر قطره 3.20م، كانت تقوم في مركزه نافورة للمياه لم يبق

---

1 - Golvin,L. Palais et demeures, P79,127.
2 - Ravéreau, Casbah d'Alger, P.58.
3 - من المساكن التي احتوت على "دويرة" في مدينة الجزائر نذكر دار عزيزة ودار مصطفى باشا وقصر حسن باشا ودار خداوج العمياء.
4 - Marçais,G. l'Architecture…, P.478.

منها إلا جزءها السفلي (الصورة 55)، وتضم الحديقة حاليا الكثير من الأشجار والورود والأزهار.

أما الحديقة الصغرى فتقع إلى الجنوب من الحديقة الكبرى، نصل إليها من خلال مدخل معقود مستحدث – كما يبدو – يتخلل الممر( النفق) الرابط بين مبنى الإقامة والديوان الذي كان يستخدمه الباي على الأرجح للتنقل بين الجناحين[1]، يبلغ اتساع الممر 1.50م وارتفاعه 2.36م، ما يزال محافظا على سقفه الأصلي المشكل من أعمدة العرعار الموضوعة بشكل عرضي تعلوها ألواح غير سميكة من الخشب. يعلو هذا الممر ممر آخر يأخذ نفس المقاييس تقريبا يربط بين الطابق العلوي لمبنى الإقامة والديوان[2].

تأخذ "الجنينة" الصغرى شكلا مضلعا تقدر مساحتها بحوالي 437م2، يشرف عليها المقر المفضل للباي من الناحية الجنوبية والواجهة الجنوبية لمبنى الإقامة من الناحية الشمالية والمباني الفرنسية الملحقة بالديوان من الجهة الشمالية الشرقية، تتوسطها نافورة مياه يتخذ حوضها السفلي شكلا ثماني الأضلاع طول ضلعه 0.83م وقطره 1.52م، يعلوه حوض أصغر حجما يرتفع بـ 1.07م قطره 0.88م

يحتل محورها الأوسط ستة أعمدة؛ أربعة منها رخامية تحمل تيجانا كورنثية، شكّل منها – إضافة إلى أعمدة فقدت – رواق مفتوح يربط بين المقر المفضل للباي ومدخل يحتمل وجوده في الواجهة الجنوبية لمبنى الإقامة، كان يفتح على "الجنينة" يستعمله الباي وأفراد أسرته، لا أثر له اليوم، وفتح بدله المدخل الرابط بين الحديقتين المذكور سابقا.

كما ينتصب في أحد جوانب "الجنينة" عمودان رخاميان أملسان، ويبدو أنهما جلبا من مكان آخر وعلى الأرجح من الحديقة الكبرى وهذا بالاعتماد على رسم قديم للقصر مؤرخ سنة 1833م(الرسم 1). وقريبا من هذين العمودين تقوم غرفة ضيقة بدا من خلال مواد وتقنية بناءها أنها حديثة، كانت تستعمل على الأرجح للحراسة وهذه الغرفة محاذية لغرفة أكبر هي واحدة من الغرف الملحقة بالديوان والتي بنيت خلال فترة الاحتلال.

[1] - استخدم في بعض القصور الإسلامية الأولى نفق يصل بين غرف الخليفة وقسم النساء، ومن ذلك ما شوهد في قصر الخليفة المعتصم في سامرا وفي بغداد بين قصر الحسن والثريا في عصر الخليفة المعتمد.- كمال الدين سامح، العمارة الإسلامية في مصر، ص69.

[2] - قيل لنا أن بنات الباي كنّ يستخدمنه لمتابعة الجلسات والاجتماعات التي كان يعقدها الباي عبر فتحات ضيقة فتحت في أعلى الحائط الجنوبي للديوان، إلا أننا لم نعثر على مصادر أو مراجع تثبت هذا الزعم.

**7.4- الإسطبلات:** (الصورة 48).

استغل الباي إقامات الجنود الأسبان الواقعة شمال القصر والتي بنيت عام 1760م واتخذها إسطبلات لخيوله، تتكون من 10 حجرات ذات أقبية نصف أسطوانية مساحة الواحدة 18م X 6م بنيت بالحجارة المصقولة، يتقدمها رواق معقود بعقود نصف دائرية.

**8.4- الصهاريج:** (الصورة 48).

تقع يمين المدخل مباشرة وهي عبارة عن خزانات كبيرة للمياه بنيت بطريقة محكمة خلال الاحتلال الاسباني، استغلها الباي للتزود بالمياه بعد أن أجرى عليها الكثير من الإصلاحات والترميمات.

**9.4 – المساكن الفرنسية:** (الصورة 52 و58).

بعد عام 1831م أحدثت تغييرات وإضافات هامة مست القصر بشكل عام، ومن ذلك الغرف والملاحق التي بنيت والتي حلّت ربما محل بنايات أصلية، ولا يجد الباحث أي صعوبة تذكر في تحديد هذه الإضافات الجديدة خاصة من خلال مواد البناء وتصميمها المعماري.

فعلى الجانب الأيسر من الديوان أنشئ مبنى مكون من طابقين نوافذه الخلفية تطل على حظيرة البلدية والأمامية على الحديقة الكبرى له سقف جمالوني، يتكون الطابق من 10 غرف متعددة الاستخدامات والأحجام، ثلاثة من هذه الغرف جهزت حاليا لتكون مقرا لمكاتب الدائرة الأثرية لولاية وهران. أما الطابق العلوي فيتكون من 7 غرف إحداها تفتح على سطح الديوان، نصل إليها عبر سلم لولبي تتوجه قبة مضلعة من المعدن.

أما على الجانب الأيمن من الديوان فتتوزع أربعة غرف متفاوتة المساحة، ثلاثة منها تفتح على الحديقة الصغرى بأبواب، أما الغرفة الرابعة فسبق الإشارة إليها والتي اعتبرناها امتدادا للديوان تفتح على رواقه بنافذة أصلية، مساحتها 3.89م X 2.27م، أما أبعاد النافذة من الداخل فتبلغ 1.57م ارتفاعا على 0.75م اتساعا.

ونضيف إلى هذين المبنيين معظم غرف[1] الطابق العلوي لمبنى الإقامة والقبة الخضراء التي تتوج غرفة بالركن الشمالي الغربي.

# 5- العناصر المعمارية:

## 1.5- المداخل:

نظرا للتغييرات التي أجرتها سلطات الاحتلال طيلة أزيد من قرن وربع قرن على القصر، أضحى من الصعب إعادة تصور لما كان عليه، ولعل من أبرز العناصر المعمارية التي لحقها الطمس والتغيير المداخل، التي لم يبق منها إلا نماذج قليلة جدا حافظت على طابعها الأصيل، ومن ذلك المدخل الرئيسي (الصورة 51) الذي جاء بسيطا رغم ما يكتسيه هذا القصر من أهمية سياسية وإدارية واجتماعية وبدا بروزه ضئيلا جدا.

ويبدو انه كان يوجد مدخل رئيسي ثان يقع إلى اليسار من الديوان اعتمادا على رسم أخذ للقصر سنة 1833م، أزالته سلطات الاحتلال فيما بعد، ويشكل هذا المدخل بروزا واضحا تعلوه ظلة مشكلة من روافد خشبية (الرسم 1).

لقد كانت مداخل القصور الصيفية والدور الريفية خلال الفترة العثمانية – غالبا – ذات بروز يمتد إلى غاية السطح[2] ومن ذلك قصر جنان الرايس حميدو وقصر جنان الضباط ودار الداي حسين.

والبروز هذا ظاهرة معمارية تعرف بمقدم المبنى كما تعرف أيضا بالمدخل التذكاري البارز والذي شاع في العمارة الإسلامية. أما عن أصل هذه المداخل فهو غير ثابت، وقد عرفته معظم الحضارات القديمة من بينها الحضارات الشرقية والرومانية والبيزنطية[3].

وأما في العصر الإسلامي المتقدم فشوهد مثالا له بمسجد المهدية بتونس[4] ونقل الفاطميون عنه هذا التصميم ليجسدوه في جامع الحاكم بأمر الله، وقد عرفه أيضا المغرب

---

[1] - يذكر أن هذه القبة الشبيهة بالقبعة الملكية بنيت احتفاء بزيارة ملك فرنسا نابليون الثالث إلى وهران عام 1865م.- Cruck,E. Op.Cit, P.55.

[2] - Berque,A. L'Algérie terre d'art et d'histoire, Imprimerie Victor Heintz, Alger, 1937, P.241.

[3] - Golvin,G. Recherche…, P.103.

[4] - سامح كمال الدين ، العمارة الإسلامية، 82.

الإسلامي عموما، ففي المغرب الأوسط ظهر في أشير وفي قصور قلعة بني حماد[1] واعتبر من أهم مميزات العمارة الحمادية[2].

ولعله من المهم الإشارة إلى أن عناصر النتوء المجسدة في مقدم المبنى هي التي تحدد التركيب العام في توزيع الظل والضوء، كما تعطي الحجم الضروري للطابق العلوي، وهذا كله ينطوي تحت براعة معمارية وفنية للمخطط العام للمبنى الذي يتناسب والحياة العائلية[3].

إلى جانب المدخلين – المشار إليهما – ضمّ القصر مداخل أخرى ذات أهمية كمدخل الديوان ومدخل حجرة المقر المفضل للباي وقد توجّا بعقد منكسر متجاوز.

ويبدو أن جميع هذه المداخل فقدت زخارفها فيما عدا حجرة المقر المفضل الذي تضمن زخرفة مقولبة حديثة.

1 - Golvin,L. Le Magrib central à l'époque des Zirides, P.196.
2 - Marçais,G. L'Architecture…, P84.
3 - Golvin,L. Palais et demeures, P.130



رسم 1: قصر الباي عام 1833 (عن كاسار).

وكانت – عادة – مداخل السقائف والمرافق المعيشية والسلالم في مدينة الجزائر وغيرها مشكلة من باب ذو عقد نصف دائري محاط بإطار من الرخام أو الحجر يحمل زخارف متنوعة أما مداخل الغرف والقاعات فجاءت عقودها منكسرة متجاوزة في الغالب.

## 2.5- النوافذ والشمسيات:

لقد فتحت بقصر الباي نوافذ وفتحات عديدة[1] معظمها مستحدث وبعضها أصيل ، وأهمها تلك الموجودة بالديوان والمقر المفضل (الصورة 64 و65 و70)، تراوح حجمها بين المتوسط والكبير روعي في تصميمها مبدأ التناظر، كما خضعت لترتيب متناسق الأجزاء، وخلافا لقصور ومساكن مدينة الجزائر غير الريفية خاصة فإن النوافذ فتحت كثيرة وواسعة استنادا على الأصيلة منها، ويبدو ذلك راجع إلى ارتفاع مستوى الأرضية التي بني عليها القصر، إضافة إلى احتلال هذا الأخير لموقع يجعل ساكنيه في منآى عن أعين المارة.

وينبغي أن نسجل هنا أن نوافذ المساكن التي تفتح على الخارج نادرة وضيقة، ليس فقط بمدينة الجزائر إنما في معظم المدن بالمغرب الإسلامي[2]، وتستمد الغرف نورها من الصحن عبر تلك التي تفتح عليه حيث عددها أكثر ومساحتها أوسع.

وكانت النوافذ – عادة – مسيجة بشبابيك معدنية من الحديد أو البرونز بما في ذلك التي تفتح على الداخل[3] كما هو ملاحظ في نوافذ الديوان الداخلية[4] (الصورة 64). وقد يكون الهدف من هذه الشبابيك – إضافة إلى دورها التزييني – وقاية البيت من سطو اللصوص وأيضا تجنيب الأطفال أو النساء أو كل شخص يجلس في النافذة لرؤية المناظر الخارجية من السقوط.

والى جانب النوافذ استخدم المعمار المسلم في ذات الفترة الشمسيات؛ وهي عبارة عن فتحات ضيقة مغشاة بالجص المخرم والمعشق بالزجاج الملون، وكان القصد من استخدامها

---

[1] - نشير إلى أنه من خصائص المسكن الريفي في العهد العثماني كثرة واتساع النوافذ التي تطل على الضاحية مقارنة بالمسكن الحضري. أنظر:-
Marçais, G. L’architecture…, P.445.
- Marçais, G. L’art en Algérie, P.131.

[2] - Marçais, G. L’architecture…, P.443.

[3] - عقاب محمد الطيب، قصور مدينة الجزائر، ص124.

[4] - نسجل هنا أن نوافذ جامع الباشا على سبيل المثال هي الأخرى مسيجة بشبابيك شبيهة بشبابيك الديوان (الصورة 13).

هو تخفيف نسبة الإشعاع الحراري المركز المتسرب إلى داخل الغرف وتزويدها بنور ملون مشع[1].

غير أننا لم نعثر على مثل هذه الشمسيات بقصر الباي، التي نفترض أنها قد سدّت خلال فترة الاحتلال، مع العلم أنها كانت تتخذ في قصور ودور مدينة الجزائر عادة مواضع محددة، فنجد واحدة فوق الباب المحوري لكل غرف الدار المحيطة بالصحن وواحدة فوق كل نافذة غرفة تكتنف الباب المحوري، كما نجد أيضا شمسية واحدة فوق كل خزانة جدارية موازية لحائط تلك النوافذ والأبواب وثلاثة منها في أواوين الغرف[2].

## 3.5- الأعمدة:

ظهر في عمارة القصر عدة أنواع من الأعمدة التي نجدها مستعملة في الجزائر أثناء العهد العثماني، فالنوع الأول رخامي نصفه السفلي مثمن الأضلاع ونصفه الآخر حلزوني (الصورة 57 و66)، استعمل في قاعة الديوان وفي رواق الحديقة الصغرى المفتوح وفي واجهة المقر المفضل للباي، وعند باب إحدى الغرف المستحدثة خلال الفترة الاستعمارية الذي يكون قد نقل إليها من قاعة الديوان بعد تقليص مساحتها، وجميع هذه الأعمدة مزدانة بتيجان كورنثية (الشكل 12). ولئن تشابهت شكلا فإنها اختلفت حجما – ولو نسبيا – حيث يبلغ ارتفاع أبدان أعمدة قاعة الديوان 2.45م ويبلغ ارتفاع تيجانها 0.27م، تقوم أصلا على قواعد مربعة(27×27×6سم) تليها ثلاث حلقات مثمنة متدرجة في قطرها، يبلغ سمكها 6سم. أما واجهة المقر المفضل فيصل ارتفاع أبدانها إلى 2.47م ويبلغ ارتفاع تيجانها 30سم، قاعدتيهما شبيهة بقواعد أعمدة قاعة الديوان إلا أنه لا يظهر منها إلا الحلقات وتتشابه أعمدة رواق الحديقة وعمودي مدخل الغرفة المستحدثة من حيث الحجم مع الأعمدة السابقة حيث يبلغ ارتفاع نصفها العلوي 1.22م بينما يصل ارتفاع تيجانها إلى 24سم فقط[3].

---

[1] - عقاب محمد الطيب" المدخل إلى المسكن العربي الإسلامي بمدينة الجزائر" المؤتمر العاشر للآثار بالبلاد العربية، تلمسان، وزارة الثقافة، نوفمبر، 1982م، ص16.

[2] - عقاب محمد الطيب، قصور مدينة الجزائر، ص126.

[3] - لم نتمكن من قياس ارتفاع العمود كاملا لأن جزء منه مغروز في الأرض.

يصل عدد الأعمدة من هذا النوع إلى 20 عمودا، 12 منها يوجد داخل قاعة الديوان وقد وضعت مثنى- مثنى، وذلك لتوزيع ثقل السقف على هذه الأعمدة مشتركة من جهة، ومن جهة أخرى لإضفاء مسحة من الجمال على قاعة الديوان.

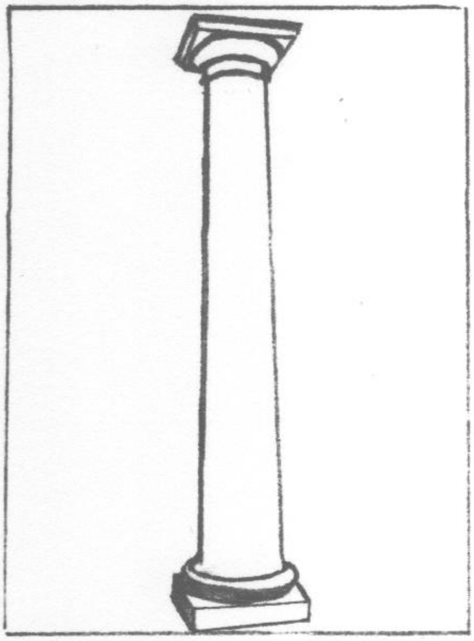
استعمل هذا النوع من الأعمدة كثيرا خلال الفترة العثمانية سواء في العمارة الدينية كجامع الباشا ومسجد علي خوجة ومسجد القصبة البراني ومسجد سيدي عبد الرحمن وغيرها[1]، أو العمارة المدنية ولاسيما القصور والدور المنتشرة خاصة في مدينة الجزائر[2]، وكان عادة ما يستخدم منه في الأروقة المحيطة بالصحون، استوردت هذه الأعمدة على الأرجح من ايطاليا التي كانت تعرف آنذاك نهضة حضارية واسعة، نتيجة لقيام علاقات تجارية بينها وبين الجزائر والتي – بدورها – كانت تملك أسطولا بحريا كبيرا.

أما النوع الثاني من الأعمدة فيتكون من أبدان ملساء أسطوانية الشكل، نميز فيه مجموعتين من حيث مادة الصنع؛ فالمجموعة الأولى مشكلة من الرخام، أغلبها نجدها موزعة على الرواق المزدوج الذي يتقدم قاعة الديوان ( الشكل 2.9- الصورة 53)، يبلغ ارتفاعها 1.70م، تسلب من أسفل إلى أعلى حيث يبلغ محيطها عند القاعدة 0.87م بينما يبلغ عند قمتها 0.84م، ذات قاعدتين؛ الأولى المتصلة بجذع العمود مستديرة، تتبع شكل العمود نفسه بارزة قليلا عنه سمكها 5.5سم، أما القاعدة الثانية فمربعة الشكل يبلغ طول ضلعها 36سم في حين يبلغ سمكها 7سم. وقد جاءت هذه الأعمدة بدون تيجان.

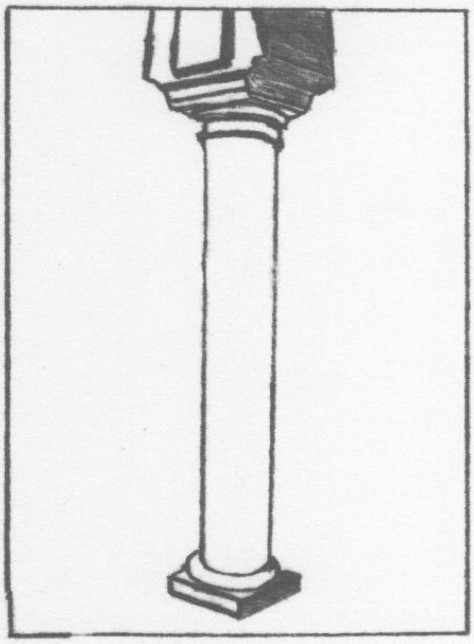
---

1 - أنظر: - Bourouiba,R. Apports, P87. Dokali,R. Op.Cit., P.45, Fig. 9.

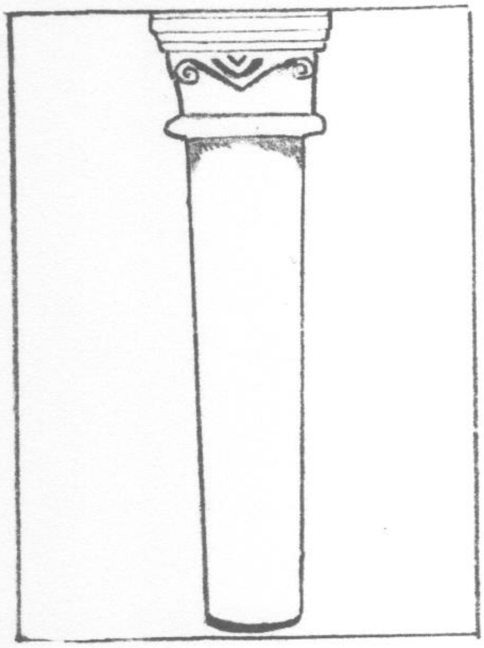
2 - أنظر: - عقاب محمد الطيب ، قصور مدينة الجزائر، ص128، 129.



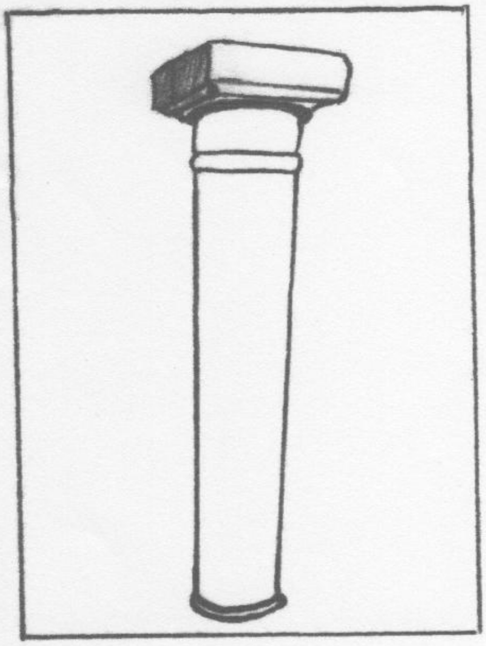
1



2

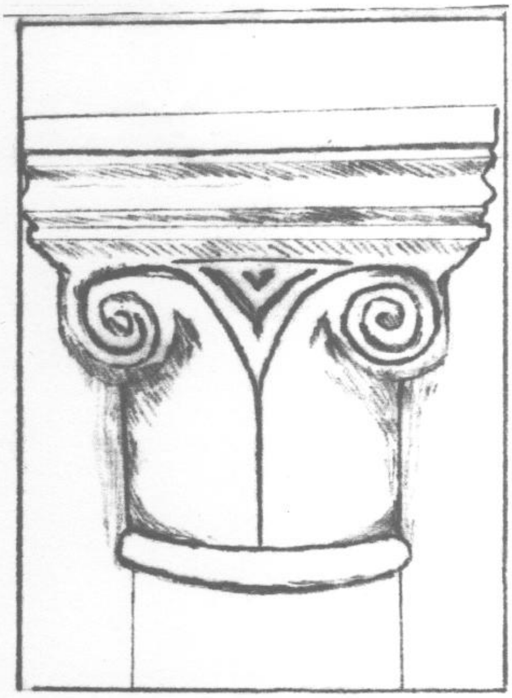


3



4

شكل 9: قصر الباي، نماذج لأعمدة.



شكل 10: تاج محلي بقصر الباي.



شكل 11: تاج محلي بقصر الباي.



شكل12: تاج كورنثي.

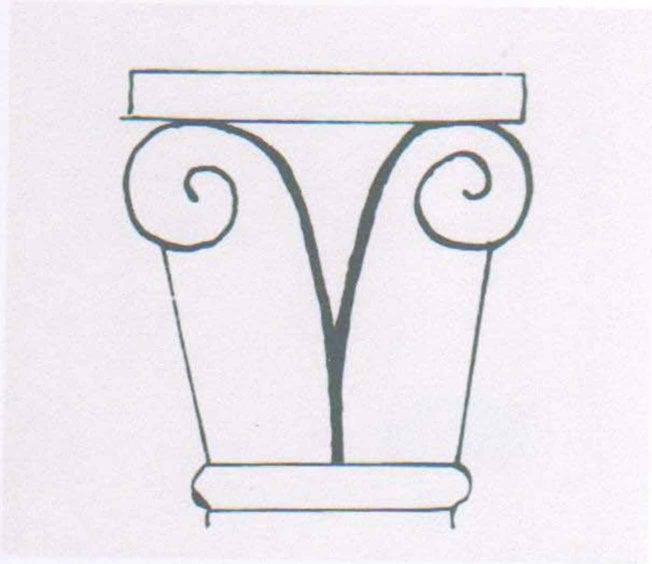
من نفس هذه المجموعة، لدينا نموذجين بالحديقة الصغرى (الشكل 1.9 - الصورة67)، يتسمان بالضخامة يقدر طولهما بـ 1.97م ومحيطهما عند القاعدة بـ 0.95م بينما يقدر عند القمة بـ 0.73م، لهما قواعد شبيهة بقواعد الأعمدة المذكورة سابقا بينما تختلف حجما، فالقاعدة المستديرة لكليهما يبلغ سمكها 6سم ويبلغ طول ضلع القاعدة المربعة 43سم بينما يصل سمكها إلى 8سم، ويبقى التساؤل حول المكان الأصلي لهذين العمودين، فموقعهما الحالي – يبدو – غير منطقي وأكثر من ذلك بدون وظيفة، ولهذا نرجح أنهما جلبا من الحديقة الكبرى حيث كانا يشكلان إلى جانب عدد آخر من الأعمدة المماثلة – المفقودة حاليا – عريشا يظهر في رسم قديم – سبق الإشارة إليه – أخذ عام 1833م.

أما المجموعة الثانية من الأعمدة فمصنوعة من الحجر الكلسي تتميز بضخامتها وقصر طولها، استعملت في أروقة مبنى الإقامة (الصورة 59)، عددها 20 عمودا يبلغ ارتفاعها 1.22م وقطرها 25.16سم مكسوة بطبقة إسمنتية حديثة، تحمل تيجانا محلية ارتفاعها 25سم (الشكل 10). هذا النمط يتميز بالبساطة ولذا فهو سهل الانجاز لا يتطلب إلا قليلا من الجهد والوقت والتكاليف، ويتشكل من خط واحد عمودي يتفرع عنه خطان منحنيان يكوّنان حلزونيات جانبية تحتل الأركان الأربعة منه.

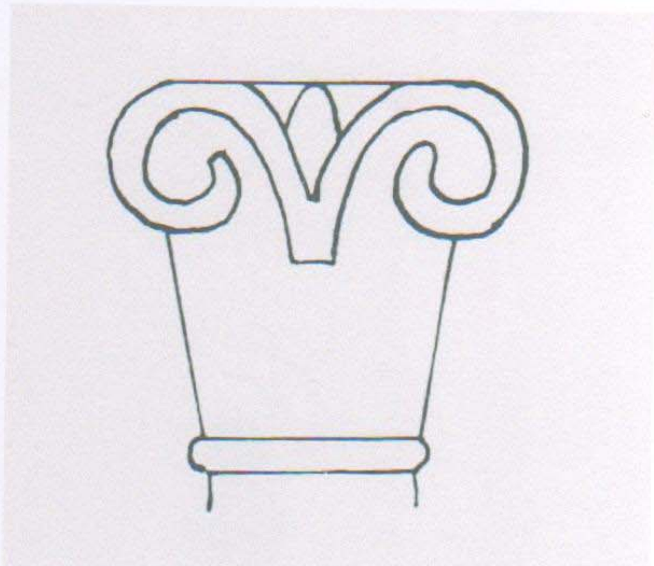
يتميز هذا النوع من التيجان – عموما - بالضخامة وقلة الذوق الجمالي وقد شاع استعماله في الجزائر خلال العهد العثماني والعهود التي سبقت[1] (الشكل 13 و14).

أما أعمدة رواق الحمام البالغ عددها خمسة (الشكل 3.9- الصورة 61) فيصل طول أبدانها إلى 1.31م وقطرها إلى 26.43سم تحمل – هي الأخرى – تيجانا محلية أقل جمالا ورشاقة يبلغ ارتفاعها 30سم (الشكل 11). ويوجد عمودان من نفس النمط يحملان عقود الرواق – الذي يتقدم الدويرة – يقدر طولهما بـ 1.74م وقطرهما

[1] - أنظر:- عقاب محمد الطيب ، قصور مدينة الجزائر، ص132.
- Bourouiba, R. L'art religieux, P.32..
- Bourouiba, R. Apports, P.101.
- Marçais, G. Manuel…, Fig.83.



شكل 13: جامع قسنطينة، تاج عمود(عن بورويبة)



شكل 14: مسجد القلعة، تاج عمود(عن بورويبة).

بـ 28.02سم، لكليهما قاعدة مستديرة بارزة قليلا عن بدن العمود، ليس لهما تيجان (الشكل 4.9- الصورة 63).

## 4.5 – العقود:

عرفت العمارة المدنية الإسلامية في الجزائر خلال العهد العثماني أنواعا مختلفة من العقود[1]، وكان كل نوع يستخدم في أماكن محددة في الغالب، وابرز هذه العقود العقد المنكسر المتجاوز الذي نجده في الأروقة، وفي أبواب الغرف، وفي الفتحات الكبرى التي تفصل بين الأواوين، والغرف، وفي مداخل القصور الرئيسية[2].

استخدم بالقصر في المدخل الرئيسي وفي مدخل الديوان والمقر المفضل وفي الأروقة – باستثناء أروقة مبنى الإقامة – وفي الفتحات الكبرى التي تفصل بين الأواوين والغرف وفي نوافذ المقر المفضل.

هذه العقود وان اختلفت نسبيا في الشكل فإنها – أيضا – اختلفت في الحجم تبعا لمكان وطبيعة الاستخدام، فعقود الديوان – جميعها – بدت أكثر اتساعا وأقل انكسارا (الصورة 53و69)، مما أضفى عليها مسحة عالية من جمال الشكل ودقة النسب، بينما جاءت عقود رواق الحمام ورواق الدويرة أصغر حجما وأقل اتساعا وأكثر انكسارا (الصورة 71)، في حين تميزت عقود المدخل الرئيسي وتلك التي تفصل بين الأواوين والغرف بكبر الحجم والاتساع (الصورة 51 و70).

ونجد إلى جانب العقد المنكسر المتجاوز؛ العقد النصف الدائري الذي ندر استخدامه بالقصر – على غير العادة – فلم نعثر عليه سوى في واجهة المقر المفضل (الصورة 72)، وهو من النوع العادي الذي تتساوى فتحته مع نصف الدائرة، وقد استخدم هذا العقد في مساكن مدن الجزائر في أماكن – أيضا – معينة، مثل مداخل السقائف وأبواب المرافق المعيشية وكذلك في أبواب بداية ونهاية السلالم[3].

---

[1] - ننوه هنا أن العقد المفصص والعقد المقرنص والعقد ذي الشرفة التي نجدها في العمارة الدينية لم تستعمل في مساكن وقصور الجزائر خلال الفترة العثمانية حسب علمنا.

[2] - عقاب محمد الطيب، قصور مدينة الجزائر، ص135.

[3] - أنظر: - نفسه ، ص136، 137.

أما بالنسبة لعقود أروقة مبنى الإقامة – وان بدت في الظاهر أنها نصف دائرية – فإننا غير متأكدين تماما من مدى أصالتها (الصورة 59)، فمن خلال معاينتنا لمواد البناء تبين لنا أنها تعرضت لترميمات خلال الفترة الاستعمارية – على الأرجح – ربما تكون قد أفقدتها شكلها الحقيقي، وكان من الثابت استخدام العقود المنكسرة المتجاوزة خلال العهد العثماني لتشكيل الأروقة، إلا أننا إذا عرجنا على مدينة مستغانم، وجدنا الاستثناء الذي يشذ عن القاعدة حيث استخدم في الأروقة التي تحيط بصحن منزل حميد العبد وتلك التي تحيط بمنزل القائد عقودا نصف دائرية[1].

ويعتبر العقد الإهليليجي من أهم العقود التي استخدمها المعمار في قصر الباي، فقد ازدانت به الخزائن الجدارية ونوافذ قاعة الديوان ونافذتي الردهة التي تتقدم حجرة المقر المفضل، وان اختلفت هذه العقود في حجمها فقد تشابهت في شكلها – عموما – وتميزت بالروعة والجمال (الصورة 65).

ونشير هنا أن الإقبال على هذا العقد كان كبيرا في المساكن والقصور في الجزائر خلال العهد العثماني[2]، بل وأصبح سمة من سماتها البارزة، عكس العمارة الدينية التي لم ينتشر فيها كثيرا، ونجده غالبا في أماكن محددة والمتمثلة خاصة في الخزائن الجدارية وفوق النوافذ المقابلة للخزائن الجدارية وتلك المشرفة على الصحون وأعلى مقاعد السقائف.

## 6.5 – القباب:

على غرار المنشآت المعمارية الجزائرية في العهد العثماني مثل جامع الباشا ومسجد الباي وجامع المبايعة وجامع معسكر ومسجد علي بتشين ومسجد سيدي عبد الرحمن وجامع سفر وغيرها بالإضافة إلى جميع المساكن والقصور دون استثناء استخدم بقصر الباي قباب مضلعة، غير أن استخدامها اقتصر على أماكن محددة، والمتمثلة في قاعتي الحمام؛ الدافئة والحارة وإحدى غرف الدويرة (الصورة 60 و73). أما قبة القاعة الدافئة فبلغ قطرها 3.10م وطول ضلعها 1.18م وترتفع عن الأرض بـ2.85م وأما قبة القاعة الحارة فلا تختلف عن القبة السابقة إلا اختلافا طفيفا، حيث قدر قطرها بـ3.15م وطول ضلعها

[1] - بلجوزي بوعبد الله ، دراسة أثرية لنماذج من العمارة العثمانية بمستغانم، ص70، 74.
[2] - عقاب محمد الطيب ، قصور مدينة الجزائر ، ص139.

بـ1.16م بينما وصل ارتفاعها إلى 2.63م، وجاءت قبة غرفة الدويرة أكبر حجما، إذ بلغ قطرها 3.83م وطول ضلعها 1.43م في حين لم يتجاوز ارتفاعها عن الأرض 1.50م (الصورة 60).

وقباب القصر – التي نحن بصددها – ثمانية الأضلاع حملت على مثلثات ركنية، فتحت بكل منها أربع فتحات سدّ بعضها زمن الاحتلال، كانت مغطاة – فيما سبق – على الأرجح بزجاجيات ملونة تضفي منظرا خلابا بداخل الغرف. والملاحظ أن رقبة القبة تشكل نطاقا ترتكز عليه منطقة الانتقال، وهذا النطاق عبارة عن حزام مزدوج التشكيل تارة بارز وتارة غائر وضع للضرورة المعمارية من جهة، ولإضفاء مسحة من الجمال على القبة من جهة أخرى وقد شكّل من الجص، ونشير هنا إلى أن القباب خلت من أي مظهر زخرفي.

ولقد اقتصر استخدام القبة في مساكن وقصور الفترة العثمانية عادة على أماكن محددة دون غيرها، أبرزها القاعة الحارة للحمام وأواوين الطوابق الأولى وبداية ونهاية السلالم التي تفضي إلى السطح[1].

وتؤدي القبة دورا معماريا هاما، يتمثل في التغطية والتقليل من الضغط الحراري على الفراغات الداخلية، لأنها تتعرض لأشعة الشمس كاملة كما هو الحال بالنسبة إلى السطح الأفقي، لأن شكلها الانسيابي يساعد الجزء المظلل بعد هبوب نسمات الهواء المنعشة على التخلص من الهواء الحار والجاف[2]، كما أن شكلها يجعل المياه في موسم الأمطار، تنحدر بصورة انسيابية دون أن تؤثر سلبا على السقف، بينما السطح المستوي إذا ما تشبع ببخار الماء ترتفع به درجة الرطوبة – مما يؤدي ربما إلى انهيار السقف على المدى البعيد. كما أن بناء القبة يقصد من وراءه الحصول على عدد من التكوينات الإنشائية والمعمارية بهدف قطع الملل عن الناظرين وجلب انتباههم إلى ما هو مختلف التكوين من العمارة[3].

ومهم أن نؤكد أن المعماريين في العصر العثماني اشتهروا بولعهم بالقباب فاستخدموها بشكل واسع في مختلف مبانيهم و" قد أضفى هذا التغالي في استعمال القباب على الطراز العثماني شخصية مميزة وطبعا مرموقا بين طرز العمارة عامة والطرز الإسلامية خاصة"[4].

---

1 - عقاب محمد الطيب، قصور مدينة الجزائر، ص144.
2 - عقاب محمد الطيب،" المدخل إلى المسكن الإسلامي.."، ص16.
3 - عقاب محمد الطيب، قصور مدينة الجزائر، ص147.
4 - عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص227.

## 7.5 – السقوف:

استخدم بالقصر لتغطية الفراغات – إضافة إلى القباب – ثلاثة أنواع من السقوف، أهمها السقف الخشبي الذي يتميز بالاستواء وقد سقفت به – كما يبدو – معظم الغرف والقاعات والأروقة والممرات، ويتركب هذا النوع من السقوف – كما يظهر – من خلال النماذج الأصلية الباقية (الصورة 74)، من روافد خشبية مكعبة وأحيانا اسطوانية وضعت عرضيا وأحيانا طوليا ويثبت طرفا كل رافدة داخل الجدار إلى عمق يصل أحيانا إلى 40سم وتراوحت المسافة بين الرافدة والأخرى بين 10 و15سم، يوضع فوقها بشكل عمودي ألواح منشورية يصل سمكها إلى حوالي 3سم أما عرضها فلا يتجاوز 30سم غالبا، ثم تفرش بملاط مشكل من تركيبات متعددة منها التراب الجيري خفيف الوزن وكسرات من الآجر والفخار وقطع من الأحجار الصغيرة وشظايا القرميد إضافة إلى التربة الحمراء والرمل وبقايا من الرماد. ومن أهم خصائص مواد السقف المشار إليها أنها موصل ضعيف للحرارة، وبالتالي فهي تكتسبها تدريجيا وببطء لتفقدها تدريجيا وببطء.

ونظرا لما طرأ على السقوف الخشبية من تبديل وتغيير وتخريب فإننا لم نتمكن من ضبط سمكها بدقة، إلا أننا نرجح أنه يتراوح ما بين 50سم و80سم وهذا بناء على استنتاجاتنا ومشاهداتنا العينية من جهة ومن جهة أخرى قياسا على قصور ودور أخرى تعود لنفس الفترة ومنها دار الداي حسين بضاحية مدينة الجزائر والتي بلغ سمك سقف غرفها 0.80م، أما في قصور أخرى فتراوح مابين 0.40م و1م[1].

أما النوع الثاني من السقوف فهو السقف المقبب المتقاطع، وقد استخدم في موضع واحد فقط، وهو إحدى غرف الدويرة التي افترضنا أن تكون مطبخا، وليس من المستبعد أن هذا النوع من التسقيف استعمل في مواضع أخرى إلا أن التجديدات والتغييرات التي مست القصر تحول دون الكشف عنها، ومهما يكن من أمر فان المعمار الجزائري – عادة – ما كان يستخدم الأقباء المتقاطعة لتغطية السقائف والمطابخ والسلالم.

وتكمن أهمية هذا النوع من السقف في توزيعه الثقل على نقط ارتكاز ثابتة ومتباعدة دون أدنى تحميل على الجدران القائمة بين هذه النقط[2].

---

[1] - أنظر:- عقاب محمد الطيب، قصور مدينة الجزائر، ص.ص148-150.
[2] - عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص232.

ومن المعروف أن الأقبية المتقاطعة ظهرت منذ العصور القديمة حيث عرفتها بلاد الرافدين ومصر في العهد الفرعوني[1] وقد عرفتها العمارة الرومانية وأضحت عنصرا من عناصرها، ثم انتقلت إلى العمارة السورية قبل الإسلام ومنها إلى العمارة الإسلامية في المغرب الإسلامي[2].

كما استخدم نوع ثالث من السقوف وهو الأقبية نصف الاسطوانية وجاء استخدامها محدودا أيضا، إذ غطيت به الغرفة المستطيلة الواقعة بين الغرفة الدافئة والغرفة الساخنة وغرفة الحراسة الواقعة إلى اليمين مباشرة من المدخل الرئيسي.

ولعل هذا النوع من السقف استخدم في تغطية المساحات الضيقة كالممرات والغرف الضيقة المستطيلة ولم يكن شائعا في عمارة الجزائر خلال الفترة العثمانية.

---

[1] - شافعي فريد، العمارة العربية في مصر الإسلامية، ص115.
[2] - عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص235.

# الفصل الثالث

## مواد البناء والزخرفة

تعددت مواد البناء والزخرفة في المنشآت المعمارية للباي محمد الكبير بمدينة وهران على غرار مباني الفترة العثمانية في الجزائر، ومن هذه المواد ما انحصر استخدامه في الجانب المعماري فحسب كالحجر والملاط والطابية، ومنها ما استخدم لأغراض إنشائية وزخرفية في آن واحد كالآجر والجص والخشب والقنوات الفخارية والرخام وغيرها.

ويبدو أن البنّاء استخدم ما كان متاحا لديه من مواد بناء مختلفة ومراعيا في ذات الوقت التقاليد الإنشائية السائدة في عصره والموروثة عن عهود سابقة.

ومما يستحق الذكر أن المادة في فن العمارة تستخدم إما بشكلها الطبيعي كالحجر والخشب أو تصنع بكيفيات خاصة كالطابية والملاط والآجر.

كما تستعمل المادة حسب صلاحية خواصها الطبيعية والكيميائية والميكانيكية، إذ نجد أن بعض المواد تستعمل بالداخل بينما يمكن للمواد الأخرى التي تقاوم العوامل المناخية أن تستعمل بالخارج[1].

أما المواد التي استخدمها البنّاء فهي:

## 1 – الآجر:

يعتبر من أهم المواد التي استخدمت في بناء وزخرفة العمائر الجزائرية خلال الفترة العثمانية كما كان الشأن في العمائر الإسلامية في مختلف عصورها ولاسيما في البلاد التي يقل فيها الحجر. ويبدو أن بلاد المغرب ورثت تقاليد البناء بهذه المادة من الأندلس، التي استخدمته بصورة واسعة منذ فترة مبكرة في البناء أولا ثم الزخرفة من بعد ذلك خلال القرن 4هـ/10م[2].

والآجر عبارة عن طين محروق، يتميز بالصلابة[3] وشدة المقاومة، له قدرة عالية على تحمل الضغط، خفيف الوزن مما يسهل على البناء التحكم بكل حرية في تشكيله، وهو مع ذلك كله منخفض التكاليف وسريع الالتحام مع الملاط[4].

[1] - حمودة يحيى، التشكيل المعماري، ب.ت، ب.ط، ص81.
[2] - لعرج عبد العزيز، المباني المرينية، ص640.
[3] - تعتبر الصلابة من الخصوصيات الرئيسية لهذه المادة والتي جعلت استعمالها واسعا، وهذه الخصوصية تكتسب عقب الحرق بعد أن كانت طينة مرنة. أنظر:- الأمين عمر، مواد البناء وتقنياته بالمغرب الأوسط خلال القرنين(4-6هـ/10-12م)، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2001م، ص57.
[4] - Marçais,G. L'architecture…, P228.

ويصنف الآجر ضمن أفضل المواد المقاومة للعوامل المناخية من رياح وأمطار ورطوبة، ولذلك شاع انتشاره قديما وحديثا. ونلاحظ أن استخدامه – في جميع العهود عموما – لم ينحصر في جزء معين من البناء دون الآخر، كما لم يقتصر استخدامه على الجانب الوظيفي فقط، بل تعداه إلى الدور التزييني – الزخرفي.

وجدنا الآجر مستخدما في الحوائط والقباب والحنايا والأقبية والعقود والدعامات والشرّفات والمداخل والنوافذ والمآذن، بل واستخدم أيضا في تبليط الأرضيات وفي تشكيل شبكة معينات واجهات مئذنة جامع محمد بن عثمان الكبير (الصورة 71و75).

أما من حيث مقاساته[1] فقد تباينت بين موضع وآخر ويمكننا حصرها في خمسة مقاسات كما يوضحه الجدول التالي:

| المقاس بالسم / الأنواع | **الطول** | **العـرض** | **السمـك** | **مكـــان وجــوده** |
|---|---|---|---|---|
| **النوع الأول** | 20 | 11 | 04 | العقود والدعائم وأجزاء من الحوائط ولاسيما جواسق المآذن. |
| **النوع الثاني** | 23 | 12 | 04 | عتبة باب شرفة المبنى المفضل بقصرالباي. |
| **النوع الثالث** | 30 | 14 | 04 | جوسق مئذنة جامع محمد بن عثمان. |
| **النوع الرابع** | 23 | 14 | 04 | مئذنة جامع محمد بن عثمان الكبير. |
| **النوع الخامس** | 30 | 13 | 10 | جوسق مئذنة جامع محمد بن عثمان. |

ومما نستنتجه من خلال الجدول أن نسبة السمك إلى نسبة العرض إلى نسبة الطول لم تخضع في كل الأحوال إلى قاعدة ثابتة كما كان سائدا في بعض العمائر بالمغرب الأوسط[1].

[1] - يتقارب متوسط مقاسات الآجر المستعمل في منشآت الباي محمد الكبير مع متوسط مقاسات الآجر المريني على سبيل المثال الذي يبلغ 25في 12 في 3سم.أنظر:- لعرج عبد العزيز ، المرجع السابق، ص639.
كما يتقارب أيضا مع مقاسات الآجر الموحدي الذي يبلغ متوسطه: 27.5في13.5في3.5سم أو 28في13في4سم. أنظر:
Terrasse, H. et Basset,H. Sanctuaires et forteresses almohades, Collection Hespéris, Paris, 1932,P.43. -

## 2 – الحجر:

يعتبر واحد من المواد الأساسية التي كثر استخدامها في بلاد المغرب والأندلس لاسيما في الفترة المرابطية والموحدية والمرينية والزيانية[2] ثم بعد ذلك في الفترة العثمانية ولو بنسبة أقل. ومن أنواع الحجارة المستخدمة في هذه الفترة الدبش الذي استخدم في العمائر على اختلافها نظرا لأهميته، وهو عبارة عن حجارة كلسية، ذات صلابة معتبرة لها لون أبيض في العادة قد يميل إلى ألوان أخرى بسبب الشوائب التي تعتريه. وتعتبر مدينة وهران من المناطق الغنية بمادة الحجر هذه[3].

ويختلف استعمال الدبش باختلاف صلابته، فالصلب منه يستعمل في أركان البناءات وإذا كان شبه صلب استعمل لتعلية الحوائط، أما إذا كان أقل صلابة استخدم في الأجزاء العليا من البناء، وغالبا ما وجدنا الدبش مستخدما إلى جانب مواد أخرى خاصة الطابية والآجر (الصورة 63 و75).

واستخدم المعمار – أيضا – الحجارة المصقولة الموروثة عن الفترة الاسبانية لاسيما في بناء الأساسات وقد أمكن ملاحظة ذلك في قصر الباي، كما استخدمها أيضا لبناء مئذنة جامع الباشا، وفي هذا الصدد يقول الزياني في مؤلفه:".. وجمعوا لمنارته حجرا ضخما أربعة أيام أتوا به من برج الصبايحية، وكان السخارة هم الذين يحملون تلك الحجارة..."[4]، وبني بها كذلك القسم الأسفل من مئذنة جامع محمد بن عثمان الكبير (الصورة 6).

وتراوحت مقاسات هذه الحجارة ما بين 50 و80سم طولا ومابين 30 و50سم عرضا ومابين 30 و40سم سمكا.

ونجد إلى جانب الدبش والحجارة المصقولة، حجر الأردواز الذي يعتبر من فصيلة الأحجار الباطنية المكونة في أعماق الأرض وظهرت على السطح بفعل العوامل الطبيعية متمثلة في البراكين والزلازل والانجرافات والانزلاقات الأرضية، يستخدم في البناء للزوجته وسهولة تقسيمه إلى لوحات، كما يتميز – أيضا – بخفته ويسر استعماله، لكنه - في المقابل

---

[1] - الأمين عمر، مواد البناء وتقنياته بالمغرب الأوسط، ص57.

[2] - لعرج عبد العزيز، المباني المرينية، ص634.

[3] - تغطي الصخور الكلسية مناطق متفرقة من الساحل الوهراني وتنتشر على طول جبل مرجاجو المشرف على المدينة، وقد استفاد منها السكان منذ القدم في تشييد مساكنهم ومنشآتهم. - مقيبس بشير ، مدينة وهران، ص52.

[4] - الزياني، المصدر السابق، ص204.

- قليل المقاومة، بحيث يصاب بالانكسار والتشقق، إذا ما تعرض لدرجة حرارة مرتفعة، وهو حساس للرطوبة، كما يتأثر بالرياح لخفته[1].

وقد استخدم هذا النوع من الحجر خلال الفترة العثمانية عادة في عمل درجات السلالم ومقاعد السقائف وفي المواقد والمداخن، كما استخدم في القباب والأقبية والعقود، خاصة الإهليليجية منها.

أما في منشآت الباي محمد الكبير فلم نعثر إلا على نماذج قليلة منه، حيث أضيف إلى مواد البناء المشكلة للعقود والقباب والحوائط لكن بنسب ضئيلة جدا، كما صنعت منه بلاطات مربعة أبعادها 28 X 28 X 28سم.

ومن أنواع الحجارة الأخرى، التي استخدمت بكثرة في العمائر الجزائرية خلال العهد العثماني؛ الحجر الكلسي الذي يعدّ من الصخور الرسوبية، منه ما هو شديد الصلابة ومنه ما هو قليل الصلابة، وقد شاع استخدامه في الأبنية – عموما – لوفرته ويسر تكاليفه وقلة قابلية امتصاصه للماء وقلة تمدده وانكماشه[2].

وقد استخدم هذا النوع في عمل أعمدة أروقة مبنى الإقامة والحمام والدويرة بقصر الباي، وبنيت منه أيضا أعمدة مسجد الباي ومعظم أعمدة جامع الباشا، كما شكّل منه إطار المدخل المصمت المتواجد ببيت صلاة جامع الباشا، هذا الأخير نفذت عليه زخارف متنوعة تكاد تكون مماثلة في جميع مساكن وقصور الفترة العثمانية بالجزائر.

## 3 – الرخام:

يعتبر الرخام من أصلب أنواع الحجارة، يتكون في طبقات الأرض السفلى نتيجة التحولات الطبيعية الشديدة، يكون أحيانا أبيض اللون وغالبا ما يختلف لونه تبعا لاختلاف ما يتخلله من شوائب[3]، أدى في مختلف الحضارات دورا معماريا وزخرفيا متميزا، ومن خصائصه إضافة إلى القوة والصلابة، شدّة مقاومته للضغط والعوامل المناخية[4] وهو علاوة

[1] - Mignard, R. Guide constructeurs, T.1, Librairie centrale des beaux arts, Paris, S.D, P.534.
[2] - عاصم محمد رزق، المرجع السابق،ص73.
[3] - الأمين عمر، المرجع السابق، ص85.
[4] - لعرج عبد العزيز، المباني المرينية، ص632.

على ذلك جميل المنظر، ناعم الملمس، عرفته العمائر القديمة ولاسيما عمائر الرومان والبيزنطيين، كما عرفته العمائر الإسلامية المختلفة[1].

ونظرا لاعتباره مادة بناء نبيلة وغالية الثمن[2] فان وجوده خلال العهود الإسلامية انحصر غالبا في أماكن دون غيرها، حيث عملت منه الأعمدة وتيجانها وبلطت به الأرضيات أحيانا وشكّلت منه بعض أطر الأبواب والمحاريب واللّوحات، كما استخدم في بناء المنابر والكراسي والأحواض المائية وكساء الجدران أحيانا أخرى.

خلال الفترة العثمانية استخدم في درجات السلالم وتبليط الأرضيات[3]، وصنعت منه الأعمدة والتيجان وأطر الأبواب والمنابر والكراسي[4]. وبالرغم من وجود مقالع استخراجه بالجزائر كما في العهود السابقة[5] إلا أن الصناع الجزائريين لجأوا إلى الرخام المستورد من ايطاليا أحيانا وأكثر من ذلك فان معظم المنحوتات الرخامية التي استعملت في الجزائر هي من صنع ايطالي وخصوصا سيقان الأعمدة وتيجانها[6].

في جامع الباشا صنع منه إطار مدخل بيت الصلاة وبعض الأعمدة بداخله، كما صنعت منه النافورة الموجودة بصحنه واللوحة التأسيسية الموجودة حاليا بمتحف زبانة، وصنعت منه أيضا اللوحة التذكارية المثبتة على الواجهة الجنوبية لمئذنة جامع محمد بن عثمان الكبير.

أما في قصر الباي فقد صنعت منه الكثير من الأعمدة ونافورة الحديقة الصغرى وأطر نوافذ قاعة الديوان المشرفة على الحديقة، وصنعت به كذلك عتبات بعض النوافذ ودرجات السلالم ومنها السلم المفضي إلى المقر المفضل والسلم الصاعد إلى الطابق العلوي من دار الإقامة، كما بلطت به الكثير من الأرضيات.

---

1 - عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص118.

2 - الأمين عمر، المرجع السابق، ص85.

3 - Marçais,G. l'Architecture…, P.449.

4 - Dokali,R. Op.Cit., P.59.

5 - نذكر من بين مقالعه القريبة من وهران مقلع عين تموشنت. أنظر:- Chaila, H. Oran, histoire d’une ville, Edik 2°Edition, 2002, P.61.

6 - Marçais,G. l'Architecture…, P.449.

## 4 – الجص:

الجص عبارة عن مسحوق أبيض يستخلص عن طريق حرق صخر رسوبي يدعى الجبس، إذا ما أضيف إليه الماء يشكل مادة صلبة بعد مدة وجيزة، وجودة الجص المحصل عليه يتوقف على نوعية الجبس المستعمل وعلى كيفية حرقه وغربلته، ومن مميزاته أنه عازل جيد للحرارة وفي ذات الوقت حساس للرطوبة والماء[1]، وهذا ما يفسر استخدامه – غالبا – داخل المباني حيث استعمل لتكسية الحوائط والسقوف وتسويتها ونقش مختلف الزخارف عليها، كما استخدم كملاط لتثبيت المربعات الخزفية وقطع الرخام والبلاطات.

وبالإضافة إلى ذلك أدى الجص دورا تزيينيا بحتا، حيث أنجزت عليه زخارف متنوعة على بطون العقود والقباب وعلى وجوه المثلثات الركنية، وهذا ما لاحظناه في جامع الباشا ومسجد الباي والقصر. ونظرا للعوامل الطبيعية والبشرية فان الكثير من الزخارف التي نفذت على الجص تكون قد تعرت أو طمست، وما بقي منها سوى القليل (الصورة 76).

وتعتبر بلاد فارس القديمة وعاصمتها العراقية المدائن موطن الجص الأول التي منها استمدت سامرا[2] – كما يبدو – الزخرفة على الجص، وقد ظهرت تأثيراتها في جامع ابن طولون وكذلك في جامع قرطبة[3].

إلا أن استخدام الجص في مجال الزخرفة يرجع إلى الفترة الأموية، ويمكن مشاهدة ذلك بوضوح في القصور الأموية كقصير عمرة والحير الغربي وقصر خربة المفجر[4].

في بلاد المغرب والأندلس توسع استخدام الجص في الزخرفة خاصة في العهد المرابطي، وهذا ما نلمسه في جامع تلمسان و القرويين، وعنهم ورث الموحدون استخدامات هذه المادة، حيث استعملوها في تغطية السطوح الإنشائية لمبانيهم وزخرفتها[5].

وكانت تشكل مادة الجص عنصرا مهما في المباني المرينية، حيث استعمل بكثرة في كساء الجدران والتسقيف إضافة إلى التزيين الزخرفي داخل المباني[6].

[1] - Coste,J., Le plâtre traditionnel et moderne , 3°Edition, Edition Eyrolles, Paris, 1981, PP 29-39.

[2] - كانت النقوش الجصية خلال العهد العباسي هي العنصر السائد في زخرفة المباني. أنظر: - عبد القادر الريحاوي، العمارة العربية الإسلامية؛خصائصها وآثارها في سوريا، مطابع وزارة الثقافة، دمشق، 1979، ص86.

[3] - زغلول سعد ، العمارة والفنون في بلاد الإسلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2004م، ص226.

[4] - الريحاوي عبد القادر، المرجع السابق، ص43.

[5] - لعرج عبد العزيز، المباني المرينية، ص644.

[6] - نفسه، 641.

ويعدّ الجص - عموما – من أوسع المواد انتشارا في ميدان الزخرفة خلال الفترة العثمانية بالجزائر سواء بالعمارة الدينية أو المدنية. ففي مجال الزخرفة داخل المساجد استخدم في الجدران الداخلية للأقبية والقباب وشكلت منه الشمسيات المخرمة وأطر المحاريب[1]. أما في القصور فقد صنعت منه ألواح جدارية نحتت عليها مختلف الزخارف إضافة إلى أفاريز وشرائط تتصل بأسفل السقوف بالأروقة والغرف ورقبات القباب[2].

## 5 – الجير[3]:

يعتبر الجير مادة أساسية كثيرة الاستعمال، يحصل عليه بحرق الحجارة الكلسية، وهو بالإضافة إلى استخدامه كمادة لاحمة في الملاط والطابية؛ يستخدم أيضا في طلاء الجدران خاصة الخارجية منها وإضفاء عليها اللون الأبيض. وعادة ما يشرع في تبييض المبنى بعد الانتهاء من أشغال البناء وعقب جفاف الملاط، وكان يضاف إلى الجير أحيانا مسحوق المرمر قصد إعطاء الجدران بياضا ناصعا ومقاومة شديدة للمياه[4].

## 6 – الطابية:

الطابية "مادة بنائية انتشرت في منطقة الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط الجنوبي منها والشمالي وفي عدة مناطق من العالم، غير أن منطقة المغرب توسعت في استخدامها بصورة أقوى من بقية المناطق"[5]. والطابية خليط بنائي مركب من عدة مواد هي التربة الحمراء والحصى والرمل والجير – كمادة لاحمة – وقد تضاف إليها مواد أخرى. لهذه المادة خصائص مهمة منها سهولة تشكيلها وقلة تكاليفها ويسر الحصول على موادها الخام وسرعة تصلبها، وهي فوق ذلك كله شديدة المقاومة للضغط والتقلبات المناخية وعازل جيد للحرارة[6].

---

1 - Dokali,R. Op.Cit., P.59.

2 - عقاب محمد الطيب ، قصور مدينة الجزائر، ص159.

3 - حول هذه المادة واستعمالاتها وخصائصها وكيفية تحضيرها أنظر:- الأمين عمر، مواد البناء وتقنياته، ص.ص110- 114 و118- 120.

4 - Revault, J. L'habitation tunisoise, pierre, marbre et fer dans la construction et le décor, C.N.R.S, Paris, 1978, P.55.
P.55.

5 - لعرج عبد العزيز، المباني المرينية، ص627.

6 - حول مادة الطابية وخصائصها أنظر:- لعرج عبد العزيز ، المرجع السابق، ص.ص627-631.
- الأمين عمر، المرجع السابق، ص.ص41-52.

وتزيد صلابة الطابية ومقاومتها لمختلف عوامل التعرية كلما زادت كمية الجير المناسبة والمستخدمة في الخليط الطيني لتشكل بذلك حجرا اصطناعيا[1]. ويمكن القول أن هذه المادة توافق إلى حد كبير الخرسانة سواء في تركيبتها أو في خصائصها[2] ولذلك كان الإقبال على استخدامها كبيرا في مختلف العمائر أثناء الفترة العثمانية كما كان الشأن في العهود السابقة، حيث استعملت بكثافة في العمارة الإسلامية بالأندلس[3] وقد استخدمت إلى جانب الحجارة في المغرب منذ العهد المرابطي، لتحتل مكان الصدارة في بداية العهد الموحدي، وفي المقابل اختفى استخدام الحجر وذلك منذ نهاية القرن 6هـ/12م في خلافة أبي يوسف يعقوب[4].

وتبين لنا من خلال المعاينة الميدانية للنماذج المدروسة أن الطابية المستعملة لم تشكل من خليط واحد وبالتالي تراوح لونها بين الأحمر القرميدي والأصفر الباهت، وقد استخدمت كمادة أساسية منفردة، وأحيانا مقرونة مع الدبش آو الآجر أو هما معا (الصورة 63 و75).

## 7 – الملاط:

يعتبر الملاط مادة لاحمة، استخدم على نطاق واسع في جميع عمائر الفترة العثمانية بالجزائر، يتكون من خليط متصلب يتشكل من مواد طبيعية مختلفة[5] وهو نوعان؛ نوع طيني طيني يتركب من تربة طينية وقليل من الرمل، يصبح أكثر صلابة – مباشرة – بعد تجفيفه، استخدم هذا النوع في المواضع البعيدة عن الرطوبة نظرا لقلة تحمله ومقاومته. أما النوع الثاني فهو الملاط الجيري المكون من الجير والرمل والتراب الطيني وبعض فتات الفخار[6] وهو أكثر مقاومة من النوع الأول وأقوى تحملا لعوامل التعرية والضغط وبالتالي أوسع استخداما.

وللملاط عدة وظائف، فبالإضافة إلى دوره في ربط وتماسك مختلف مواد البناء، يؤدي دورا في إعادة تسوية الحافات غير المنتظمة في البناء وسدّ الفراغات الناتجة عن عدم

---

[1] - الأمين عمر، المرجع السابق، ص52.
[2] - لعرج عبد العزيز، المرجع السابق، ص628.
[3] - Golvin,L. Essai…, T.4, P.264
[4] - Terrasse,H et Basset,H. Sanctuaire…, P.38,39.
[5] - الأمين عمر، المرجع السابق، ص108.
[6] - قد تدخل مواد أخرى في تركيبه مثل مسحوق القرميد والآجر.

الانتظام، ومن جهة أخرى يسمح بتوزيع متساو لقوى الضغط عند تماس المواد فيما بينها شريطة أن يكون ذو سمك منتظم[1].

## 8 – القرميد:

ظهر استعمال القرميد منذ العصور القديمة عند شعوب آسيا وعند الإغريق والرومان، أما في الجزائر إبان العهد العثماني فقد قلّ استعماله بالمباني لوجود السطوح المستوية – التي استغلت في وظائف اجتماعية عديدة لاسيما في العمائر المدنية – بدل السطوح المائلة[2]، وجاء استخدامه في أماكن محددة مع مراعاة الناحية الجمالية لوجوده[3].

ويعتبر القرميد من المواد غير المكلفة كثيرا والمقاومة للعوامل المناخية والتي تتميز بخفة الوزن وسهولة التعامل معها وتشكيلها، وكان النوع المستخدم في مختاف العمائر الإسلامية ولاسيما في بلاد الشام والمغرب هو القرميد النصف الدائري[4] الذي يكون نصف محيطه السفلي أكبر من نصف محيطه العلوي حتى يمكن تركيبه بطريقة منتظمة وثابتة.

وقد استخدم القرميد في تغطية المباني بشكل أساسي في مختاف العصور الإسلامية ببلاد المغرب والأندلس وذلك قبل الفترة العثمانية التي شهدت تراجعا وانحصارا في دور هذه المادة.

وكان عادة ما يوضع في عمائر الجزائر خلال الفترة العثمانية - بما في ذلك الموجودة بوهران- على شكل أفاريز تكوّن تكرارات أفقية[5]، ومراعاة للناحيتين الوظيفية والجمالية طلي سطحه الظاهري باللون الأخضر الزرعي[6].

---

1 - الأمين عمر، المرجع السابق، ص107.

2 - يعتبر السطح قسم أساسي في المسكن عموما، حيث استغل في الأعمال المنزلية اليومية كتجفيف الملابس وبعض الأطعمة، كما يعدّ المكان الأنسب لأخذ نصيب من الدفء شتاء، وفي فصل الصيف تلتقي العائلات فيه هروبا من الحرّ، وأحيانا يعتبر واسطة اتصال بالعالم الخارجي (الجيران).- Marçais, G. « Maisons et villas… », P.348.

3 - عقاب محمد الطيب، قصور مدينة الجزائر، ص153. - Golvin,L. Palais et demeures, P78.

4 - الأمين عمر، المرجع السابق، ص69.

5 - وضع القرميد في دار الداي حسين بمدينة الجزائر-على سبيل المثال- على شكل أفاريز أسفل الجدار الداخلي الموجود بالسطح لمنع انسياب الأمطار إلى داخل أروقة الصحن، كما استعمل أيضا في شكل أفاريز بالأروقة والجدران الموالية للجنينة، ويبدو أن الاستخدامات ذاتها للقرميد نجدها في قصور الفترة العثمانية بالجزائر. أنظر: - عقاب محمد الطيب، قصور مدينة الجزائر، ص154.

6 - هذا اللون هو الذي استخدم في معظم العمائر الإسلامية، ويؤدي الطلاء بغض النظر عن لونه دور العازل بحيث يحول دون تسرب الماء كما له دور تجميلي. أنظر:- الأمين عمر، المرجع السابق، ص68.

شكّلت منه أفاريز أعلى أروقة صحني جامع الباشا ومسجد الباي، كما استخدم في قصر الباي أعلى المدخل الرئيسي وعند رواق الحمام ودار الضيافة، وأعلى بعض حوائط الغرف الخارجية في مبنى الإقامة ودار الضيافة.

أما مقاسات القرميد فجاءت مماثلة، حيث يبلغ طول القطعة الواحدة 41.50سم ويبلغ قطر قاعدتها الكبيرة 23سم بينما يبلغ قطر قاعدتها الصغيرة 18سم.

## 9 – القنوات الفخارية:

هي عبارة عن قنوات مصنوعة من الفخار ذات أغراض مختلفة حيث تستعمل لنقل وصرف مياه الأمطار المتجمعة فوق السطوح إلى خزانات خاصة تحفر تحت الأرضيات قصد استعمالها عند الحاجة، كما تستعمل أيضا لنقل المياه إلى داخل المباني والغرف والى الحمامات، ومن جهة أخرى تستخدم لصرف الدخان وسحبه من خلال المداخن، وربما استخدمت أيضا لنقل الهواء الساخن إلى غرف الحمامات[1].

وتجدر الإشارة إلى أن فوهتي كل قناة مختلفة القطر، ليمكن تركيبها بيسر عند الاستخدام، إلا أن وضعها عند صرف الدخان يكون معاكسا له عند نقل الماء. ففي حالة صرف الدخان – الذي يتحرك تصاعديا عكس الجاذبية – توضع القناة بحيث تكون فوهتها الضيقة متجهة إلى أعلى بينما فوهتها الواسعة تكون إلى أسفل وذلك لمنع تسرب الدخان، أما في حالة نقل الماء الذي يتحرك تنازليا بفعل الجاذبية فتركب القنوات بشكل معاكس[2].

وينبغي أن نذكر أيضا أن قنوات سحب الدخان عادة ما تركب في عمق الحائط، بينما تركب قنوات نقل المياه قريبة من سطح الحائط بحيث يمكن التدخل بسرعة لإصلاح أي عطب قد يتسبب في تسرب المياه[3]. ويبقى أن نشير في الأخير إلى وجود نماذج لهذه القنوات في قصر الباي، بعضها في حالة سليمة وفي مكانها الأصلي، وبعضها الآخر في غير مكانها الأصلي وفي حالة مهشمة.

---

1 - الأمين عمر، المرجع السابق، ص74.

2 - Ravéreau,A. Casbah d'Alger, P.146.

3 - Ravéreau,A.OP.CIT. P146.

## 10 – الخشب:

استخدم الخشب كثيرا وفي مختلف العصور ولاسيما في عمل السقوف والأبواب والنوافذ والمنابر والدّكك والدرابزين والظّلات التي تعلو المداخل، كما استخدم لأغراض فنية وزخرفية[1]، من مميزاته امتصاصه للرطوبة وطرحها خارجا حسب التقلبات المناخية[2]، ففي الطقس الرطب يمتص الماء ويجف في حالة الطقس الجاف، كما يعتبر عازلا جيدا للحرارة، نتحصل عليه من شجر الأرز والعرعار والطقسوس والسرو وغيرها، وهذه الأنواع موجودة بكثافة ببلادنا خاصة بالمناطق الشمالية حيث غابات الأطلس التلي الكثيفة.

وقد أدى الخشب دورا مهما في عمائر الجزائر الدينية[3] والمدنية[4] على حد سواء خلال العهد العثماني، وخاصة في مدن كالجزائر وقسنطينة ووهران، فبالإضافة إلى استعماله في بناء السقوف وتدعيم المباني، استعمل أيضا في مجال الزخرفة.

وكان المعمار المسلم قد لجأ إلى الخشب لتغطية أسقف مسجد الباي ورواقي جامع الباشا والكثير من غرف وقاعات قصر الباي[5] (الصورة 19 و74). كما استخدم للتدعيم سواء في المساجد الثلاثة أو القصر وذلك من خلال تثبيت روافد خشبية أو أعمدة غشيمة في سمك الحوائط بشكل عمودي أحيانا، وبشكل أفقي أحيانا أخرى، وشكلت منه أيضا دكّة المبلغ الموجودة بجامع الباشا، وعلاوة على ذلك استخدم الخشب لغرض زخرفي، حيث صنعت منه – أحيانا – سقوف إضافية أنجزت عليها زخارف نباتية وهندسية وكتابية ورمزية[6]، وهذا النوع من السقوف الجميلة عرفته - إضافة إلى دول المغرب – دول المشرق بما في ذلك مصر والشام[7].

[1] - كان يعدّ الخشب مادة رئيسية لا يمكن الاستغناء عنها في عملية البناء حيث صنع منه العتاد كالقوالب والصاقلات والرفش والسلالم. أنظر:- الأمين عمر، المرجع السابق، ص137ة شكل: 26-27-28.

[2] - الأمين عمر، المرجع نفسه، ص129.

[3] - Dokali, R. Op.Cit, P.59.

[4] - Marçais,G. l'Architecture…, P.449

[5] - الكثير من هذه الأسقف بدّلت بأسقف أخرى حديثة.

[6] - الأسقف المزخرفة الأصلية التي كانت موجودة-مثلا-في قاعة الديوان والمقر المفضل استبدلت بأخرى حديثة أنجزت عليها زخارف متنوعة.

[7] - الريحاوي عبد القادر، " البيت في المشرق العربي الإسلامي"، المؤتمر العاشر للآثار بالبلاد العربية، تلمسان، وزارة الثقافة الجزائرية، نوفمبر، 1982م، ص21.

## 11 – المعادن:

تستعمل المعادن عادة كمادة مكملة للبناء، وللأسف لم يبق من المعادن المستخدمة لأغراض معمارية أو فنية في المنشآت المعمارية للباي محمد الكبير سوى أمثلة قليلة، ومع ذلك فان استخدامها جاء في نطاق جد ضيق على غرار العمائر الإسلامية عامة وعمائر الجزائر خلال الفترة العثمانية خاصة. فالحديد شكّلت منه شبابيك النوافذ والفتحات (الصورة 7 و64) كما دعمت به بعض الأعمدة والجدران قصد تمتينها وإعطاءها مقاومة أكبر، وصنعت منه السفافيد المثبتة فيها الكرات المعدنية أعلى القباب، وكان الحديد يستخدم عادة – بالإضافة إلى الاستخدامات المذكورة سابقا – في شدّ الأطر الرخامية إلى كتل البناء وتدعيم الأبواب وفي ربط مصاريعها إلى الإطار الخشبي وأيضا في صنع المسامير[1] وحلقات (مطارق) الأبواب[2].

أما البرونز فكان أقل استخداما من الحديد، حيث صنعت منه التفافيح والأهلة المثبتة على قبيبات المآذن وبعض قباب جامع الباشا (الصورة 43 و29)، وزيادة على ذلك، كان يستخدم البرونز في زخرفة الأبواب من خلال نصف كرات محزوزة الظهر[3] تطوق رؤوس رؤوس المسامير المثبتة في صلب الأبواب[4].

## 12 – البلاطات الخزفية:

أطلق على البلاطات الخزفية في بلاد المغرب مصطلح الزليج ويقصد بهذه التسمية البلاطات الفخارية المطلية[5]، وقد احتلت مكانا واسعا في عمائر الجزائر التي ترجع إلى العهد العثماني[6]، وخاصة المدنية منها، فقد كسيت بها الأجزاء السفلية من الجدران إلى ارتفاع معتبر قد يتجاوز المتر أحيانا، كما شكّلت منها الكثير من الأفاريز والأشرطة منها تلك المتصلة بالسقف سواء داخل الغرف أو خارجها على الجدران الموالية للصحن، كما

---

[1] - عثرنا على بعض المسامير المصنوعة من معدن الحديد وهي ذات مقاسات مختلفة.

[2] - Marçais,G. l'Architecture…, P.450.

[3] - ذات النماذج تقريبا تكون قد وجدت خلال الفترة المرينية ويقول عنها الأستاذ لعرج:" وقد استخدمت في تثبيت الأجزاء المختلفة من القطع المعدنية والأخشاب على حوّاف المصراعين مسامير مختلفة الحجم ولكنها ذات مظهر فني تتخذ شكلا مستديرا على شكل قبيبات صغيرة ذات قنوات وأخاديد". - لعرج عبد العزيز ، المباني المرينية، ص650.
كما عثر على ما يشبهها في مدينة أشير وهي عبارة عن " مسامير زخرفية ذات رؤوس مفلطحة ومخروطية".- الأمين عمر، المرجع السابق، ص148.

[4] - عقاب محمد الطيب، قصور مدينة الجزائر، ص161.

[5] - بن بلة علي و المقراني محمد عزيز ،" دراسة تصنيفية للبلاطات الخزفية المعروضة بالمتحف الوطني للآثار"، حوليات المتحف الوطني للآثار، عدد 4، سنة 1414هـ/1994م، ص11، 12.

[6] - لعرج عبد العزيز، الزليج في العمارة الإسلامية بالجزائر في العصر التركي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الطبعة الأولى، 1990م، ص19.

طوقت بها عقود الأروقة وأطر الأبواب والنوافذ وبلّطت بها الأرضيات[1]، ففي مدينة الجزائر على سبيل المثال نكاد لا نجد مسكنا أو قصرا يخلو من هذه البلاطات[2].

أما في العمائر الدينية فقد استخدمت البلاطات الخزفية في زخرفة واجهات المآذن وبطون القباب وتجاويف المحاريب وواجهاتها كما استخدمت أيضا في الأضرحة[3].

وتؤدي البلاطات الخزفية إضافة إلى دورها الجمالي – من خلال زخارفها الفنية وألوانها الزاهية البراقة – دورا معماريا مهما فهي تجعل غرف المساكن تتمتع بجو لطيف طارد للحرارة المنبعثة من وسط الدار بفعل انعكاس الأشعة الساقطة على الأرضية الرخامية وتحافظ على الجو الدافئ للغرف أثناء فصل البرودة[4]، كما تساهم من جهة أخرى في بقاء الجدران نظيفة وغير مسامية وطاردة بالتالي للحشرات[5].

وكان يتمّ الحصول على البلاطات الخزفية غالبا عن طريق الاستيراد من دول كتونس وتركيا وايطاليا وهولندا، وهي الدول التي كانت تربطها مع الجزائر علاقات تجارية متينة[6]، متينة[6]، ويبدو أن الكميات الأكبر من هذه المادة كانت ترد من تونس بحكم حسن الجوار وارتباط هذا البلد حينذاك سياسيا بالخلافة العثمانية[7]، هذا من جهة ومن جهة أخرى ازدهار صناعة البلاطات الخزفية فيها[8].

وقد استخدم "الزليج" بكميات معتبرة في جميع المباني التي نحن بصدد دراستها ولاسيما في قصر الباي، وقد أحصينا نحو 33 نوعا، منها 15 نوعا في القصر وحده، و12 في جامع الباشا، مما يؤكد التوسع في استخدام هذه المادة لم يكن أبدا – كما اعتقد البعض – حكرا على مدينة دون غيرها على الرغم من قصر فترة الحكم العثماني في وهران الذي لم يتجاوز 63 سنة في مجمله، وهو الأمر الذي حال بطبيعة الحال دون قيام حركة عمرانية واسعة.

---

[1] - حول مجالات استخدام البلاطات الخزفية في عمارة المساكن والقصور بالجزائر أنظر: - محمد الطيب عقاب،" من العناصر الجمالية في البيت الجزائري الأصيل(المربعات الخزفية)"، مجلة الدراسات الأثرية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 1412هـ/ 1992م، عدد2، ص67.

[2] - نفسه، ص67. – عقاب، قصور مدينة الجزائر، ص157، 158.

[3] - بن بلة علي و المقراني محمد عزيز ،" دراسة تصنيفية للبلاطات الخزفية..."، ص18.

[4] - عقاب محمد الطيب ، "المدخل إلى المسكن العربي الإسلامي بمدينة الجزائر"، ص18.

[5] - Broussaud,G. Les carreaux de faïence peints dans l'Afrique du nord, Librairie Plon, Paris, 1930, P.2.

[6] - لعرج عبد العزيز، الزليج في العمارة الإسلامية، ص14، 15.

[7] - من خلال دراسة تصنيفية للبلاطات الخزفية المعروضة بالمتحف الوطني للآثار بالجزائر قام بها الأستاذان بن بلة علي و المقراني محمد عزيز تبين أن 53.29 % من مجموع البلاطات مصدرها تونس، تليها أوربا بنسبة 13.94 % ثم تركيا بنسبة 1.22 %، أما النسبة المتبقية فيبقى مصدرها مجهولا. أنظر:- علي بن بلة ومحمد عزيز المقراني،"دراسة تصنيفية للبلاطات الخزفية"، ص.ص23-49.

[8] - Dokali,R. Op.Cit., P.69.

وقد تنوعت مجالات استخدامه في هذه المباني، إذ ازدانت به واجهة محراب جامع الباشا وبطن القبة التي تتقدمه والواجهات الداخلية لرواقي الصحن، كما نجده مستخدما في زخرفة المآذن الثلاثة ولاسيما جواسقها. في حين كسيت به الجدران الداخلية لقاعة الديوان وجزء من جدرانه المقابلة للحديقة وعرض الكثير من النوافذ والخزائن الجدارية، كما شكل منه الطنف البارز في واجهات صحن الإقامة[1].

[1] - هذه بعض مجالات استخدام البلاطات الخزفية في قصر الباي وليس كلها، فقد عثرنا على نماذج عديدة شبه مهملة لا نعرف على وجه الدقة أين كانت مستعملة، والأكيد أن جزء منها استعمل في تكسية الجدران الداخلية للغرف وواجهات صحن الإقامة الداخلية على شكل أفاريز فوق العقود ،وأشرطة تتخللها، ومنها ما يكون قد استخدم كإطارات للأبواب والنوافذ والخزائن الجدارية.

# الفصل الرابع

## دراسة تحليلية للعناصر الزخرفية

## 1 – العناصر الزخرفية النباتية:

أدت الزخارف النباتية دورا بارزا في العمائر الإسلامية عامة وحظيت بعناية خاصة من قبل الفنان المسلم وبلغت شأوا كبيرا من الجودة والإتقان والتنوع، ويبدو أن المسلمين أسرفوا في استخدام الزخارف النباتية لكراهية الإسلام محاكاة الخالق ولاسيما الأشكال الآدمية والحيوانية[1] وأبدعوا فيها إبداعا منقطع النظير إلى أن ابتكروا طرازا زخرفيا متميزا سمي بالأرابسك أو التوريق العربي ذو خصائص نوعية تقوم أساسا على الفروع والسيقان والأغصان والأزهار وغيرها من العناصر النباتية.

وقد نالت الزخارف النباتية في المباني المنسوبة للباي محمد الكبير بوهران حيّزا هامّا واحتلت مواضع متعددة كالحوائط والقباب وواجهات المآذن والعقود والتيجان، ونفذت على الجص والرخام والحجر والمربعات الخزفية.

وتتميز الزخارف النباتية بالتنوع في عناصرها ومن أهمها:

### 1.1 – السيقان:

استخدمت السيقان في عدة مواضع بجامع الباشا، فجاءت رفيعة نوعا ما ومعقدة في إطار مدخل بيت الصلاة (الصورة 14 و78). ترسم شكلا ملتويا يمتد إلى ما لا نهاية وعلى نحو معاكس؛ وفي صورة شبيهة بالدوائر المتقاطعة كما في مكتبة جامع القيروان[2]. أما في ركني العقد – وان رسمت على نفس الهيئة – فان حجمها جاء مغايرا وأقل تعقيدا تبعا للمساحة المتاحة لدى الفنان.

وجميع هذه السيقان محفورة في الجص حفرا بارزا تمتد في المساحة بطريقة ملتوية، حيث أن كل ساق يتفرع عنه عدة سيقان تلتف حول نفسها، باستثناء ساق واحد الذي يخرج عن نطاق حيز الساق الأول ليمتد هو الآخر بشكل ملتوي لينبثق منه عدة سيقان وهكذا دواليك مشكلة في نهايتها مراوح، تشبه إلى حد ما الزخرفة الموجودة في جامع القيروان[3].

وفي موضع آخر تبرز أربعة سيقان من منبت واحد، كل اثنين منهما يتخذان اتجاهين متعاكسين ويتباعدان على نحو متناظر ليفسحا المجال لشكل زخرفي آخر في البروز متمثلا

---

[1] - زكي حسن، في الفنون الإسلامية، دار الرائد العربي، بيروت، 1981م، ص27.

[2] - أنظر: - Bourouiba,R. l'Art religieux, P,54.

[3] - أنظر: - Marçais,G. l'Architecture…, P.116.

في زهرة محورة، وكل أربعة سيقان – أخرى – تشكل في تقاطعها ما يشبه الحرف اللاتيني (X). ونشير هنا أن السيقان الأربعة لا تمتد إلى النهاية، إنما تشكل موضوعا زخرفيا يتكرر وبنفس النسق مع سيقان أربعة أخرى (الصورة 12).

وتشبه هذه السيقان – عموما – سيقان الفترة الزيانية والمرينية ذات المظهر الرفيع والأنيق والمشكلة في الغالب على هيئة ملتوية وغصون دائرية[1]. ويبدو أن هذه الطريقة في تشكيل السيقان مستمدة من الفترة الموحدية مع اختلاف في طريقة تنظيمها[2]، مع العلم أن الموحدين يكونون قد استفادوا من الزخارف النباتية المرابطية وعناصر السيقان فيها[3].

ونلاحظ خلال الفترة العثمانية بالجزائر في بعض المساجد أن السيقان تمتد على هيئة أغصان متنافرة بالنسبة لمحور،ويتفرع عنها مراوح، والملاحظ أنه عند امتدادها يحدث انتفاخ لها يملأ المساحات الفارغة[4].

وغالبا ما تأخذ السيقان والأغصان التي تتفرع عنها في الزخرفة النباتية الإسلامية شكلا غير طبيعي أقرب إلى العنصر الهندسي، وذلك من خلال التواءه وامتداده، ويعتبر الساق أساسا لكل العناصر النباتية الأخرى ومنها الورقة التي ما هي إلا امتداد لهذا العنصر[5].

## 2.1 – المراوح النخيلية: (الشكل 15).

تعدّ المراوح النخيلية من أهم العناصر النباتية في مبنى جامع الباشا، وقد رسمت وفق أشكال مختلفة ومتعددة، فمنها المراوح البسيطة التي تكونت من فص واحد ممدد ينتهي في الغالب بانحناء خفيف يشبه الإبهام وأحيانا ينحني بشدّة ليشكل في النهاية ما يشبه الهلال (الشكل 15. 1-2-3-4).

وإلى جانب المراوح البسيطة، استخدم الفنان المراوح المزدوجة المكونة من فصين غير متساويين أحيانا ومتدابرين، قد يتراجعان نحو الداخل أو الخارج، تارة بصورة متناظرة وتارة بصورة معاكسة ومشكلة على غرار المراوح البسيطة ما يشبه الإبهام عند الانحناء الخفيف، وما يشبه الهلال عند الانحناء الشديد (الشكل 15. 5...19).

---

[1] - فاضل وردة، تطور العناصر الزخرفية في عمارة المغرب الأوسط الدينية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2002م، ص59.
[2] - لعرج عبد العزيز، المباني المرينية، ص864.
[3] - نفسه، ص865.
[4] - Dokali,R. Op.Cit., P.64.
[5] - Marçais,G. l'Architecture…, P51.

وتوجد نماذج عديدة لهذه المراوح المزدوجة ولاسيما في جامع الباشا، حيث تتكرر تلك المحفورة على الجص في إطار مدخل بيت الصلاة وركني عقده (الصورة 14)، وفي واجهة المدخل التذكاري على الأشرطة الكتابية ( الشكل 15. 16-17-18-19 والصورة 8 و86)، وما يلاحظ على مراوح هذه الأخيرة أنها اتسمت بالغلاظة، تتخللها كما يبدو حزوز وهي قريبة الشبه بتلك الموجودة في زخارف محراب جامع المبايعة بمعسكر الذي بناه أيضا الباي محمد الكبير وببعض المراوح التي تعود إلى الفترة الزيانية[1] (الشكل 17). وما عدا ذلك فان باقي المراوح تتشابه فيما بينها إلى حد كبير.

والواقع أن السيقان شكّلت إلى جانب المراوح موضوعا يكاد يكون رئيسيا مع الزخرفة الكتابية إذ كانت تكوّن أرضية لها، وتداخل العناصر النباتية مع العناصر الكتابية بشكل ملفت جعل من الصعب الفصل بين الموضوع الرئيسي والموضوع الثانوي.

وتوجد مجموعة من الزخارف القائمة على المراوح المزدوجة تكسو ركني عقد المدخل الرئيسي لجامع الباشا وتتميز عن اللوحات السابقة بكونها أكثر تعقيدا في جانبها الزخرفي.

كما زينت المراوح تيجان جامع الباشا، حيث تنطلق مجموعة من المراوح البسيطة محزوزة الوسط وترتفع بارتفاع التاج ثم تتراجع في حركة ملتوية مشكلة ما يشبه اللام النهائية المقلوبة" ⅂" (الشكل 2.16-3).

وهناك نوع آخر من التيجان تبدو فيه المراوح محورة تحويرا شديدا تنطلق كل مروحة على شكل ضفيرة، تتراجع في نهايتها ملتفة حول نفسها بشكل شبه دائري على غرار التيجان السابقة (الشكل 1.16).

واستعمل الفنان في الفترة العثمانية – كما هو الشأن في جامع الباشا – المراوح بأنواعها وخصوصا البسيطة والمزدوجة[2].

ويبدو أن عنصر المروحة بأشكالها المختلفة والمتعددة موروثة عن الفترة الزيانية[3] والمرينية[4]، بيد أنه يلاحظ أن المراوح المزدوجة كانت أكثر انتشارا واستخداما وتنوعا[5]، ومع ومع ذلك لم ترق إلى أناقة وتنوع المراوح المرابطية[1].

---

[1] - أنظر:- Bourouiba,R. l'Art religieux , P.141,142.
[2] - Dokali,R. Op.Cit., P.64. – Marçais,G. l'Architecture…, P.453.
[3] - أنظر:- Bourouiba, R. L'art religieux, P.141,Fig.50.
[4] - أنظر:- Ibid, P.196, Fig.66.
[5] - Marçais, G. L'architecture…, P.354.

والظاهر أن التشابه كبير بين هذه الزخارف و الزخارف المرابطية[2]، ففي الشريط المستطيل لمحراب وباب مقصورة جامع تلمسان نلاحظ أن الكتابات تنطلق من أرضية نباتية قوامها سيقان ومراوح وبراعم، تنتهي هامات الحروف فيها أحيانا بمراوح مزدوجة[3].

كما تقوم الكتابات الزخرفية الموحدية على أرضية مكونة من سيقان ملتوية تمتد بشكل عرضي غير منتظم ومراوح ملساء تسدّ الفراغات بين الحروف[4]، وهي تشبه إلى حد ما زخارف بعض الأشرطة الكتابية لجامع الباشا.

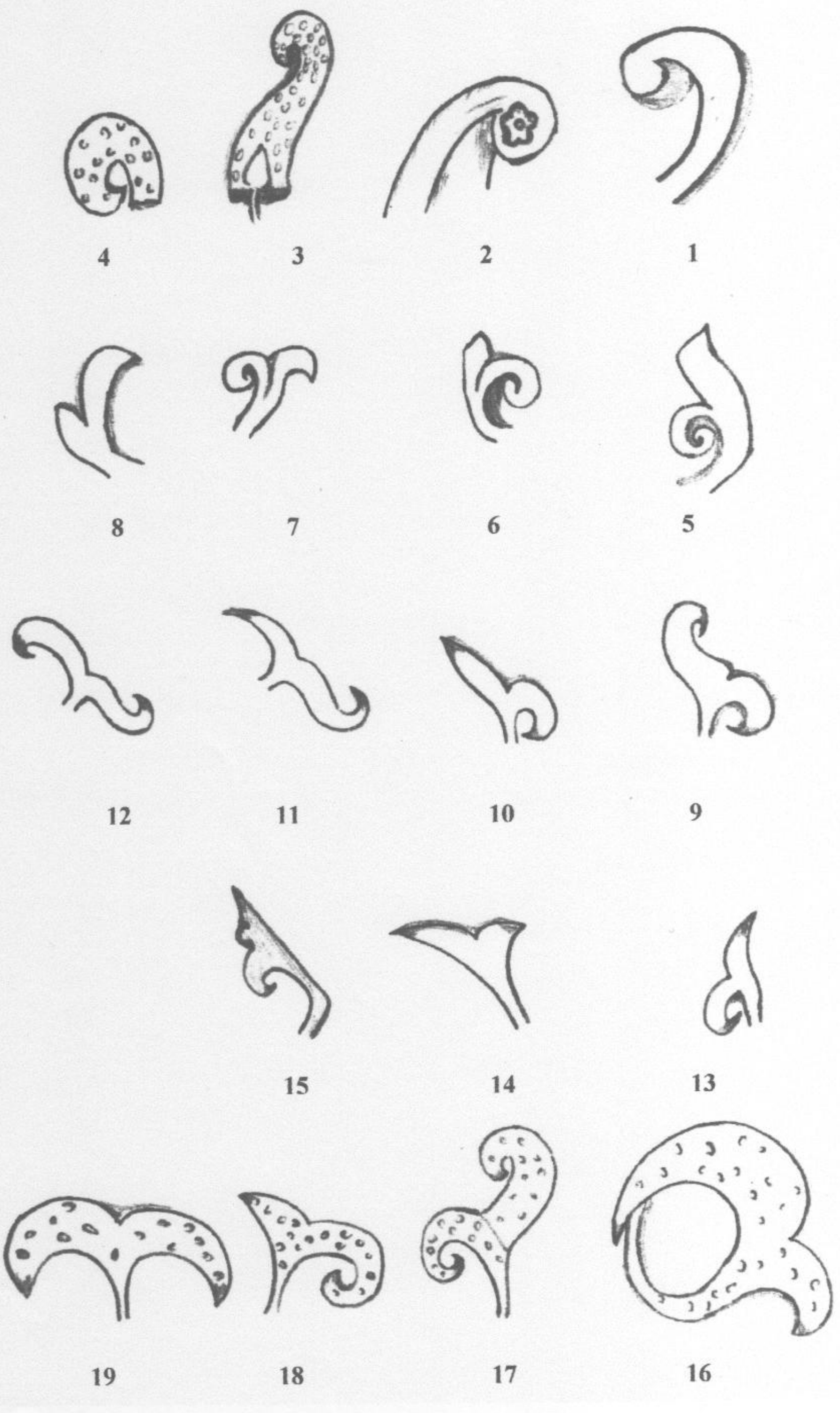
[1] - Bourouiba, R. Op.Cit, P.141, Figs 36-37-38.

[2] - تعتبر المراوح النخيلية العنصر الزخرفي الأساسي في الزخارف النباتية المرابطية حيث شهدت تنوعا شديدا في الأشكال والأحجام ونميز منها نوعين؛ المراوح الملساء وهو نوع نادر الاستعمال والمراوح المعرقة وهو نوع كثير الانتشار يتميز غالبا بتعريقاته الشديدة. أنظر:- عولمي محمد الأخضر، تطور الزخرفة النباتية في العمارة بالمغرب الإسلامي من القرن الثاني إلى منتصف القرن السادس الهجري، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2002م، ص133، 134.

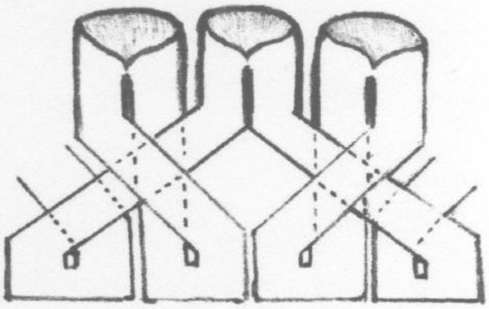
[3] - Bourouiba, R. Op.Cit, P.102.

[4] - لعرج عبد العزيز، المباني المرينية، ص896.

- Terrasse, H. et Basset, H. Op.Cit, P.220.




شكل 15: أنواع المراوح.



1

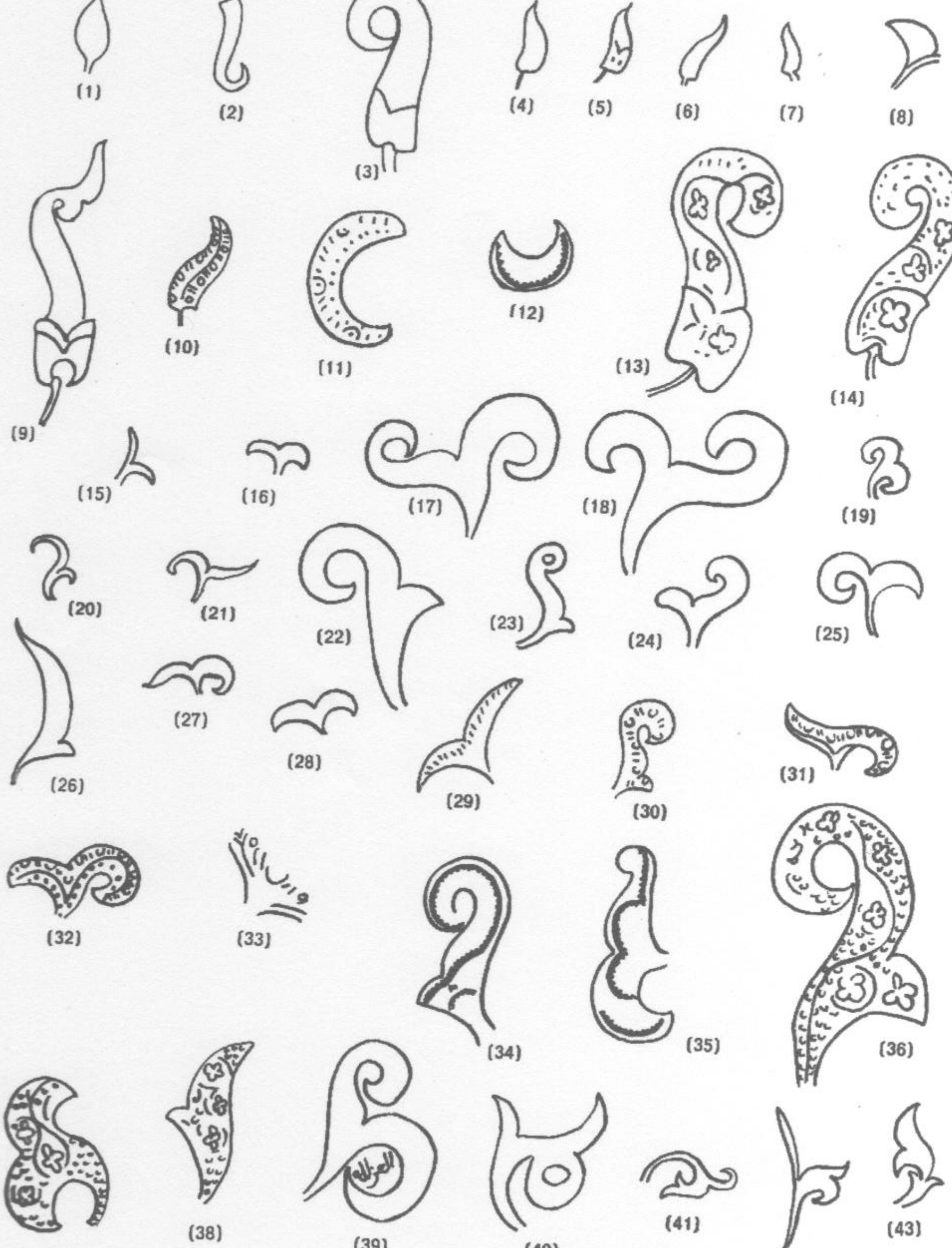


2

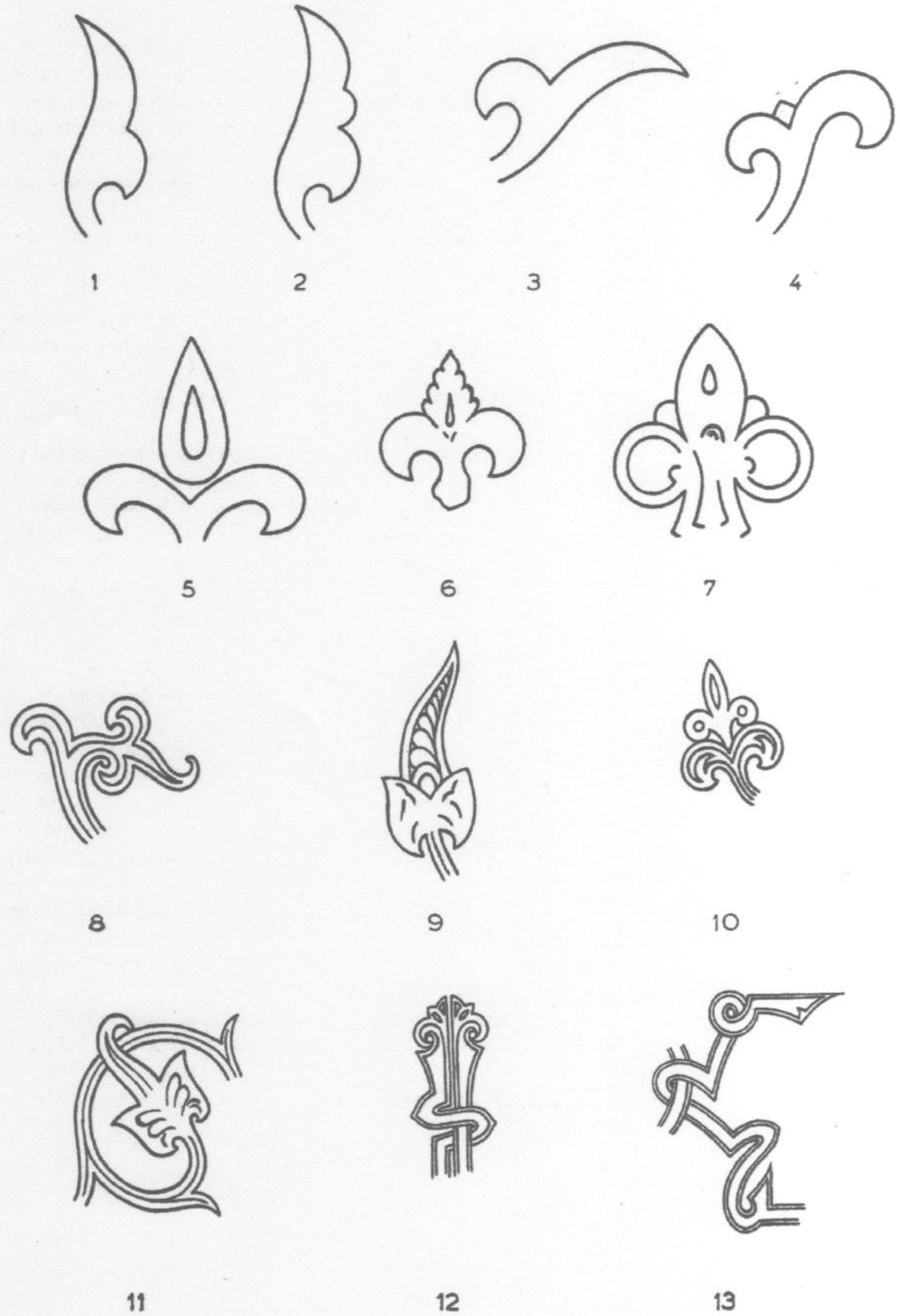


3

شكل 16: جامع الباشا، نماذج لمراوح بعض تيجان الأعمدة.




شكل 17: مراوح زيانية (عن بورويبة).




شكل 18: عناصرزخرفية نباتية من العهدالحمادي (عن كولفان).

### 3.1 – ورقة الأكانتس:

تعدّ ورقة الأكانتس من العناصر النباتية التي عرفتها العمارة بالجزائر خلال العهد العثماني، وقد كان الإقبال عليها كبيرا[1]. احتلت الصدارة في العصر الأموي سواء في الفسيفساء أو النحوت على الجص و الحجر[2]، وكانت معروفة في الطراز الإغريقي والروماني والبيزنطي.

استخدمها الحماديون، حيث وجدت منحوتة على بعض التيجان التي عثر عليها بالقلعة وبجاية[3].

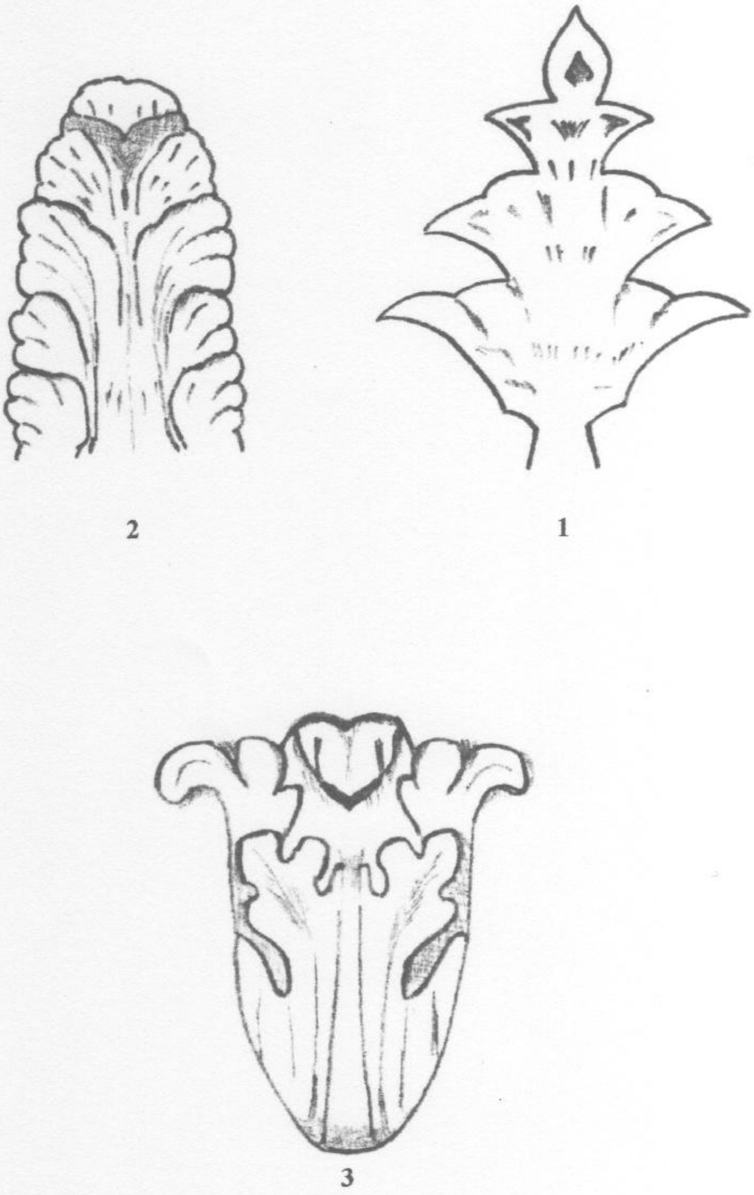
وشهدت خلال الفترة المرابطية إقبالا كبيرا سواء في تلمسان أو فاس أو مراكش، وقد رسمت بشكلها الطبيعي[4] ثم اختفت في أواخر العهد الموحدي والعهد المريني[5].

وينبغي أن نسجل هنا أن هذا العنصر كان حاضرا بشكل ملفت في الزخرفة النباتية الأندلسية منذ عصر الخلافة حيث نجده في جامع قرطبة ومدينة الزهراء بأشكال متنوعة وفي وضعيات مختلفة[6].

وقد استخدمت في تزيين بعض التيجان ولاسيما التيجان الشبيهة بالتيجان الكورنثية حيث بدت قليلة التحوير، متقنة الصنع، تكونت من عدة فصوص مسننة، جاءت طريقة حفرها ضحلة (الشكل 3.19)، وبالأخص تلك المستخدمة في تيجان قاعة الديوان بالقصر (الصورة 66)، كما زين بها تاج عمودي مدخل بيت الصلاة بجامع الباشا في شكل نطاق يلف بدن التاج (الصورة 38)، تكونت من 9 فصوص مسننة هي الأخرى، تنطلق في حركة علوية ثم تتراجع بشكل دائري (الشكل 2.19).

وأهم ما يميز هذه الأوراق – إلى جانب التناسق والتناظر – أنها حفرت حفرا بارزا متقنا مما أضفى عليها جانبا من الوضوح والرقة والرشاقة، فبدت أقرب ما يكون

---
1 - عن ذلك أنظر: - عقاب محمد الطيب، قصور مدينة الجزائر، ص ص 170-179
2 - شافعي فريد ، العمارة العربية، ص221.
3 - Bourouiba, R. L'art religieux, P.54, Fig.21,1-2.
4 - عولمي محمد الأخضر، تطور الزخرفة النباتية في العمارة بالمغرب الإسلامي، ص139.
5 - لعرج عبد العزيز، المباني المرينية، ص878.
6 - Marçais, G. L'architecture…, P.174-175, Figs.108,109,110.




شكل 19: ورقة الأكانتس في وضعيات مختلفة.

صلاة جامع الباشا (الشكل 1.19 والصورة 78 (ب)).

ومن جهة أخرى، ازدانت الكثير من المربعات الخزفية بورقة الأكانتس التي كسيت بها كما أسلفنا من قبل العديد من المواضع في المعالم محل الدراسة ومختلف المباني بالجزائر خلال الفترة العثمانية ومما تجدر الإشارة إليه أنها رسمت بأسلوب محور مما أفقدها جوهرها الطبيعي[1].

## 4.1 – الأزهار:

تميزت زخارف الأزهار بالتنوع الشديد، وهذه الأخيرة – كما هو معلوم – وجدت في مختلف فنون العصور القديمة ثم انتقلت إلى فنون العصر الإسلامي، تتكون من أزهار بسيطة ومركبة مثل زهرة القرنفل وزهرة اللاله(شقائق النعمان) إضافة إلى الورود المختلفة، ومنها ما تكوّن من ثلاث بتلات فأكثر مع الإشارة إلى أن الكثير منها لحقه التحوير الكامل والذي بدأ في الظهور على العمائر الإسلامية اعتبارا من القرن 3هـ/9م ومن أمثلته تلك الزخارف الجصية التي عثر عليها بسامرا[2].

أما أكثر الزهيرات عددا فهي تلك التي تتكون من ثلاث فصوص الشبيهة بالبراعم النباتية، وقد اختلفت أشكالها وأحجامها بين موضع وآخر، ومنها تلك التي زينت واجهات مئذنة جامع محمد بن عثمان الكبير وضمّتها معيناتها (الصورة 79)، فبينما تميز الفص الأوسط بالامتداد، تميز الفصان الجانبيان بالقصر وأيضا بالتناظر والتقايس، ويبدوان كمروحتين في حالة تراجع، وقد رصعت الفصوص الثلاثة للزهيرات بقطع من الزليج (الشكل 1.20).

ذات العنصر يتكرر ضمن اللوحتين الزخرفيتين المشكلتين من الجص أعلى حجرة المدخل الرئيسي لجامع الباشا (الصورة 87 و89)، والمتكونتين من شبكة المعينات مع الإشارة إلى أن هذه الزهيرات اختلفت شكلا وحجما (الشكل 2.20).

[1] - نشير فقط أن الأعمدة ذات التيجان الكورنثية مستوردة أو مهداة من ايطاليا وليست محلية الصنع.
[2] - Marçais,G. l'art musulman, P.36. – Golvin,L. Essai…, T.3, P47

ويمكن أن نلاحظ هذه الزهيرة فوق العقود المفصصة المشرفة على صحن الجامع (الصورة 77)، حيث شكّل الفصان الجانبيان لبعضهما ما يشبه الكأس التي تحمل الفص الأوسط، وقد تميزت هذه الزهيرات بالرشاقة ودقة الصنع (الشكل 3.20-4).

وهناك نوع آخر من نفس هذه الزهيرات شبيه إلى حد ما بتلك المذكورة سابقا وهي التي تمثلها الشرّفات المتوجة لحجرة المدخل التذكاري (الصورة 88)، ورغم كبر حجمها واختلاف مادة تشكيلها إلا أنها اتسمت بالجمال والتناسق. وإذا استثنينا هذا النموذج الأخير فان باقي الزهيرات نفذت جنبا إلى جنب مع الزخارف الهندسية.

هذه الزهيرات ثلاثية الفصوص استخدمت بشكل ملموس في الزخارف النباتية الأغلبية ولاسيما في جامع القيروان ومسجد ثلاث أبواب[1]، كما استخدمت أيضا خلال الفترة الحمادية وشكّلت إلى جانب المراوح العناصر الأساسية في الزخرفة[2]. وتتشكّل الزهيرات المرينية غالبا من ثلاثة فصوص بعضها ملساء وبعضها الآخر مخرمة[3] كما استعملت الزهيرات ثلاثية الفصوص خلال الفترة الزيانية وكانت الأكثر انتشارا[4]، ويبدو أن هذه الزهيرات قريبة الشبه بما هو موجود في جامعي الباشا ومحمد بن عثمان الكبير، وهو ما يؤكد التأثير الزياني.

أما الزهيرات رباعية البتلات فهي قليلة الاستخدام، حيث وجدت على الحلزونيات الجانبية للتيجان الكورنثية (الشكل 1.21)، بعضها واضحة المعالم محكمة التنفيذ وبعضها مطموسة تكاد لا تلاحظ، وبعضها الآخر غير موجودة أصلا، ويبدو أنها اندثرت مع مرور الزمن أو أن الفنان لم يقم بتنفيذها .

وكان من العناصر الزخرفية المفضلة عند الفنان المسلم، الزهيرة ذات الفصوص المتعددة، حيث استعملت في عدة أماكن، ومن أمثلتها تلك التي تشغل مركز النجمتين السداسيتين اللتان تزينان الواجهة الشرقية لجامع محمد بن عثمان، وتتكون من ثمانية فصوص (الشكل 2.21)، وفي نفس المئذنة نشاهد زهيرة ذات 16 فصا تحتل مركز المربع ثماني الرؤوس بالواجهة الجنوبية، مع التأكيد أن فصوص هذه الزهيرات حفرت على شكل أخاديد (الشكل 3.21).

---

1 - عولمي محمد الأخضر، تطور الزخرفة النباتية...، ص39.
2 - Golvin,L. Le Magrib central …, P.204, Fig.23.
3 - Bourouiba, R. L'art religieux, P.196.
4 - فاضل وردة، تطور العناصر الزخرفية، ص66.

في جامع الباشا، استخدم الفنان أيضا الزهيرات متعددة الفصوص في أطراف بعض الأشرطة الكتابية وفي الإطار الحجري للمدخل المصمت الموجود بداخل بيت الصلاة، إلا أن عدد فصوصها تبدو غير واضحة لتراكم الأصباغ.

وقد شكّلت الزهيرات في هذه النماذج من فصوص شبه دائرية أو بيضوية مدببة المقدمة أو على هيئة عقود مدببة أو حدوية. بعض هذه الزهيرات – خاصة تلك التي نحتت على الإطار الحجري – حاكت – ولو بطريقة محورة – زهرة عباد الشمس التي شاع استخدامها على الأطر الحجرية للأبواب خلال الفترة العثمانية، إلى جانب زهيرات خماسية التويجات التي استخدمت أيضا على أطر أبواب المساكن بمدينة الجزائر[1].

وأهم المواضع التي زخرت بأكبر عدد من الزهيرات؛ هي البلاطات الخزفية بعضها رسم على هيئة شبه طبيعية وبعضها الآخر محور (شكل 28...3.32-4).

وعلى العموم، فان الزهيرات متعددة الفصوص لم يكن الإقبال عليها كبيرا في بلاد المغرب ولم تعد بالتالي عنصرا أساسيا في الزخرفة، ففي العهد الحمادي كانت نادرة جدا، تتكون من أربعة أو عشرة فصوص طويلة ومدببة، وكانت في العهد المرابطي قليلة الاستخدام تتشكل من أربعة أو خمسة أو ستة فصوص، استعملت كعنصر ثانوي لتزيين السيقان والأغصان، وفي الفترة المرينية كانت تتشكل من أربعة فصوص فقط تتخذ أشكالا مختلفة. أما في الفترة الزيانية فتألفت عموما من أربعة أو ثمانية فصوص.

## 5.1 – الثمار:

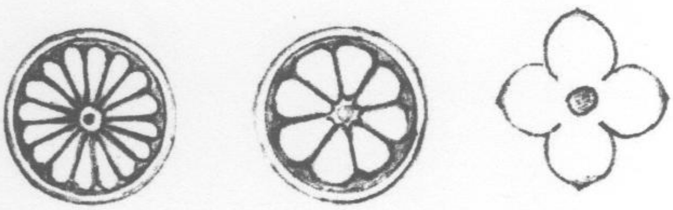
أما عنصر الثمار فلم يشهد نفس الإقبال الذي شهدته باقي العناصر النباتية على غرار العمائر الإسلامية بصفة عامة، حيث قلّ استخدامه بالزخرفة، وأحسن أمثلته

[1] - عقاب محمد الطيب، قصور مدينة الجزائر، ص171.



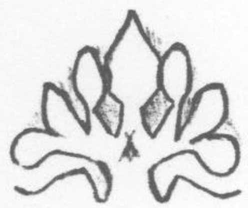
4 3 2 1

شكل 20: أزهار ثلاثية الفصوص.



3 2 1

شكل 21: زهيرات متعددة الفصوص.



شكل 22: ثمرة عنب محورة.

موجود عند نافورة جامع الباشا على شكل سلّة بداخلها مجموعة من الفواكه الصيفية كالأجاص والتفاح والعنب والبطيخ وغيرها، وقد نحتها الفنان نحتا يدعو إلى الإعجاب، وأكسبها رشاقة ومسحة جمالية لا تضاهيها عناصر مماثلة في موضع آخر من المبنى، فكانت أقرب ما يكون إلى الطبيعة، غير أن الطلاءات المتراكمة عليها أفقدتها بريقها وجانبا من رونقها (الصورة 78(أ) ).

ويعدّ هذا المثال عملا فريدا من نوعه في عمائر الجزائر، إن لم يكن في أقطار المغرب الإسلامي قاطبة، وكان عادة ما يستخدم الفنان المسلم نوعا واحدا أو اثنين من الثمار للزخرفة في الموضع الواحد كالعنب أو الرمان أو كيزان الصنوبر.

والمثال الثاني الذي لدينا موجود باللوحة الجصية في بطن عقد المدخل الرئيسي لجامع الباشا، حيث نشاهد ما يشبه عنقود العنب في وضع معاكس لكن بشيء من التحوير، فبدا هذا العنصر أبعد ما يكون عن الواقع (الشكل 22)، وقد نجد ما يشبهه تماما في زخارف المسجد الأقصى التي تزين سقوفه الخشبية القديمة.[1]

أما المثال الثالث فوجدناه مرسوما على إحدى أنواع البلاطات الخزفية التي ازدانت بها قاعة الديوان وهو عبارة عن عنقود عنب رسم على صورته الطبيعية (الصورة 84).

خلال الفترة العثمانية استخدم هذا العنصر النباتي ولكن ضمن نطاق ضيق، حيث زخرفت أعمدة أطر بعض أبواب قصر عزيزة بمجموعة من الفواكه من رمان وأعناب وموز، موصولة بأوراقها[2]، وفي حالة تبدو نادرة جدا نشاهد ثمار الإجاص تتدلى من أسفل قرون تيجان بقصر خداوج العمياء، هذا بالإضافة إلى وجود عناقيد العنب في الكثير من القصور[3].

وتعتبر عناقيد العنب من العناصر النباتية الزخرفية التي استعملت في الفن البيزنطي ومن ثم الأموي[4]، كما استخدمت بكثرة عند الأغالبة واتخذت – غالبا – شكلها الطبيعي[5].

أما في العهد الحمادي فيبدو أن عناقيد العنب اختفت تماما[1] واستعملت بدلها كيزان الصنوبر[2] التي اعتمدت أيضا في الفترة المرابطية والزيانية والمرينية ومن بعدها العثمانية[3].

---

1 - Golvin, L. Essai…, P.117.

2 - عقاب محمد الطيب، قصور مدينة الجزائر، ص170.

3 - نفسه، ص172، 173.

4 - أدى عنقود العنب أيضا دورا مهما في الزخرفة الأندلسية. أنظر تفاصيل ذلك في:- Marçais, G. L'architecture…, P.176.

5 - عولمي محمد الأخضر، المرجع السابق، ص42.

## 2 – العناصر الزخرفية الهندسية:

تعد العناصر الهندسية من أهم العناصر الزخرفية التي لجأ إليها الفنان المسلم واستخدمها في عمائر الجزائر خلال الفترة العثمانية بما في ذلك المعالم التي نحن بصدد دراستها، هذا النوع من الزخرفة تفنن فيه المسلمون كثيرا وأبانوا عن براعة وحذاقة وموهبة كبيرة قل نظيرها.

مع العلم أنه قبل الإسلام لم يكن لها دور بارز إذ كانت تستخدم غالبا كإطارات لغيرها من الزخارف[4] و".. من ناحية العناصر الزخرفية فإنه لم ينتقل من الطرز السابقة إلى الطراز الإسلامي العربي من العناصر الهندسية ذات المميزات الخاصة سوى عدد قليل مثل الصليب المعقوف الإغريقي وزخارف الجدائل.."[5].

وتتكون الزخارف الهندسية – في الغالب – من الخطوط بأنواعها المستقيمة والمنكسرة والمغلقة والمنحنية والمضفرة والحلزونية البسيطة منها والمعقدة. ومن الأشكال المساحية كالمثلث والمربع والمستطيل والدائرة والمعين والمضلعات الخماسية والسداسية والثمانية إضافة إلى الأطباق النجمية والأهلة.

ورغم وفرة العناصر الهندسية إلا أنها لم تشكل في الغالب - موضوعا زخرفيا مستقلا بذاته، إنما كانت تشارك عناصر زخرفية أخرى ولاسيما النباتية منها، سواء في تقسيم مواضيعها الزخرفية أو في تحديد وحداتها الفنية تحديدا واضحا[6] وقد تؤدي أحيانا دورا هامشيا لا شأن له يذكر.

---

[1] - عثر على أمثلة لعناقيد العنب في جامع قسنطينة إلا أنها تعود على الأرجح إلى الفترة العثمانية حسب الأستاذ بورويبة. أنظر:- Bourouiba, R. L'art religieux, P.55,Fig.21,21-22.

[2] - عولمي محمد الأخضر، المرجع السابق، ص116.

[3] - نشير بهذا الخصوص أن كيزان الصنوبر استعملت بكثافة في زخارف محراب جامع المبايعة الذي شيّده الباي محمد الكبير بمعسكر.

[4] - زكي محمد حسن، في الفنون الإسلامية، ص29.

[5] - فريد ، المرجع السابق، ص217.

[6] - عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص134.

**1.2 – الخطوط:** (الشكل 23).

تعدّ الخطوط أصل أي تشكيل هندسي، شاع استخدامها في العمارة المصرية القديمة والعمائر التي أعقبتها ومنها انتقلت إلى العمارة الإسلامية حيث أدت دورا بارزا في الزخارف الهندسية[1].

خلال الفترة العثمانية استعملت مختلف الخطوط في العمائر الدينية[2] والمدنية على حد سواء، حيث نفذت على أطر الأبواب والنوافذ وعلى الأعمدة، كما زينت بها بعض السقوف الخشبية[3].

ومن هذه الخطوط التي استخدمها الفنان في عمائر الباي محمد الكبير بوهران الخط المستقيم والمنكسر والمنحني، جاءت أحيانا مجردة وأحيانا أخرى مشتركة مع عناصر أخرى، كما استعملت لتشكيل موضوع زخرفي قائما بذاته أو لتحديد مواضيع زخرفية معينة أو لملء الفراغ.

ويعتبر الخط المستقيم من أكثر الخطوط وضوحا، يتسم بالقوة والاستقامة والإتزان[4] حددت به القطاعات الزخرفية للمآذن وشكلت منه الأفاريز والنطاقات المتعددة، كما استخدم على الأطر الرخامية للنوافذ في قصر الباي بشكل غائر أو بارز، وأجمل استخدام للخطوط المستقيمة تلك التي تزين بعض قباب جامع الباشا ولاسيما قبة المدخل، حيث تنطلق من رقبتها لتمتد في شكل أشعة متقاطعة عند القمة (الصورة 44).

أما الخط المنكسر فيتكون من مستقيمين أو أكثر، يبدو أكثر مشقة في قراءته ليس لطوله ولكن نظرا لصعوبة تتبع التغيرات المفاجئة لاتجاهه[5].

استخدم خاصة في جامع الباشا وذلك بواجهته الأمامية حيث يبرز في إطار المدخل الرئيسي على هيئة جدائل ذات عقد متعددة (الشكل 1.23)، وفوق عقد مدخل بيت الصلاة (الشكل 2.23-3)، وعند القبة التي تتقدم المحراب (الشكل 4.23)، كما شكلت منه حواف الشرّفات وبعض الأجزاء من الأفاريز التي تفصل بين القطاعات الزخرفية لمئذنة جامع محمد بن عثمان الكبير إلى غير ذلك من الاستخدامات الكثيرة.

---

[1] - نفسه، ص134.
[2] - أنظر: - .Dokali, OP.Cit., P62
[3] - عقاب محمد الطيب، قصور مدينة الجزائر، ص179، 180.
[4] - حمودة يحيى، المرجع السابق، ص55.
[5] - حمودة يحيى ، المرجع السابق، ص40.

والجدير بالذكر أن الخط المنكسر – كغيره من الخطوط – استخدم منفردا أحيانا، وأحيانا أخرى اشترك مع غيره من العناصر الزخرفية في تشكيل موضوع زخرفي عام.

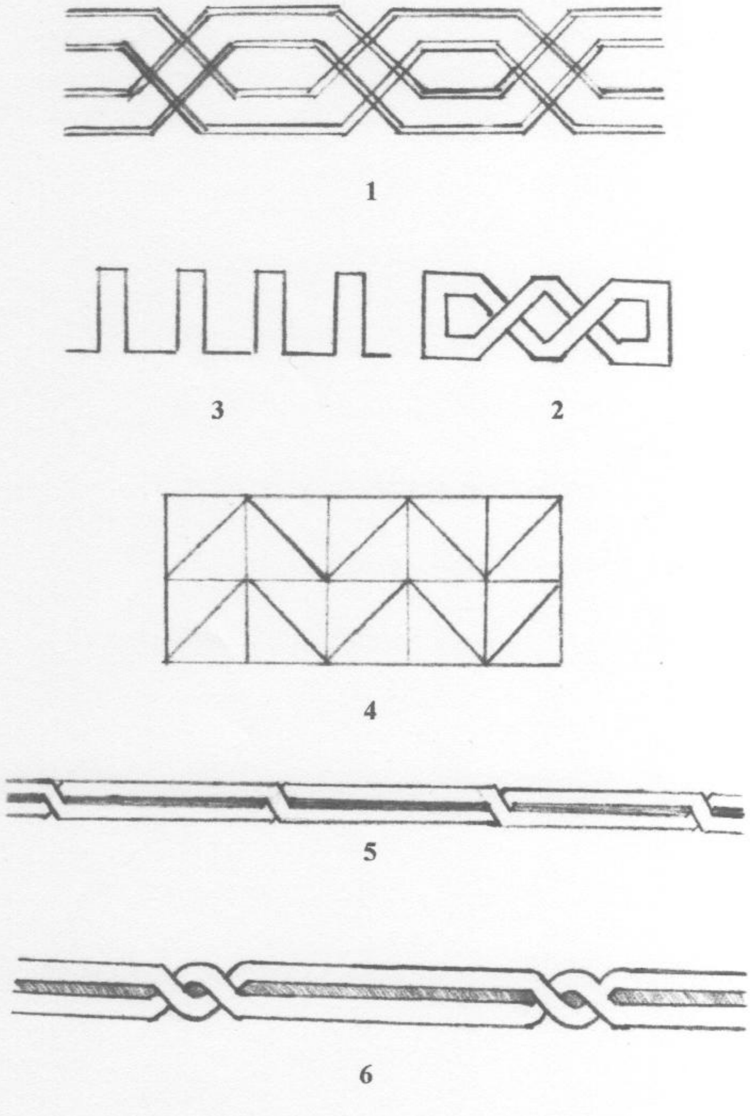
ويبقى أن نشير إلى الخط المنحني الذي يرسم تارة في مستوى واحد أو يندمج في مستوى منحني تبعا لانحناء الخط، ومن سماته الليونة مع الاستمرار وكذلك الغنى في التشكيل[1].

استعمل هذا الخط في تشكيل جميع حواف العقود والمعينات بالتناوب أحيانا مع الخط المنكسر وفي تشكيل النصف العلوي من الأعمدة الرخامية المستوردة، والى هذا النوع نضمّ تلك الحلزونيات المحفورة في أركان التيجان، كما استعمل أيضا في تكوين المثلثات الركنية وبطون بعض القباب والأقبية المتقاطعة، ومن جهة أخرى اشترك مع غيره من العناصر في تشكيل مواضيع زخرفية متنوعة بما في ذلك تلك المرسومة على قطع البلاطات الخزفية.

وفي الأخير نشير إلى أن الخطوط بأنواعها والمرسومة على شكل ضفائر شكلت إطارا لبعض الكتابات الزخرفية بجامع الباشا (الشكل 5.23) وأيضا إطارا للقطاعات الزخرفية لمئذنة جامع محمد بن عثمان (الشكل 6.23).

---

[1] - نفسه، ص40.




شكل23: نماذج للخطوط.

## 2.2 – الأشكال المساحية:

نجد من بين الأشكال المساحية الأكثر استعمالا المربعات، بعضها رسم على البلاطات الخزفية والبعض الآخر نفذ بالآجر والجص، ففي القسم الأعلى من جوسق مئذنة مسجد الباي، نشاهد مربعا مركزيا يحيط به مربعا آخر أكبر منه تتخللهما عناصر زخرفية مختلفة وجميعها مرسومة على تجميعات من أربع بلاطات[1].

وهناك تجميعات أخرى مؤلفة من أربع قطع توجد نماذج منها في قصر الباي ومئذنة جامع محمد بن عثمان الكبير عبارة عن شبه مربعات محاطة بتفاصيل من عدة عناصر نباتية (الشكل 27).

وتتضمن شمسيات القبة المركزية بجامع الباشا العديد من المربعات المنفذة على الجص إلى جانب أشكال مساحية أخرى، وذات العنصر نجده مشكلا بالجص على أحد حيطان جوسق النافورة أيضا، على جانبي الشريط الكتابي عند مدخل بيت الصلاة.

والى جانب المربع نجد المستطيل الذي شكّل في الغالب عنصرا ثانويا يشترك مع عناصر أساسية أخرى، حيث كونت منه الأطر المحددة للكتابات والقطاعات الزخرفية للمآذن الثلاثة وشبكة المعينات بجامع الباشا.

وفي نفس الجامع يتكرر هذا العنصر على عقد المدخل الرئيسي تارة منفردا ومستقلا بذاته وتارة يشترك مع عناصر نباتية أخرى متنوعة مشكلا إطارا لها، وننوه هنا أن المستطيل في هذه الهيئة كان أقرب إلى شبه المنحرف لعدم انتظام زواياه.

ويبرز من بين الأشكال المساحية الأخرى التي أقبل الفنان على استخدامها المثلث بأنواعه، إلا أن النوع الغالب كان المثلث متساوي الساقين الذي نجده في قبة المدخل الرئيسي وقبة جوسق النافورة والقبة المركزية والقبة التي تتقدم المحراب بجامع الباشا وجميع قبيبات الجواسق والناتج عن تقاطع المستقيمات المشكلة على بدن القبة.

وهناك بلاطات زخرفية مربعة قوام زخارفها مثلثين قائمين، رسم أحدهما باللون الأبيض ورسم الثاني باللون الأخضر أو الأزرق كما في جامع الباشا وواجهات مئذنة جامع محمد بن عثمان الكبير (الصورة 79 و80).

---

[1] - نحصل على الشكل المرغوب من خلال جمع أربع قطع من المربعات الخزفية متقايسة الأبعاد، وتعتبر نقطة التقاءها مركز هذا الشكل، وتتردد هذه الطريقة في استعمال المربعات الخزفية وتركيبها كثيرا خلال الفترة العثمانية في الجزائر.

وتضمنت شمسيات القبة المركزية المشكلة من الجص العديد من المثلثات القائمة.

أما المعينات فلم يكن الإقبال عليها كبيرا وأغلب أمثلتها نشاهدها على الواجهات الأربعة لمئذنة جامع محمد بن عثمان الكبير (الشكل 25)، وأعلى حجرة المدخل الرئيسي بجامع الباشا[1] (الشكل 26).

وشبكة المعينات هذه عبارة عن لوحات فنية استخدمت خصوصا في تزيين واجهات بعض المآذن وتعتبر إحدى المواضيع الرئيسية المميزة للفن المغربي الأندلسي منذ القرن 6هـ/12م والتي تطورت خلال القرنين 7-8هـ/13-14م[2].

ويبدو أن بلاد المغرب كانت الموطن الأم لهذه الزخرفة ومنها انتشرت شمالا وشرقا[3].

وتعتبر المعينات المركبة في هيئة شبكات من بين الأشكال الأكثر استخداما في زخرفة المآذن الزيانية والمرينية، والمتأثرة بالفن الموحدي في هذا المجال[4]، حيث ظهرت لأول مرة في جوسق مئذنة الكتبية بمراكش[5].

خلال الفترة العثمانية، استعمل المعين بالإضافة إلى تشكيل واجهات المآذن؛ داخل بيوت الصلاة[6]. أما في العمارة المدنية فقد وجد محفورا على أبدان الأبواب الخشبية، ونادرا ما يخلو باب من هذا العنصر الزخرفي[7]، كما رسم على قطع الزليج والسقوف الخشبية المزخرفة.

وقد ضمّت البلاطات المزينة لجوسق مئذنة مسجد الباي هذا العنصر الزخرفي الذي يشكل محورا لتفاصيل زخرفية أخرى ويتوسط كل معين نقطة بنية اللون.

ويعدّ عنصر الدائرة من بين أبرز العناصر الهندسية التي استخدمت في العصر الإسلامي والعصور التي سبقته إلا أن الإقبال عليه كان قليلا في المنشآت المعمارية للباي محمد الكبير، وأكثر أمثلته شاهدناه مرسوما على البلاطات الخزفية وبشكل محور غالبا (الشكل 28-29).

ونحصل عليها بتجميع أربع مربعات خزفية حيث نقطة التقاءها تشكل مركز هذه الدائرة، كما في القبة التي تتقدم محراب جامع الباشا وعلى حائط الرواقين وداخل قاعة ديوان القصر (الصورة 80-81-82-84).

---

1 - يعرّف المعين رياضيا بأنه مضلع رباعي أضلاعه متقايسة وكل زاويتين متقابلتين متقايستان، الا أنه جرت العادة على تسمية ذلك العنصر المذكور أعلاه بالمعين لشدة الشبه بينهما، كما أن الفنان المنفذ لتلك الأشكال- لاشك- أن له علم وافر بالهندسة.

2 - لعرج عبد العزيز، المباني المرينية، ص842.

3 - فاضل وردة، المرجع السابق، ص95.

4 - نفسه، ص293.

5 - Bourouiba,R. l'Art religieux, P.187.

6 - Dokali,D. Op.Cit., P.62.

7 - عقاب محمد الطيب ، قصور مدينة الجزائر، ص181.

وشكّل هذا العنصر أيضا بالجص كما في شمسية القبة المركزية لجامع الباشا. وأحيانا شكّلت الدائرة إطارا لعناصر زخرفية نباتية أو كتابية، وفي هذه الحالة جاءت مفصصة.

ومن الأشكال المساحية الأخرى التي استخدمت في المنشآت المعمارية للباي محمد الكبير، المضلعات ذات الثمانية رؤوس والناتجة عن تقاطع مربعين (الشكل 2.24)، ونشاهد ذلك جليا في ركني عقد المدخل الرئيسي لجامع الباشا والإطار الذي يحيطه (الصورة 86)، إذ حفر داخل المثمن الأكبر مثمنا أخر أصغر حجما، وأيضا في الإطار الذي يحدد القطاع الزخرفي الأسفل الموجود بالواجهة الشرقية لمئذنة جامع محمد بن عثمان الكبير، حيث تضمن المثمن الأكبر مثمنا آخر بمركزه. كما ضمّ ركنا أحد القطاعات الزخرفية لمئذنة جامع محمد بن عثمان مضلعا يتكون من 16 رأسا ويبدا هذا المضلع أقرب ما يكون إلى المربع مضرس الأضلاع (الشكل 1.24).

ومن الأشكال المساحية قليلة الاستخدام، المضلعات السداسية التي نجدها تشكل إطارا لعناصر كتابية بواجهة المدخل الرئيسي بجامع الباشا وشكّلت منها أيضا الجدائل والمضلعات الخماسية التي هي الأخرى شكلت حيزا لوحدات فنية تمثلت في الجدائل الموجودة بواجهة المدخل أيضا.

## 3.2 – الأشكال النجمية:

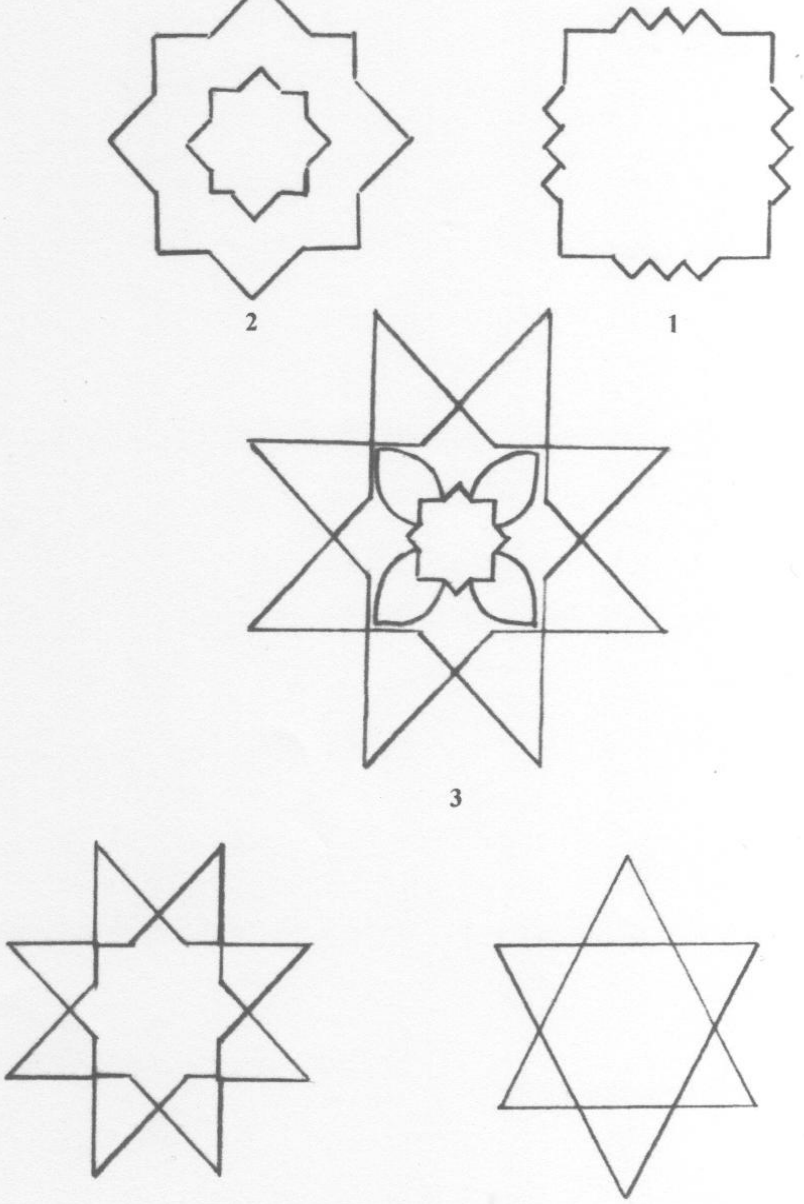
رغم أهمية الأشكال النجمية فإن استخدامها بدا محدودا، ولقد رسمت خاصة على قطع البلاطات الخزفية المتواجدة في قصر الباي، ففي مثال أول نشاهد نجمة ثمانية تشكل العنصر الرئيسي، استعمل في تلوينها اللون الأزرق والأصفر والأخضر، ويحتل الأركان الأربعة عنصر نباتي شديد التحوير، وفي مثال ثان تنفرد نجمة ثمانية بتشكيل الموضوع الزخرفي مرسومة باللون الأصفر والبرتقالي على خلفية بيضاء (الصورة 1.85) وفي بلاطات أخرى يتألف تصميمها من عنصر نباتي عبارة عن ورقة الأكانتس محورة تتوسطها نجمة ثمانية رسمت باللون الأبيض والأزرق (الصورة 2.85).

ومن الأشكال النجمية المعقدة تلك المحفورة على الجص بقبة حجرة المدخل الرئيسي والقبة المركزية لجامع الباشا، إلا أن النموذج الأول بدا أكثر تعقيدا، فالنجمة ثمانية الرؤوس ضمّت نجمة أخرى من نفس الشكل، هذه الأخيرة بدورها تتوسطها نجمة أخرى وتلاقي النجمتين يشكل وردة رباعية الفصوص ( الشكل 3.24 والصورة 44).

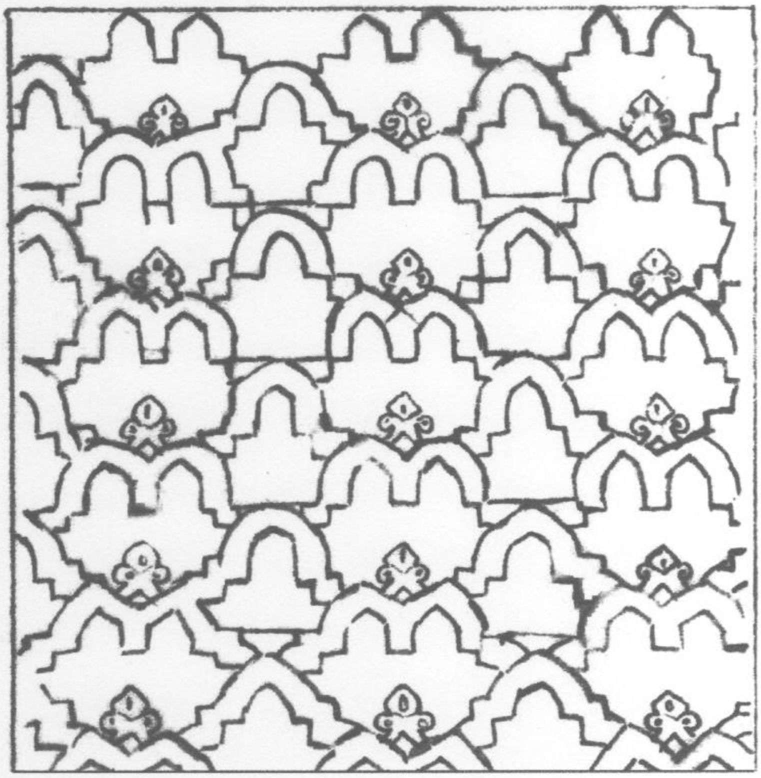
أما المثال الآخر، فيتضمن نجمة ثمانية الرؤوس تحوي في مركزها نجمة ثانية أقرب ما تكون إلى المضلع ثماني الرؤوس (الشكل 5.24).

ومن المهم الإشارة إلى أن الأشكال النجمية المعقدة تدعى الأطباق النجمية التي اختص الفن الإسلامي بها ويعود الفضل للفنانين المسلمين في ابتكارها وتطويرها[1]، وكانت من أوسع الأشكال انتشارا لمدة تجاوزت الخمسة قرون (من 4هـ/10م إلى 10هـ/16م)، إذ استخدمت في جميع بلاد الإسلام وعلى مختلف المواد[2]. وكان يعتبر الطبق النجمي من أبرز العناصر الهندسية خلال الفترة الزيانية والمرينية حيث زينت به الشمسيـات والأبواب الخشبيـة[3]، وقـد ازدانت به الكثير من سقوف دور وقصور

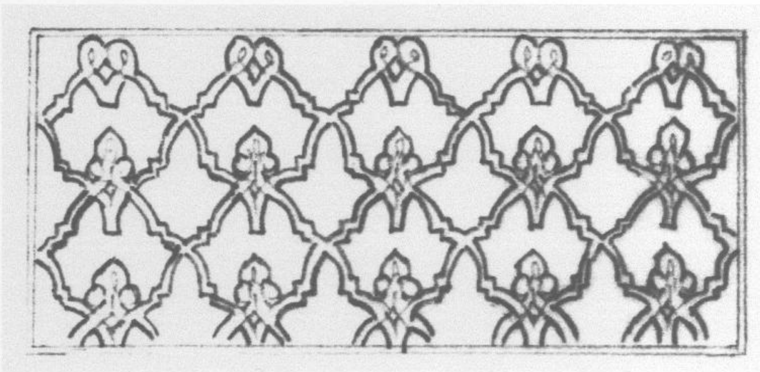
[1] - شافعي فريد، المرجع السابق، ص219.
[2] - لعرج عبد العزيز، المباني المرينية، ص857.
[3] - فاضل وردة، المرجع السابق، ص294.



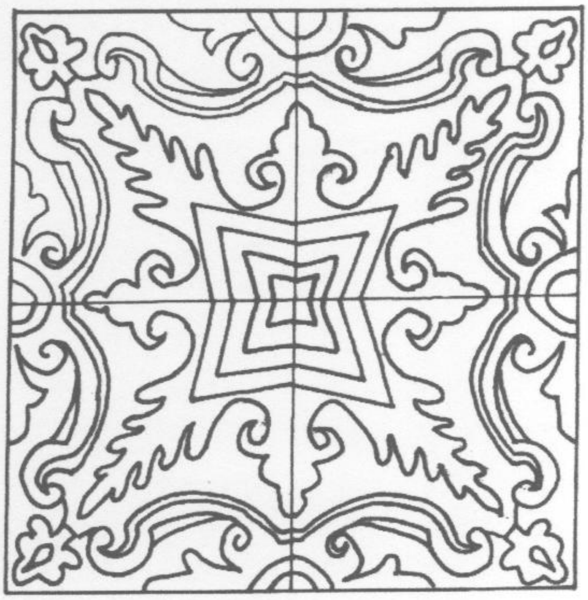

شكل 24: مضلعات و أشكال نجمية.



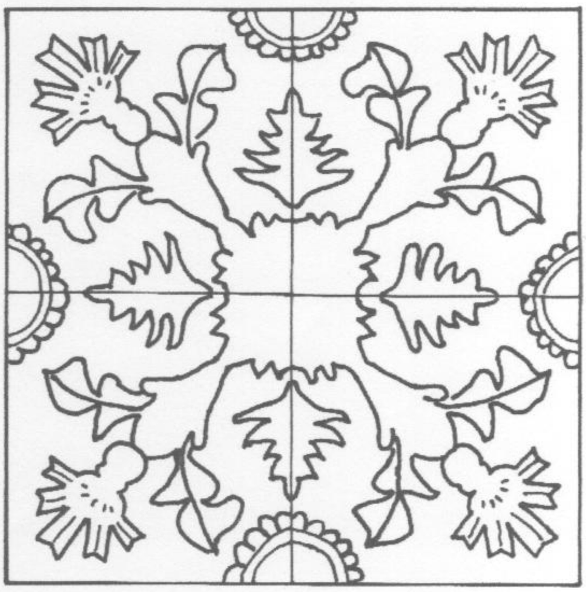
شكل 25: جامع محمد بن عثمان، نموذج لشبكة من المعينات بالمئذنة.



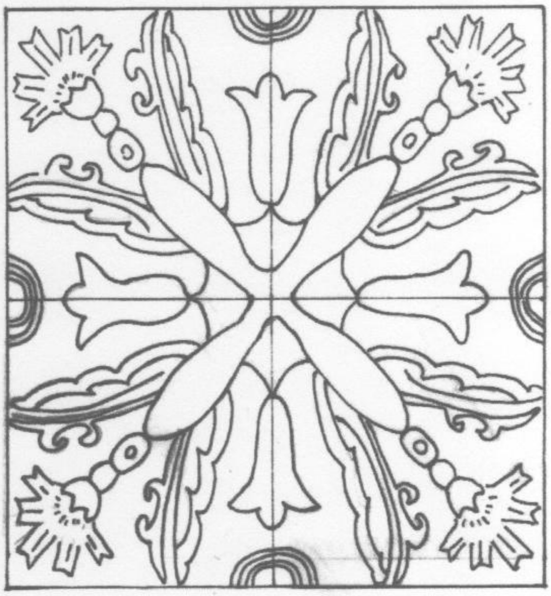
شكل 26: شبكة من المعينات أعلى حجرة المدخل التذكاري لجامع الباشا.



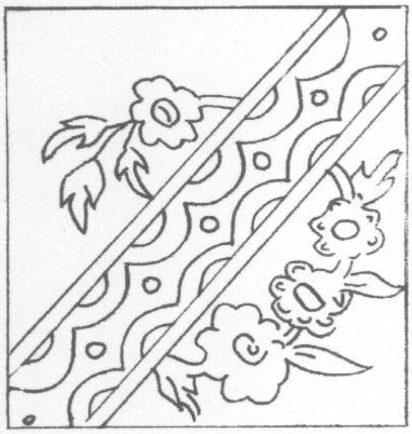
شكل 27: تجميعة من أربع بلاطات خزفية قوام زخارفها عناصر نباتية وهندسية.



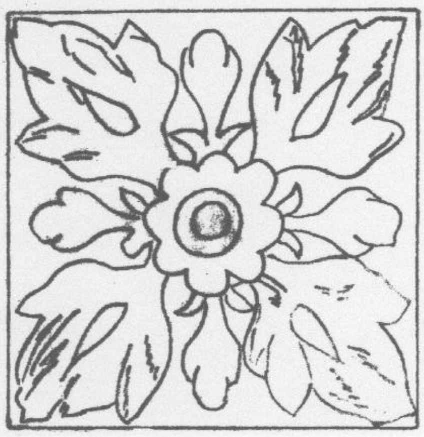
شكل 28: تصميم زخرفي قوامه عناصر نباتية وهندسية.



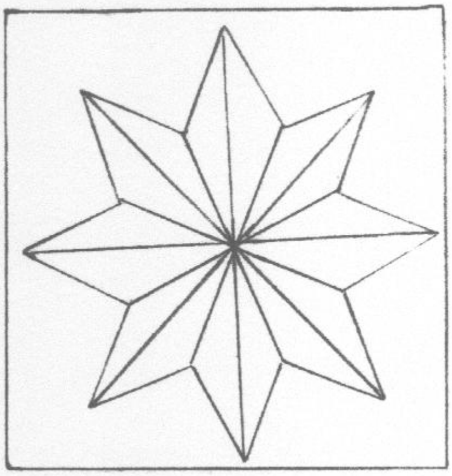
شكل 29: بلاطات ذات زخارف نباتية وهندسية.



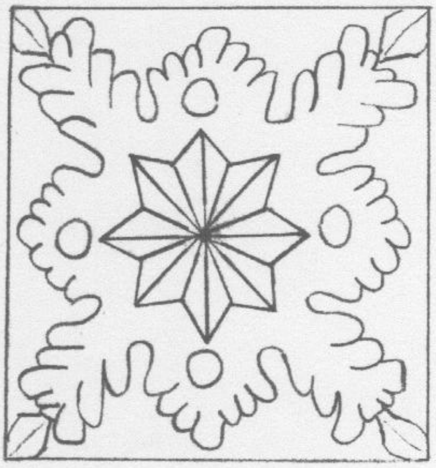
شكل 30: بلاطة خزفية قوام زخارفها عناصر هندسية ونباتية.



شكل31: بلاطة خزفية ذات زخارف نباتية.



1



2



3



4

شكل 32: بلاطات خزفية ذات زخارف متنوعة.

الفترة العثمانية كما رسم على بعض المربعات الخزفية وهي المربعات التي تواجدت بكثرة في بلاد الإسلام وبالأخص في الأندلس والمغرب الأقصى[1].

ومن بين الأشكال النجمية التي قلّ استخدامها، النجمة السداسية التي احتلت ركني القطاع الزخرفي الأسفل في الواجهة الشرقية لمئذنة جامع محمد بن عثمان الكبير، وقد شكلت بالحجر على نحو بارز وتكونت من تقاطع مثلثين متساويي الساقين (الشكل 4.24)، ضمّت في مركزها عنصرا نباتيا شائع الاستعمال والمتمثل في الوريدة متعددة الفصوص (الصورة 79).

والجدير بالذكر أن النجمة السداسية هي زخرفة مصرية قديمة، انتقلت إلى الفنون القبطية ومنها إلى الفنون الإسلامية، وذاع استخدامها خاصة خلال العصرين الفاطمي والأيوبي بمصر[2].

في بلاد المغرب استخدمت النجمة السداسية في العمارة الحمادية[3] كما استخدمت أيضا – إلى جانب النجمة الثمانية – في العمارة المرابطية والموحدية[4] والزيانية والمرينية[5] وفي عمائر الفترة العثمانية المختلفة ومنها مساجد مدينة الجزائر[6].

## 4.2 – الهلال:

احتوت الكثير من العمائر في الجزائر أثناء العهد العثماني على عنصر الهلال، وقد لوحظ في ثلاثة مواضع زخرفية؛ على مفاتيح أطر الأبواب الرخامية وعلى جبهات التيجان الرخامية[7]، وأعلى مآذن المساجد وبعض قبابها ولاسيما المركزية منها.

وقد وجد الهلال في المنشآت المعمارية للباي منحوتا على جبهات التيجان الكورنثية وعلى الشمسيات التي تعلو محراب جامع الباشا، كما وجد مثبتا أعلى قبيبات جواسق المآذن دون استثناء وفوق بعض قباب جامع الباشا (الصورة 43 و88). واستعمل الهلال أيضا في زخرفة بلاطات خزفية في رواقي جامع الباشا، وقد رسم باللون الأزرق على مهاد أبيض (الصورة 40).

[1] - عقاب محمد الطيب، قصور مدينة الجزائر، ص183.
[2] - عاصم محمد رزق، المرجع السابق،ص134.
[3] - بورويبة رشيد، الدولة الحمادية، ص230، 279، شكل 71.
[4] - Marçais,G. Manuel…, P.417.
[5] - Bourouiba, R. L'art religieux, P.100,144,198.
[6] - Dokali,R. Op.Cit., P.62.
[7] - أنظر: - عقاب محمد الطيب، قصور مدينة الجزائر، ص ص 188، 190.

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا العنصر الزخرفي استخدم – غالبا – منفردا، مما أضفى عليه سمة البروز والوضوح وهو الأمر الذي يعزز الاعتقاد بأن له دورا رمزيا[1].

وظهر الهلال كعنصر زخرفي لأول مرة في الفنون الإسلامية مع نجمة خماسية أو سداسية على عملات أموية وعباسية، كما ازدانت به بعض الأواني الخزفية الفاطمية التي ترجع إلى القرنين 5 و6هـ/11 و12م، وظهر أيضا على جلود الكتب وأطراف السجاجيد السلجوقية بقونية وعلى بعض الخانات الأثرية بالأناضول[2].

والحق أن هذا العنصر عرف انتشارا أكبر في الجزائر خلال الفترة العثمانية لاعتباره من طرف العثمانيين – ربما – رمزا من رموز الدولة الإسلامية حينئذ[3]، مقابل الصليب الذي كان شعارا لدول الغرب المسيحي المرسوم على الرايات والتي ظلت طيلة قرون في صراع مسلح مع المسلمين ولاسيما دول الضفة الجنوبية للبحر المتوسط وفي مقدمتها الجزائر.

إن استخدام الهلال يعود – على الأرجح – إلى اتخاذ المسلمين للأشهر القمرية في تقويمهم وحسابهم إضافة إلى رمزية الهلال للنور الذي يبدد الظلام عند ظهوره[4].

وقد وردت آيات قرآنية عديدة تؤكد أهمية الهلال في حياة المسلمين والناس عامة، ومنها قوله تعالى:" **يسألونك عن الأهلة، قل هي مواقيت للناس والحج[5]..**"، ونظيره قوله تعالى:" **وجعلنا الليل والنهار آيتين، فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب**"[6] وقوله تعالى:" **وهو الّذي جعل الشّمس ضياء والقمر نورا وقدرناه منازل لتعلموا عدد السنين والحساب**"[7]، وأيضا قول الله تعالى:" **والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم**"[8].

وإضافة إلى العناصر الزخرفية الهندسية السابق ذكرها، لجأ الفنان إلى استخدام عناصر أخرى والتي منها الأشكال البيضوية والمضلعات شبه المنتظمة وغير المنتظمة، وكانت تنفذ أحيانا مجردة وأحيانا مشتركة مع عناصر زخرفية أخرى وخاصة العناصر النباتية والهندسية، ومنها ما استخدم لملء الفراغات.

---

[1] - نشير في هذا الصدد أن الأستاذ محمد الطيب عقاب عدّ الهلال ضمن العناصر الزخرفية الرمزية. أنظر:- عقاب محمد الطيب ، قصور مدينة الجزائر، ص188-189-190.

[2] - لمعي مصطفى صالح ، المرجع السابق، 25.

[3] - ننوه بهذا الخصوص أن الكثير من الدول الإسلامية حاليا تتخذ من الهلال رمزا أساسيا يعبر عن هويتها الإسلامية حيث نجده من العناصر المرسومة على العلم ومن هذه الدول نذكر الجزائر وتركيا وموريتانيا وتونس والصحراء الغربية وماليزيا وباكستان.

[4] - عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص318.

[5] - سورة البقرة، الجزء الأول من الآية 189.

[6] - سورة الإسراء، الآية 12.

[7] - سورة يونس، الآية 5.

[8] - سورة يس، الآية 39.

## 3- العناصر الزخرفية الكتابية:

لم تحظ الزخارف الكتابية خلال العهد العثماني بالجزائر بتلك الأهمية التي حظيت بها خلال العهود الإسلامية التي سبقت، حيث أدت دورا مميزا وبلغت درجة كبيرة من الجودة والكمال[1]، وقد خصّها الفنان المسلم بكثير من الرعاية والاهتمام.

ويعود إبداع المسلمين في الزخارف الكتابية وتفننهم فيها إضافة إلى الزخارف النباتية والهندسية إلى عزوفهم عن تصوير الزخارف الآدمية والحيوانية لما في ذلك من مضاهاة خلق الله تعالى.

وتعد الزخارف الكتابية من أبين مميزات الفنون الإسلامية عامة، وذلك لأنها من إبداعات المسلمين الخالصة ولم تقم على أساس ما عرفته الفنون القديمة، كما كان الشأن بالنسبة للزخارف النباتية والهندسية[2].

وقد استخدمت الكتابات لخدمة غرضين أساسيين، أولهما تأريخ المعلم أو التحفة واثبات أسماء ووظائف وألقاب أصحابها أو منشأها والتبرك ببعض الآيات القرآنية والعبارات الدينية، وثانيها تزييني، حيث أضحت هذه الكتابات عنصرا زخرفيا قائما بذاته[3] فلم يكد يخلو معلم من المعالم أو تحفة من التحف من هذا العنصر الزخرفي الهام.

وكانت الكتابات خلال الفترة العثمانية تنفذ على الجص أو الرخام أو الحجر وأحيانا على المربعات الخزفية[4]، ونجدها في المساجد غالبا عند المحاريب وفي المداخل وهي الأماكن التي التي تحظى بعناية أكبر من قبل الفنان المسلم. أما في القصور والمساكن فتظهر على بواطن أساكف السلالم وفي بعض الشمسيات وعلى جدران بعض الغرف[5] كما نجدها على السقوف المزخرفة[6].

---

[1] - لعرج عبد العزيز، المباني المرينية، ص883.

[2] - زكي محمد حسن، فنون الإسلام، ص234.

[3] - زكي محمد حسن، فنون الإسلام، ص234.

[4] - Dokali,R. Op.Cit., P.65

[5] - أنظر:- عقاب محمد الطيب، قصور مدينة الجزائر، ص.ص162-169.

[6] - مازا ل سقف قاعة الديوان بقصر الباي يحتفظ بزخارف مستحدثة مصبوغة على الجص تتضمن أبياتا من الشعر(الصورة 94 و95)، ويبدو أنها تحاكي الزخارف الأصلية، وقد ذكر ابن سحنون الراشدي في مؤلفه القصيدة التي تضمنت هذه الأبيات(ص203) والتي كتبت كما قال على" صالة مركز جلوسه"، كما تطرق إليها المزاري في كتابه(ص294) وقد أنشدها العالم الجليل مصطفى بن عبد الله بن دحو لمّا أكمل بناء القصر وجاء في مطلعها:

**يا غافلا عن أمور زانها ذهب ... ولونها لجين وتمرها رطب**

**ونورها مضيء وجودها دائم ... وصوتها منشد بالحسن مرتقب**

**أقصد إيوان أمير المؤمنين أبي ... عثمان تلقى الخيرات كلها كوعب**

وبالعودة إلى المعالم التي نحن بصدد دراستها يمكن التأكيد أن الزخارف الكتابية كانت نادرة باستثناء جامع الباشا الذي ضمّ مجموعة مهمة منها. ويوجد منها كتابات أربعة تضمنت آيات قرآنية، هذا بالإضافة إلى كتابات قصيرة والمتضمنة لصيغ دينية.

وقد استخدم في تنفيذها الخط الكوفي جنبا إلى جنب مع الخط النسخ. وللعلم فالخط الكوفي تطور خصوصا في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة من خلال استقامة حروفه وتحسن صورته، واستخدم في مجالات عدة كالكتابات التذكارية والكتابة على المصاحف[1]. وقد سمّيّ هذا الخط بالكوفي نسبة إلى مدينة الكوفة التي بناها سعد بن أبي وقاس ما بين عامي 17 و18هـ في خلافة عمر رضي الله عنه، وكان من عادة العرب تسمية الخطوط بأسماء المدن والمناطق القادم منها وذلك منذ العصر الجاهلي[2].

وتفرع عن الخط الكوفي التذكاري عدة أنواع منها الكوفي البسيط والكوفي المورق والكوفي المزهر ذي الأرضية النباتية والكوفي المضفر والكوفي الهندسي[3].

انتقل من المشرق موطنه الأم إلى القيروان وتونس ومنهما إلى المغرب الأوسط حيث انتشر خلال العهد الحمادي في المباني الدينية والمدنية[4] وقد ظلّ مهيمنا في الكتابات التذكارية والنقوش الزخرفية لمدة تزيد عن الخمسة قرون قبل أن يأخذ الخط النسخي في مزاحمته تلك المكانة[5]، فخلال الفترة الأولى من الحكم الزياني احتل مكان الريادة – على غرار الفترة المرابطية[6] – حيث شكّلت منه العديد من الأفاريز[7]. أما في الفترات اللاحقة فاستعمل خط النسخ وانحصر في المقابل دور الخط الكوفي بشكل ملحوظ فلم يبرز منه أحيانا إلا كلمة أو كلمتين وبحجم صغير[8].

أثناء العهد المريني تراجع دوره إلى المركز الثاني من حيث الاستخدام، بالرغم من احتلاله لمكانة مهمة في المباني الدينية والمدنية[9].

---

[1] - معزوز عبد الحق، الكتابات الكوفية في الجزائر بين القرنين الثاني والثامن الهجريين(8-14م)، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2002م، ص7.

[2] - نفسه، ص7.

[3] - نفسه،ص8.

[4] - لعرج عبد العزيز، المباني المرينية،ص887.

[5] - نفسه، ص889

[6] - استخدم الموحدون الكوفي والنسخي جنبا إلى جنب، إلا أن الكتابات في مبانيهم عموما نادرة بينما التأسيسية منها فغير موجودة حسبما يذكر كولفان، أنظر:- Golvin,L. Essai…, T4, P290.

[7] - فاضل وردة، المرجع السابق، ص137.

[8] - نفسه، ص150.

[9] - لعرج عبد العزيز، المرجع السابق، ص898.

وفي العهد العثماني، فضل الفنانون استخدام الكتابة النسخية، وبالرغم من ذلك فان الخط الكوفي لم يختف تماما من المباني الدينية والمدنية، بل بقي مستخدما وإن بشكل نادر[1].

وقد نفذ بالخط الكوفي الكتابة الأولى فقط أما باقي الكتابات فنفذت بخط النسخ، وسمي كذلك لاستخدامه في نسخ المصاحف والكتب والعقود وتحرير المراسلات[2]. ظهر في أوائل القرن 5هـ/11م في المشرق وانتقل إلى بلاد المغرب والأندلس في العهد المرابطي[3]، حيث استخدم في مختلف المباني إلى جانب الخط الكوفي الذي كانت له الريادة حينئذ، وابتداء من الفترة الثانية من العهد الزياني(النصف الثاني من القرن 6هـ/12م) أخذ دوره في البروز على حساب انحصار الخط الكوفي الذي تراجع دوره إلى المرتبة الثانية[4].

وعموما فقد تميز القرنان 7 و8هـ/13 و14م بالاستخدام الواسع لخط النسخ وكانت تتضمن الكتابات النسخية خلال ذلك العهد آيات قرآنية وصيغ دينية وسياسية واجتماعية إضافة إلى نصوص تأسيسية[5].

وقد استمرت هيمنة خط النسخ خلال الفترة العثمانية واستخدم خصوصا في الكتابات التذكارية والزخرفية التي تتضمن آيات قرآنية وعبارات دينية[6].

وخط النسخ يعتبر من الخطوط يسيرة التنفيذ لما تمتاز به حروفه من ليونة وسهولة وصغر الحجم، وهو يلائم بالتالي الكتابات التذكارية - خاصة - تمام الملاءمة.

**- الكتابة الأولى:**

هي عبارة عن أربعة أشرطة من الجص مستطيلة الشكل تمتد أفقيا، توجد أعلى جدران مقصورة المدخل، بحيث يحتل كل شريط إحدى الجهات الأربعة.

---

[1] - يذكر الأستاذ مارسي (Marçais) أن الخط الكوفي أصبح لدى الجميع خلال الفترة العثمانية "خطا مبهما غير مفهوم فلم يستعمل مطلقا، فقط خط النسخ هو الذي استخدم في الكتابات العربية والتركية". أنظر:- Marçais, G. L'architecture…, P.452.
- Marçais, G. L'art musulman, P.164.

ويبدو أن تعميم هذه الحكم على جميع معالم الفترة العثمانية بالجزائر غير دقيق ولاسيما بوجود أدلة تثبت العكس، فبالإضافة إلى استعماله في جامع الباشا كما رأينا، وجد مستعملا أيضا في جامع علي بتشين بمدينة الجزائر. أنظر:- Dokali, R. Op.Cit, P.65.

[2] - لعرج عبد العزيز، المرجع السابق، ص885.
- وردة فاضل، المرجع السابق، ص148.

[3] - لعرج عبد العزيز، المرجع السابق، ص890.

[4] - معزوز عبد الحق، الكتابات الكوفية في الجزائر، ص10.

[5] - لعرج عبد العزيز ، المرجع السابق، ص940.

[6] - Dokali,R. Op.Cit., PP33,37. – Marçais,G. l'Architecture…, P.452.

يقع الشريط الأول فوق الحافة المستطيلة عند الواجهة الأمامية للمدخل (الصورة 86)، ونقرأ فيه قوله تعالى:

" **يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم**"[1]

وفي نفس المستوى نشاهد الأشرطة الكتابية الثلاثة المتبقية التي تتوزع على الجهات الأربعة ونقرأ فيها ما يأتي:

- **الجهة الشرقية:** (الصورة 87).

" **وافعلوا الخير لعلكم تفلحون**"[2] و" **وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا**".[3]

- **الجهة الجنوبية:** (الصورة 88).

" **حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين**"[4].

- **الجهة الغربية:** (الصورة 89).

" **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير**"[5].

نفذت هذه الكتابة بخط كوفي مورق على أرضية مغطاة بسيقان تنطلق منها مراوح بأسلوب الحفر البارز، وقد جاءت خالية من نقط الإعجام وحركات الإعراب.

تميزت حروفها بالتناسق والتوازن، إضافة إلى قوة التعبير والجمال الزخرفي وبحسن التوزيع ورشاقة الرسم، حيث جرت على قاعدة واحدة ونسق واحد رغم الأشكال الزخرفية التي تخللت الصواعد.

---

1 - سورة الحج، الجزء الأول من الآية 77.
2 - سورة الحج، الجزء الثاني من الآية 77.
3 - سورة الجن، الآية 18.
4 - سورة الحج، الآية 78.
5 - سورة البقرة، الآية 238.

وتجدر الإشارة أن مساحة الكتابة نظمت وهيئت بشكل جيد إذ قسم كل شريط كتابي إلى عدة أقسام على شكل مستطيلات زخرفية من خلال امتداد الصواعد، كما استغل الفنان بعض صواعد حرف الألف والكاف لتكوين ما يشبه قوسا شبه دائري عند بداية الشريط وعند نهايته وأحيانا في منتصفه (الشكل 33).

وتعتبر هذه الكتابة من الناحية الفنية – وفق ما نعتقد – من أجمل الكتابات الزخرفية في الجزائر وأجودها خلال الفترة العثمانية على الأقل، وقد لا يضاهيها حسنا وجمالا إلا كتابة الشيخ الزغلي المؤرخة في العصر الحمادي وكتابة واجهة محراب الجامع الكبير من العصر المرابطي وكتابة محراب سيدي أبي الحسن الزيانية[1].

وهناك ملاحظة تستحق منا الوقوف عندها، تتعلق بخلو الكتابة – التي نفذت بالرسم القرآني – من الأخطاء الإملائية واللغوية والنحوية، مما يعكس مدى إلمام الفنان بقواعد اللغة والخط.

وقد طغى على هذه الكتابة الطابع الزخرفي حيث اتسمت حروفها بالرشاقة والاستقامة وانتهت معظم هامات الصواعد ونهايات الحروف النازلة بما يشبه المروحة ثلاثية الفصوص أو الزهرة ذات البتلات الثلاثة.

وعموما فقد تميزت هامات صواعد الحروف القائمة، الطويلة منها والقصيرة ونهايات الحروف النازلة بشطفها المائل، وتظهر في بعض الحروف على شكل ورقة نباتية واضحة المعالم. وبالإضافة إلى أسلوب الشطف والتوريق استعمل في هذه الكتابة أسلوب التقاطع لاسيما على مستوى الألف واللام.

أما عن متن الحروف؛ فإنها قريبة جدا من الحروف الزيانية التي يبدو أنها أخذت منها الكثير من الأشكال( الشكل 35).

وللإشارة فأسلوب هذه الكتابة وزخارفها وأشكال حروفها تذكرنا ببعض الكتابات الزيانية ولاسيما كتابة محراب جامع أبي الحسن وزخارفها.

وتبرز الكتابة براعة الفنان وقدراته الفنية والإبداعية وحسن تحكمه في النقش على الجص.

---

[1] - أنظر -: - معزوز عبد الحق، المرجع السابق، أشكال؛ 27، 53، 54، 61.

**- الكتابة الثانية:**

نطالع على واجهات جوسق النافورة – المعدة أصلا للوضوء – كتابة تقع ضمن ثلاثة أشرطة مستطيلة الشكل تمتد أفقيا، كل شريط يتكون من سطر واحد، ففـــــي

الشريط الأول الموجود بالجهة الشرقية (الصورة 90) نقرأ قول الله تعالى:

" **يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة**"

ونقرا في الشريط الثاني الموجود بالجهة الجنوبية: (الصورة 91).

" **فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق**"

أما في الجهة الغربية (الصورة 92) فنقرأ:

" **وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين**"[1]

وقد نفذت هذه الكتابة بأسلوب الحفر البارز بخط نسخي جميل سهل القراءة، على أرضية خالية تماما من الزخرفة.

ومن الخصائص التي تميزت بها هذه الكتابة أسلوبها اللين وحروفها الطويلة والمستقيمة من جهة، والرقيقة والجميلة من جهة أخرى (الشكل 34)، والتي جرت على قاعدة خطية واحدة ضمن نسق واحد، ومع ذلك فإنها لم ترق إلى رقة وجمال الكتابة الكوفية السابقة.

ولا يفوتنا أن نذكر أن المساحات بين الحروف تركت فارغة مما أكسب هذه الكتابة الأثرية مظهرا يتسم بالوضوح والبساطة وجعل القراءة غير متعسرة حتى بالنسبة لعامة الناس الذين يحسنون القراءة.

وقد تميزت الكتابة هذه بطابعها الوظيفي الذي طغى على الجانب الزخرفي للحروف.

---

[1] - سورة المائدة، بداية الآية 7.

- **الكتابة الثالثة:** (الصورة 93).

نطالع هذه الكتابة على ساكف باب حجرة المدخل الرئيسي لجامع الباشا،

وهي عبارة عن شريط مستطيل يمتدّ أفقيا نقرأ فيه قوله تعالى:

".[1].. **الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين**"[2].

نقشت هذه الكتابة بخط النسخ على أرضية مغطاة بالزخارف النباتية قوامها سيقان ملتوية ومراوح بسيطة ومزدوجة، وقد نفذت هذه العناصر الكتابية والزخرفية بأسلوب الحفر البارز على مادة الجص.

ومن مميزاتها، استعمال الفنان للأسلوب المركب، حتى يتمكن من التغلب على ضيق المساحة، كما تميزت بأسلوبها اللين على غرار الكتابة النسخية السابقة، كما يبدو الكثير من التقارب والتشابه إلى حد التماثل بين حروف الكتابتين، ونظرا لموقع هذا الشريط الكتابي واستحالة أخذ صور مباشرة له وملاحظته جيدا فانه تعذر علينا إيفاء الجانب الوصفي حقه.

وتدل معاني هذه الآية على الجزاء الذي ينتظر المتقين من تكريم ونعيم يوم القيامة.

- **الكتابة الرابعة:** (الصورة 14).

توجد هذه الكتابة فوق مدخل بيت الصلاة، وتتكون من سطر واحد ضمن شريط مستطيل يمتد أفقيا ونقرأ فيه قوله تعالى:

" **إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر**"[3].

وقد نقشت بخط النسخ الذي نفذ بأسلوب الحفر البارز على أرضية خالية من

---

[1] - يبدو أن الخطاط نسي-ربما- كتابة مطلع الآية الكريمة " وسيق..."

[2] - سورة الزمر، الآية 73.

[3] - سورة التوبة، بداية الآية 18.

الزخارف ما عدا طرفي الشريط المزينان بخطوط منحنية على شكل فصوص معقودة الوسط[1].

ومن خصائص الكتابة هذه وجود نقاط الإعجام وحركات الإعراب، كما جرت ضمن الخط القاعدي وعلى نسق واحد.

ويمكن ملاحظة الكثير من التشابه والتقارب بين هذه الكتابة والكتابتين النسخيتين السابقتين، باستثناء بعض الحروف التي نقشت أحيانا بصورة مختلفة، ومنها الميم المتوسطة التي بدا رأسها مضمرا، إلى جانب حرف النون النهائية التي رسمت عراقتها – تقريبا – على غرار عراقة الراء والواو.

ومما يستدعي النظر في هذه الكتابات هو غياب "البسملة" التي تعدّ من العناصر الأساسية الملازمة للكتابات العربية بصفة عامة.

ومن جهة أخرى، فقد خلت هذه الكتابات تماما من الأخطاء الإملائية والنحوية واللغوية، مما يعكس مدى اطلاع الفنان وتحكمه في قواعد اللغة والخط.

وما تجب الإشارة إليه، أن اختيار الآيات القرآنية التي استخدمت في جامع الباشا تمّ بشكل يتناسب تماما مع كل قسم من هذه المبنى، فعلى واجهات المدخل الأربعة نطالع الآيات التي تحث على العبادة والصلاة والذهاب إلى المساجد، وعلى ساكف باب حجرة المدخل نقرا الآيات التي تذكرنا بجزاء المتقين، وعلى واجهات جوسق النافورة نجد آيات الوضوء، وعلى واجهة مدخل بيت الصلاة نقرأ ما يخص عامري المساجد.

ويبدو أن الخطاط المسلم كان يجتهد في اختيار الآيات القرآنية التي تتناسب مع كل عمارة أو قسم منها، وتوظيف الآيات القرآنية على هذا النحو تم مع بواكير العمارة الإسلامية الأولى وخير مثال قبة الصخرة التي تزخر بالكثير من هذه الكتابات.

وعموما فإننا نجد – عادة فوق المحاريب قول الله تعالى:" **قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها**"[2]. وعلى المآذن قوله تعالى:" **يا أيها الذين آمنوا إذا نودي**

---

[1] - يوجد عند بداية ونهاية الشريط جامتان زخرفيتان مربعتا الشكل تحويان بداخلهما مربعين وتشغلهما زخارف نباتية.

[2] - سورة البقرة، الجزء الأول من الآية144.

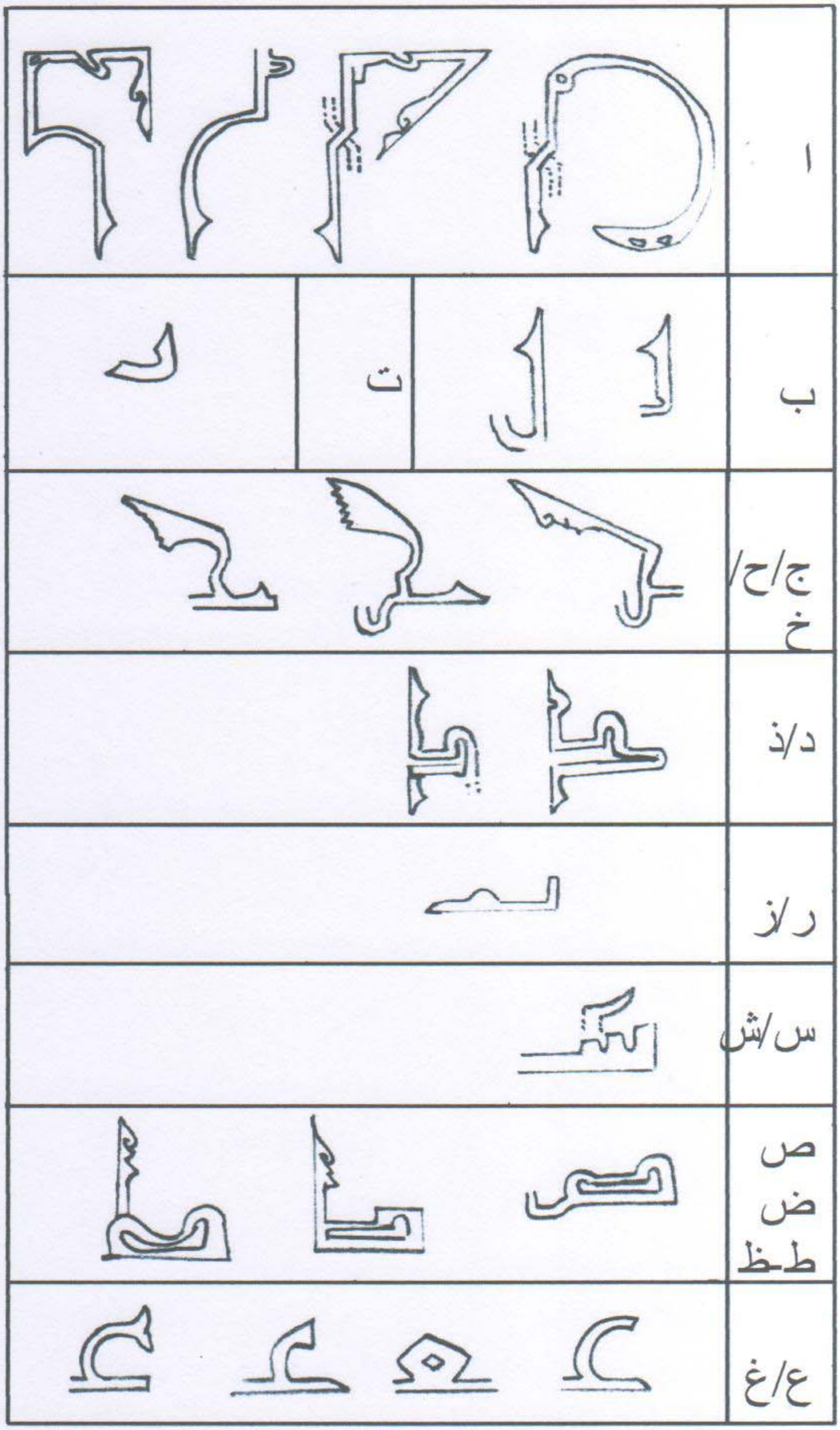
**للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون**"[1]. وفي القباب الضريحية نقرأ:" **إن المتقين في مقام أمين في جنات وعيون، يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين كذلك وزوجناهم بحور عين**"[2]. وعلى التراكيب الرخامية القائمة فوق فساقي الدفن بهذه القباب نجد آية الكرسي[3].

بقي أن نشير إلى كتابات أخرى تقع أسفل الأشرطة الكتابية، حفرت على نحو بارز بخط النسخ – ضمن دوائر – مضمونها "الملك لله" و"البقاء لله" ونفس الصيغتين نجدهما في أركان قبة حجرة المدخل (الصورة 90 و91 و92).

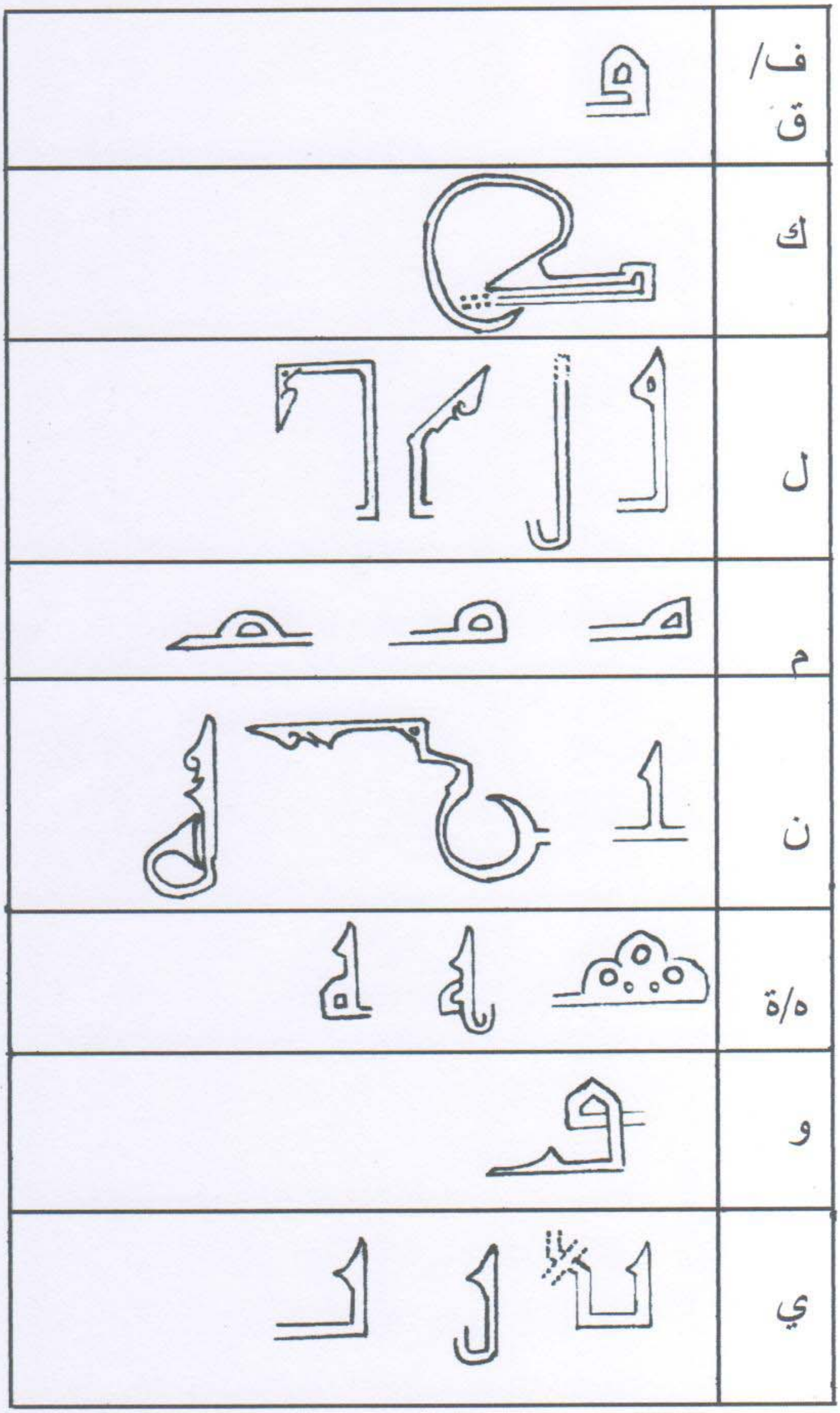
هذه الصيغ أو ما يشابهها شاع استخدامها خلال العهد الموحدي[4]، كما استخدم المرابطون من قبل صيغة "الملك لله" في جامع تلمسان[5]. أما الزيانيون فقد أكثروا من استخدام هذه الصيغ أو ما يشابهها، وكانت تستخدم – عادة – منفردة على غرار جامع الباشا. ومن هذه الصيغ المتداولة نطالع "العز لله" و"الأمر لله" و"الشكر لله" و"العز القائم لله" و"الملك الدائم لله"، إضافة إلى "الملك لله"[6]، وعليه فان التأثيرات الزيانية بدت واضحة جدا.

---

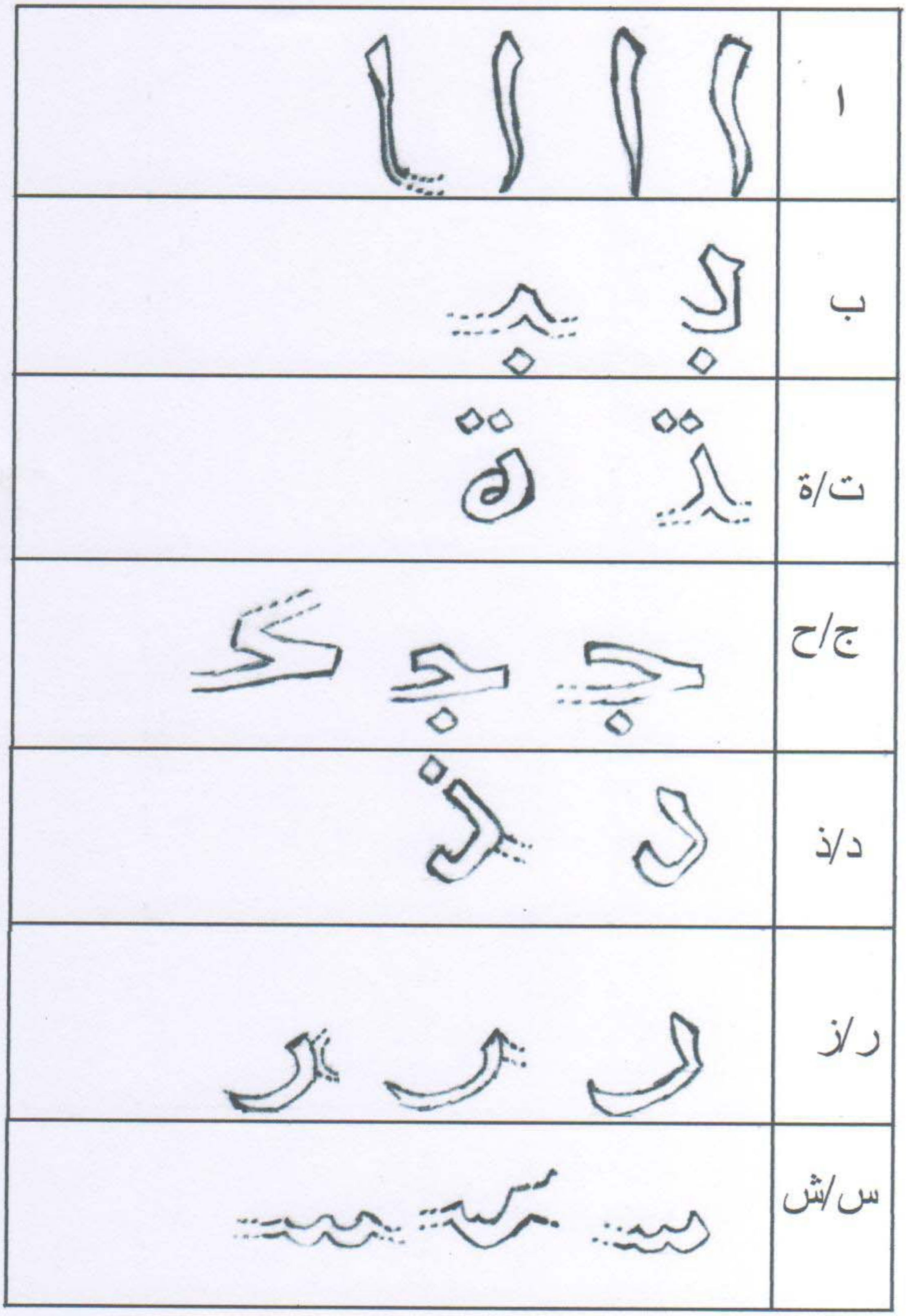
1 - سورة الجمعة، الآية 9.
2 - سورة الدخان، الآيات 51، 52، 53، 54.
3 - عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص251.
4 - لعرج عبد العزيز،المباني المرينية، ص893.
5 - Bourouiba,R. l'Art religieux,P.101.
6 - Ibid, P.145.



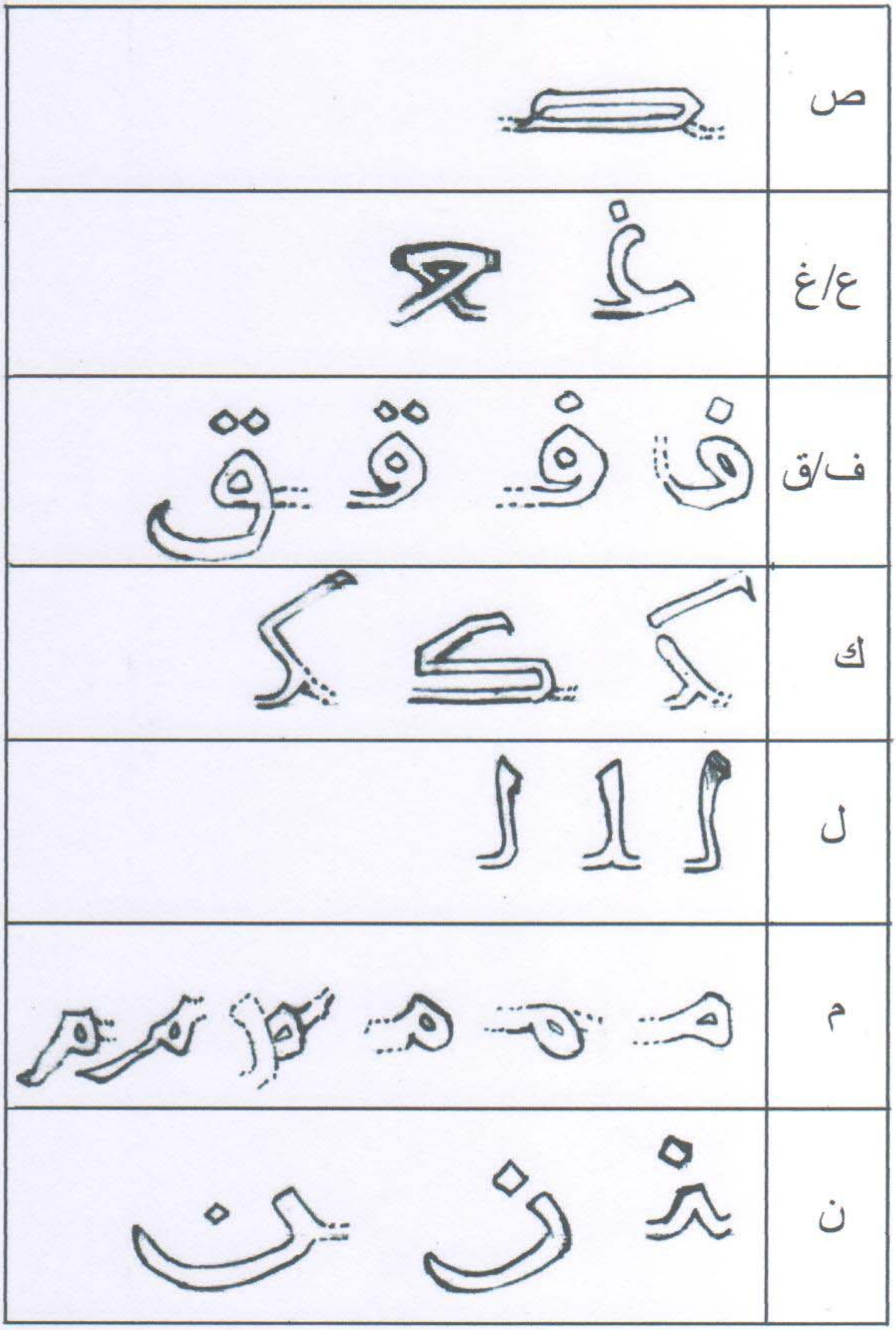

شكل 33 (أ): الحروف الهجائية للكتابة الزخرفية الأولى.



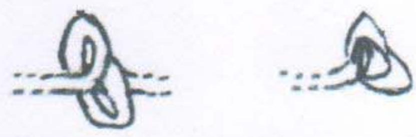

شكل 33(ب): الحروف الهجائية للكتابة الزخرفية الأولى.



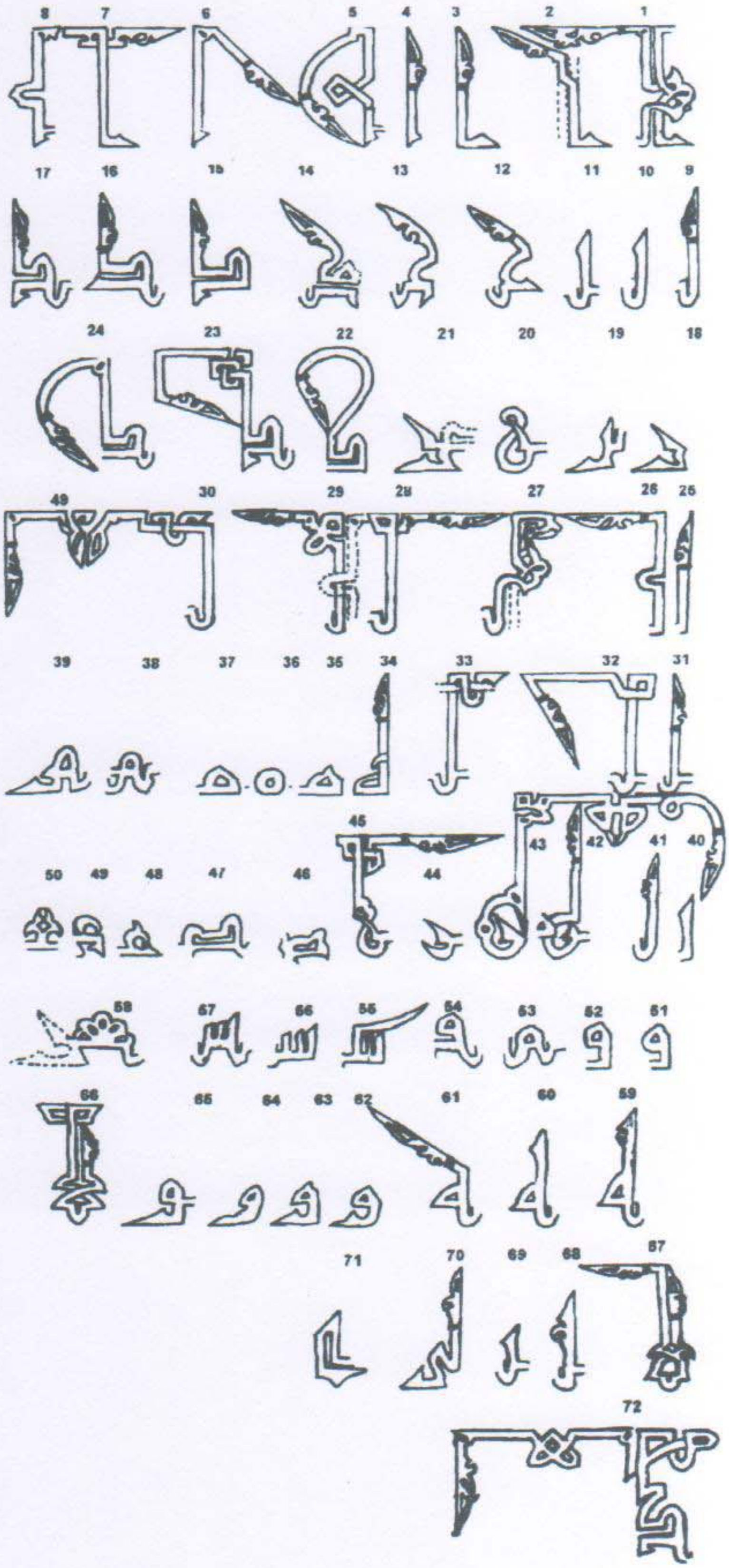

شكل 34 (أ): الحروف الهجائية للكتابة الزخرفية الثانية.




شكل 34 (ب): الحروف الهجائية للكتابة الزخرفية الثانية.

| | |
|---|---|
| ه |  |
| و |  |
| ي |  |
| ء |  |

شكل 34 (ج): الحروف الهجائية للكتابة الزخرفية الثانية.



شكل 35 : الحروف الهجائية لكتابة جامع سيدي أبي الحسن (عن معزوز).

# الخاتمة

نكون قد تعرفنا من خلال هذه الدراسة في مجال التاريخ على فترة مهمة من تاريخ وهران ولاسيما منه السياسي والعسكري والعمراني خلال القرنين 18م والربع الأول من القرن 19م، كما تعرفنا على شخصية فذّة صنعت تاريخ المنطقة وارتبط اسمها بتحرير وهران من الاحتلال الاسباني؛ الباي محمد بن عثمان الكبير، الكبير بفتح وهران والكبير أيضا بمنجزاته المعمارية الذي لا أحد يستطيع أن يشكك في نسبتها إليه، خاصة بوجود نصوص تاريخية موثقة تؤكدها كتابات تسجيلية لا يرق إليها الشك.

أما فيما يتعلق بالعمائر الدينية، فإننا تعرفنا على نمطين مختلفين في تخطيط المساجد انتشرا خلال الفترة العثمانية في الجزائر، تمثل الأول في مسجد الباي – الذي كان في الأصل مدرسة – له شكل مستطيل يتوسطه صحن مكشوف، وينسب تخطيط هذا المسجد إلى الطراز المغربي الأندلسي الذي ساد لفترة طويلة جدا، حيث يخضع التخطيط المعماري لبيت الصلاة فيه للنظام المعروف بنظام التخطيط القائم على الأعمدة والمستمد أصلا من المسجد النبوي، وقد نظم إليه جامع محمد بن عثمان، والذي لا نعرف على وجه الدقة موضع الصحن فيه وإن كنا رجحنا وجوده بالجهة الغربية من بيت الصلاة.

وأما النمط الثاني فهو الذي تشكل فيه القبة العنصر الأساسي وقد تجسد في جامع الباشا، ومع هذا النمط اختفت البلاطة الوسطى التي تعتبر من أبرز سمات المساجد الإسلامية، والنمط هذا هو الذي حمله العثمانيون معهم إلى المغرب الإسلامي، وما دمنا بصدد الحديث عن جامع الباشا فلابد أن نذكر الظاهرة الجديدة في عنصر الصحن، الذي أخذ شكلا نصف دائري، شكل لم تعرفه صحون مساجد المغرب الإسلامي على الأقل. وعليه فإننا نعدّ الأمر ابتكارا جديدا قد يعبر عن قوة شخصية الباي محمد الكبير التي تميّز بها.

وفيما يخص المآذن فقد استخدم طرازان، المئذنة ذات المسقط المربع الموروثة عن التراث المغربي الأندلسي، والمئذنة ذات المسقط المضلع التي ظهرت في الجزائر خلال الفترة العثمانية، وتشكلت جميع المآذن الثلاثة المدروسة من طابقين، ويصعد إلى قممها عبر درج صاعد يلتف حول دعامة مركزية مصمتة.

ويبدو الأمر الملفت للنظر هو التكوين الزخرفي لواجهة مئذنة جامع محمد بن عثمان التي شابهت إلى حد التماثل المآذن الزيانية والمرينية، والموحدية إلى حد ما، وهي مئذنة لا نجد لها

نظيرا من بين مآذن مساجد الفترة العثمانية في الجزائر قاطبة، مما يؤكد استمرارية الطراز المغربي الأندلسي في غرب الجزائر على الأقل.

كما ينبغي أن نشير إلى الارتفاع الشاهق نسبيا لمئذنة جامع الباشا والذي وصل إلى حدود 34م رغم أنها بنيت في أرض شديدة الانحدار، وتعتبر أطول مئذنة من بين المآذن التي ترجع إلى الفترة العثمانية، وثاني أطول مئذنة في الجزائر قاطبة بعد مئذنة جامع المنصورة.

وفيما يتعلق بالمنشآت المدنية، فقد حافظ قصر الباي في عموم عناصره على التصميم الذي عرفته قصور ومساكن مدن الجزائر ومليانة والمدية وقسنطينة ومستغانم خلال العهد العثماني ولاسيما النمط الريفي منه. حيث تميّز من الناحية المعمارية بجملة من الخصائص ألا وهي:

- تعدد الأجنحة والتي تمثلت في الديوان ودار الإقامة والمبنى المفضل ودار الضيافة "الدويرة" والحمام بالإضافة إلى الحديقتين اللتان تعتبران همزة الوصل بين الأقسام المذكورة.
- اتساع مساحة الأرض المخصصة للقصر والتي قدرناها بـ 4000م2 الأمر الذي ترتب عنه التوسع الأفقي في البناء وبكل حرية كما سمح بإضافة ملاحق للمبنى على غرار القصور والدور الريفية التي تعود إلى العهد العثماني.
- اشتمال مبنى الإقامة على "وسط الدار" أو صحن مركزي مكشوف تتوسطه نافورة ومحاط بأروقة تتوزع حولها غرف مستطيلة ، وهذه المميزات عرفتها قصور ومساكن الجزائر خلال الفترة العثمانية عامّة.
- إحتواء القصر على حمام على غرار الكثير من قصور ومساكن الفترة العثمانية، وقد حافظ كما يبدو على طابعه الأصيل.
- وجود دار ضيافة التي عرفت محليا بـ"الدويرة" حيث كانت تخصص في الغالب لكبار الزوار والضيوف وقد عرفتها معظم القصور والدور المؤرخة خلال العهد العثماني.
- تضمن قصر الباي لحديقتين كبيرتين، والحديقة المعروفة محليا بـ"الجنينة" تعتبر من أهم العناصر التي يقوم عليها البيت الريفي على الخصوص.

وأما فيما يخص العناصر المعمارية، فقد استخدمت في العمائر الدينية إلى جانب التيجان التي عرفتها الجزائر إبان العهد العثماني ولاسيما المحلية والكورنثية؛ تيجان ذات أصول مغربية أندلسية، إلى جانب نوع جديد من التيجان لم يسبق وأن شاهدنا ما يشبهه في عمائر المغرب وربما المشرق أيضا وهو الذي توّج دعامات وأعمدة بيت صلاة جامع الباشا. كما استخدمت كثيرا العقود الزخرفية التي شهدتها الفترات السابقة، ويبدو التطور في ظهور شكل جديد من العقود لم يعرف من قبل وان كان شبيها بالعقود المفصصة، وهو الذي رأيناه على واجهات مئذنة مسجد الباي.

وفي مجال الزخرفة، ظهر التأثير الزياني جليا، خصوصا في بعض الزخارف الكتابية في جامع الباشا، كما يلاحظ استخدام الخط الكوفي بشكل جميل جدا، في وقت اعتقد بعض الباحثين خطأ أن هذا الخط لم يعد يستخدم مطلقا خلال الفترة العثمانية.

وأما من حيث العناصر الزخرفية عامة فلم نسجل أية ظاهرة جديدة تستدعي التوقف عندها باستثناء الهلال الذي برز استخدامه خلال الفترة العثمانية.

وتبقى البلاطات الخزفية المادة الأبرز بين مواد الزخرفة وأهم المواضع الزخرفية، وهي السّمة التي تميزت بها العمائر بالجزائر – خاصة المدنية منها – أثناء نفس الفترة.

ومما تقدم، بدا التأثير الزياني والمريني قويّا في المنشآت الدينية، وقد يرجع ذلك إلى قرب وهران من مركز حضاري مهم وهو تلمسان عاصمة الزيانيين، بينما لم نلمس هذا التأثير في المنشآت المدنية ممثلة في قصر الباي الذي بني على غرار مساكن وقصور الفترة العثمانية في الجزائر.

أما تأثر المنشآت المعمارية للباي محمد الكبير بنمط البناء الإسباني فلم نلمسه مطلقا بالرغم من استعمال بنائي تلك المنشآت مواد بناء الأبراج والمباني الأسبانية وخاصة الحجارة المهذبة.

وما نسجله للباي محمد الكبير من خلال منجزاته المعمارية بمدينة وهران هو ظهور عناصر جديدة مبتكرة في ميدان العمارة وهي:

- الصحن نصف الدائري لجامع الباشا.
- تاج دعامات وأعمدة بيت صلاة جامع الباشا.
- عقد مئذنة مسجد الباي الشبيه بالورقة خماسية الفصوص.

والأكيد أن الباي محمد الكبير لم يسجل اسمه في صفحات التاريخ فقط من خلال فتح وهران، إنما سجل اسمه أيضا في ميدان العمارة من حيث منشآته المعمارية التي لا تزال قائمة والتي تضمّنت تلك العناصر المبتكرة.

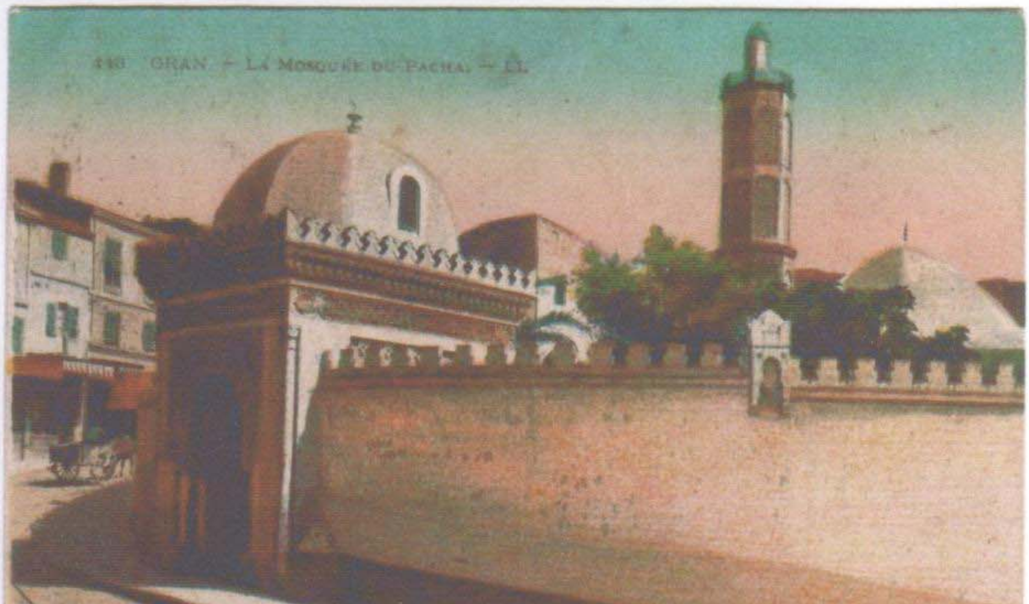
وما نؤكد عليه هو ضرورة الاهتمام بهذه المباني وترميمها والتي مازالت تعاني التهميش وعدم المبالاة، ومنها قصر الباي الذي نال القسط الأكبر من التخريب والتشويه، فالكثير من سقوف غرفه انهارت وما بقي منها مهدد بالانهيار في أي وقت، وأيضا المساجد وخصوصا مسجد الباي الذي تكاد تلتصق به البنايات من جوانبه الثلاثة، أما المآذن فقد أصيبت بالكثير من التصدعات والتشققات وأصبحت وكرا للطيور.

وفي الأخير ما أحسب هذه الدراسة سوى مساهمة متواضعة من جانبي، قدّرت أن تضيف جديدا إلى حقل الأبحاث في بلادنا المهتمة بالعمارة الإسلامية عموما، مع اعترافي أنها لا تستجيب لكل تطلعات الباحثين المشتغلين في هذا الميدان.

# ملحق الصور




صورة 1: جامع الباشا، منظر عام.



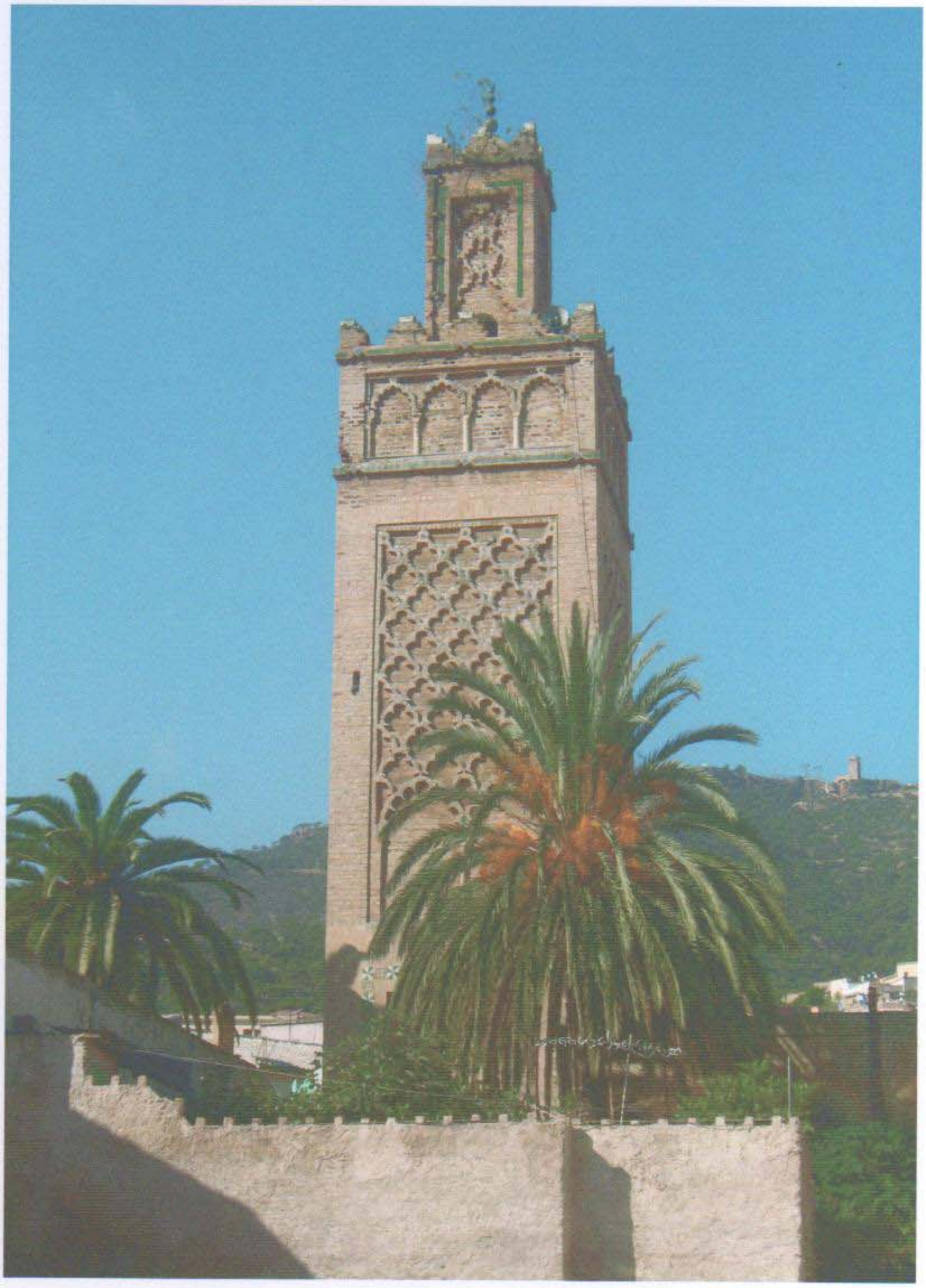

صورة 2: جامع الباشا في أوائل القرن العشرين(عن كاسار).




صورة3: مسجد الباي، منظر عام.




صورة 4: مسجد الباي في أوائل القرن العشرين( عن كاسار).



صورة5: جامع محمد بن عثمان الكبير، منظر عام.





صورة 6: جامع محمد بن عثمان، الكتابة التأسيسية للمئذنة.



صورة7: جامع الباشا، الواجهة الغربية.



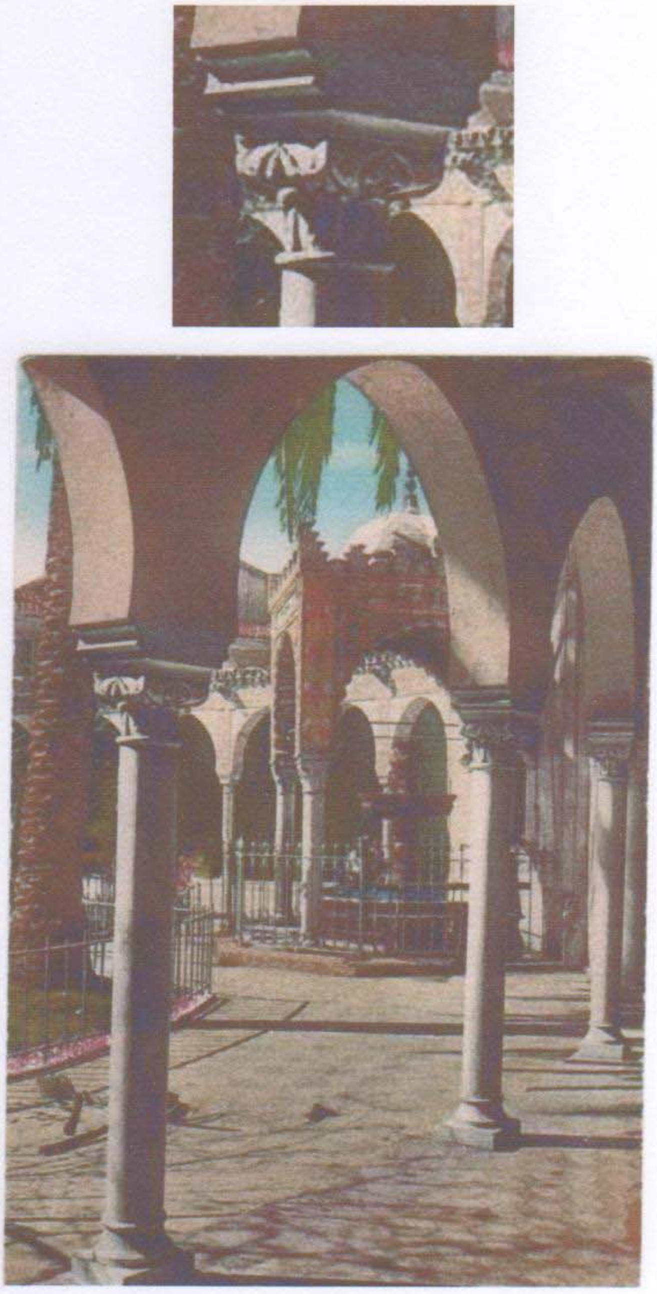
صورة 8: جامع الباشا، المدخل التذكاري.



صورة 9: جامع الباشا، منظر عام من أعلى.



صورة 10: جامع الباشا، الرواق الأيمن للصحن وقبتا المدخل والنافورة.



صورة11: جامع الباشا، جانب من الصحن في بداية القرن العشرين( عن كاسار).




صورة 12: جامع الباشا، جانب من الصحن.




صورة 13: جامع الباشا، الواجهة الرئيسية لبيت الصلاة.




صورة 14: جامع الباشا، المدخل الرئيسي لبيت الصلاة.



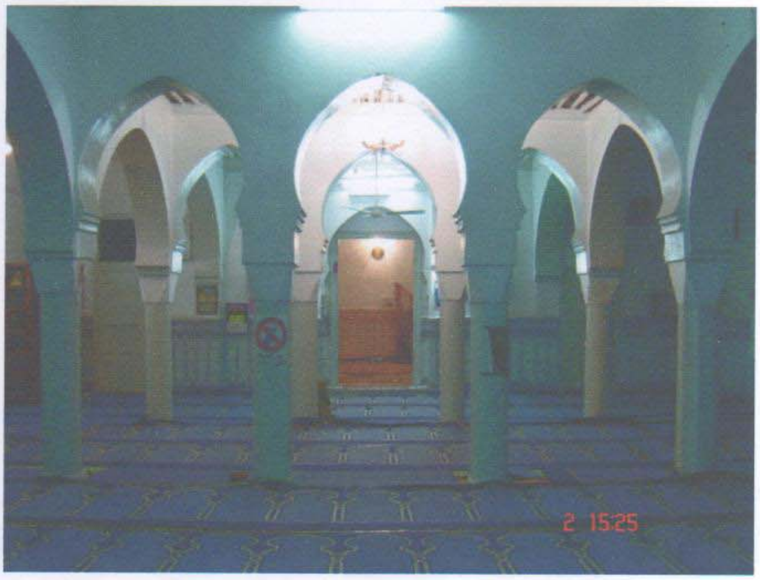
صورة 15: جامع الباشا، بيت الصلاة.




صورة 16: جامع الباشا، البلاطة الأمامية.




صورة 17: جامع الباشا، الدّكّة.




صورة 18: مسجد الباي، بيت الصلاة.




صورة 19: مسجد الباي، بلاطة موازية.



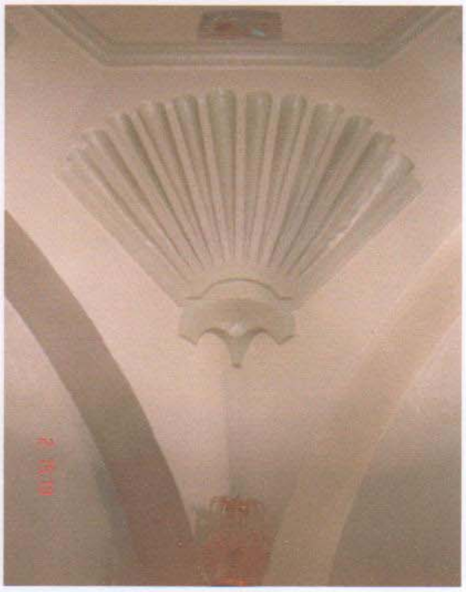
صورة 20: جامع محمد بن عثمان الكبير، سطح بيت الصلاة.



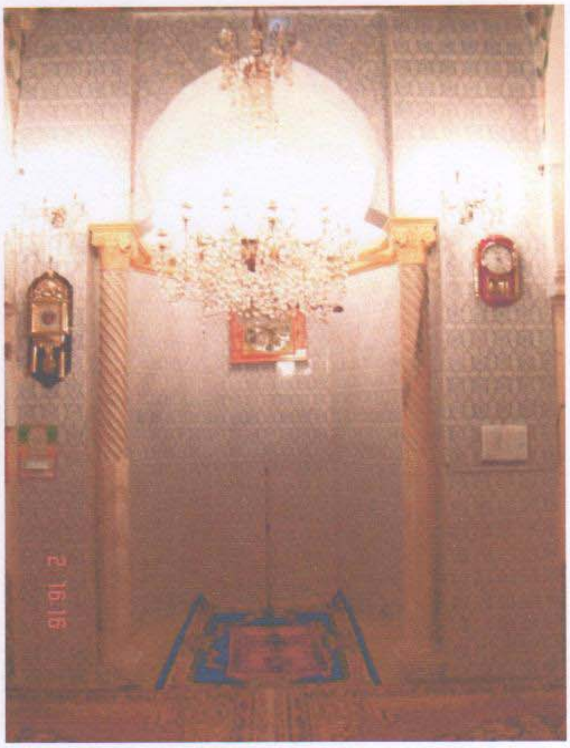
صورة 21: جامع محمد بن عثمان الكبير، إحدى بلاطات بيت الصلاة.



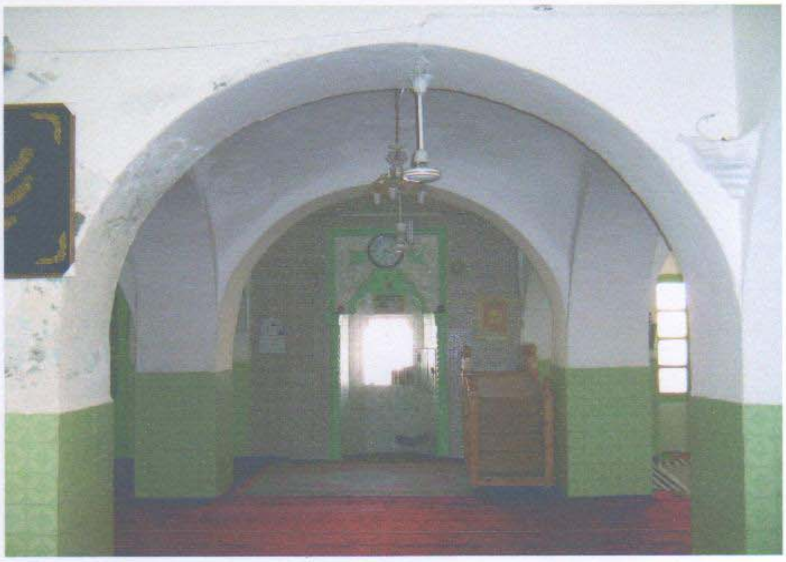

صورة 22: مسجد الباي، القبة من الخارج.



صورة 23: مسجد الباي، منطقة انتقال القبة.



صورة 24: جامع الباشا، المحراب.



صورة 25: جامع محمد بن عثمان الكبير، المحراب.



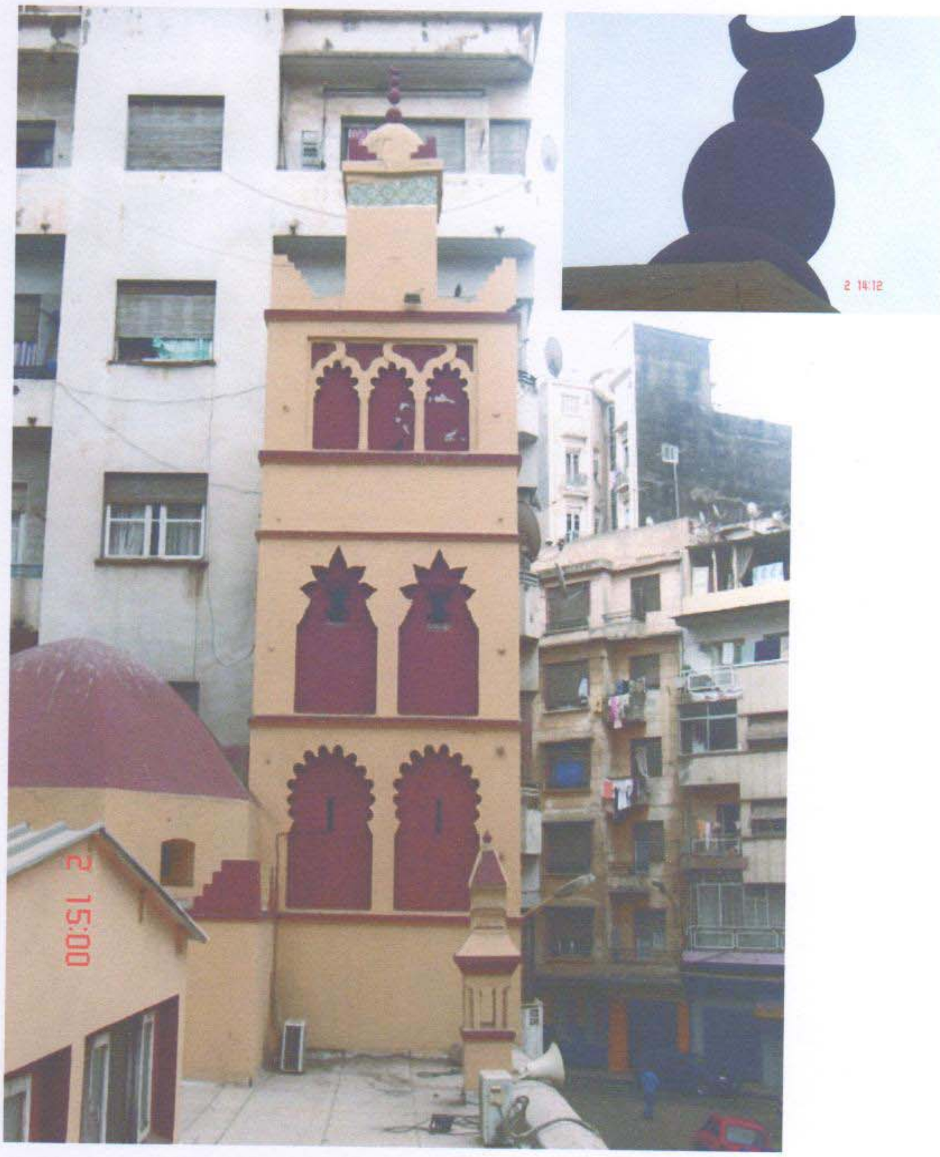
صورة 26: مئذنة جامع الباشا.




صورة 27: جوسق مئذنة جامع الباشا.



صورة 28 : مسجد الباي، الواجهة الجنوبية للمئذنة.



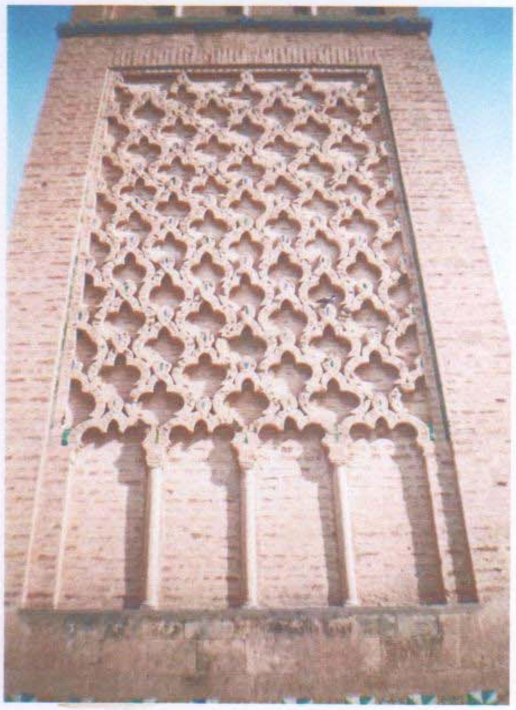

صورة 29 : مسجد الباي، الواجهة الغربية للمئذنة.



صورة 30 : مئذنة جامع محمد بن عثمان.

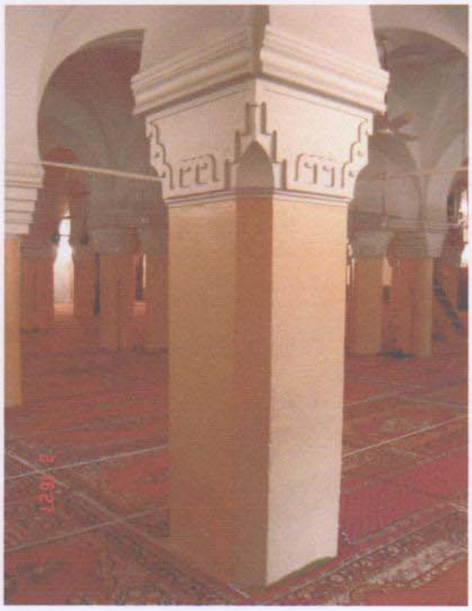


صورة 31: جوسق مئذنة جامع محمد بن عثمان.



صورة 32: جامع محمد بن عثمان، الواجهة الغربية للمئذنة.





صورة 34: جامع الباشا، عمود مزدوج بالمدخل التذكاري.

صورة 33: جامع الباشا، إحدى دعامات بيت الصلاة.





صورة 36: مسجد الباي، إحدى الأعمدة المزدوجة بالواجهة الغربية.

صورة35: مسجد الباي، نموذج لعمود ببيت الصلاة.



صورة 37: جامع الباشا، تاج دعامات بيت الصلاة.



صورة 38: جامع الباشا، تاج دعامتي مدخل بيت الصلاة.



صورة 39: جامع الباشا، أحد عقود بيت الصلاة.



صورة 40: جامع الباشا، أحد عقود رواقي الصحن.



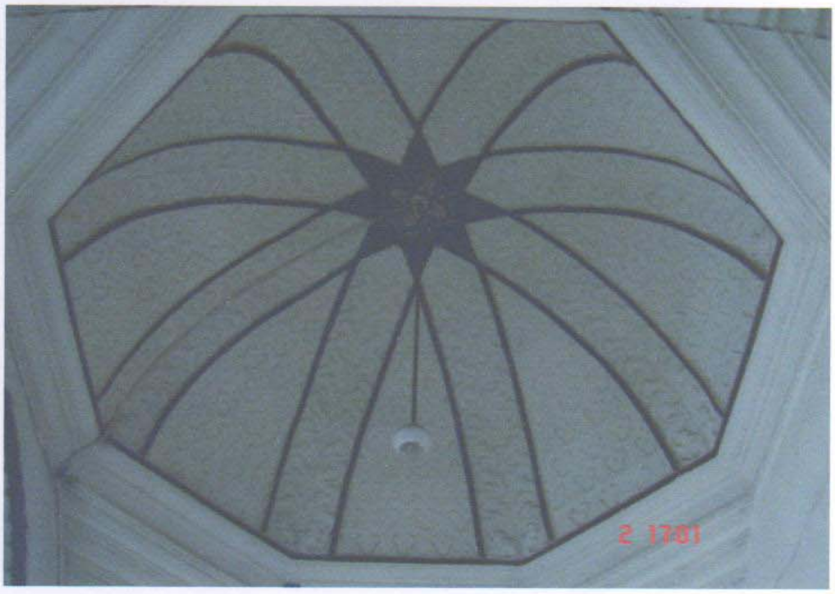
صورة 41: مسجد الباي، من العقود الزخرفية للمئذنة.



صورة 42: مسجد الباي، نموذج لعقود بيت الصلاة.



صورة 43: جامع الباشا، قبة المدخل من الخارج.



صورة 44: جامع الباشا، قبة المدخل من الداخل.



صورة 45: جامع الباشا، القبة التي تتقدم المحراب من الداخل.



صورة 46: جامع الباشا، نافورة الصحن.



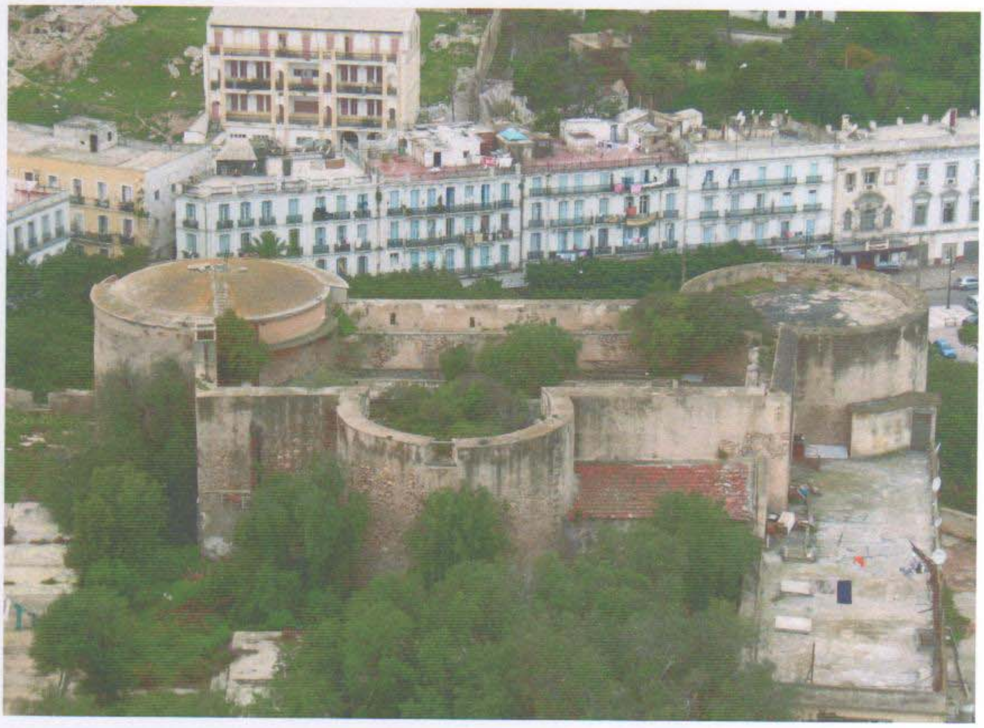
صورة 47 : جامع الباشا، نموذج للأقبية المتقاطعة ببيت الصلاة.



صورة 48: مسجد الباي ، سقف مسطح.



صورة 48: قصر الباي، منظر عام.



صورة 49: القصر الجديد، البرج الأحمر.




صورة 50: قصر الباي، منظر عام.




صورة51: قصر الباي، المدخل الرئيسي.



صورة 52: قصر الباي، الديوان.



صورة 53: قصر الباي، جانب من الواجهة الأمامية للديوان.



صورة 54 : قصر الباي، الواجهة الأمامية للديوان وجانب من الحديقة.



صورة 55: قصر الباي، الواجهة الأمامية للديوان في بداية القرن العشرين (عن كاسار).




صورة 56: قصر الباي، قاعة الديوان.



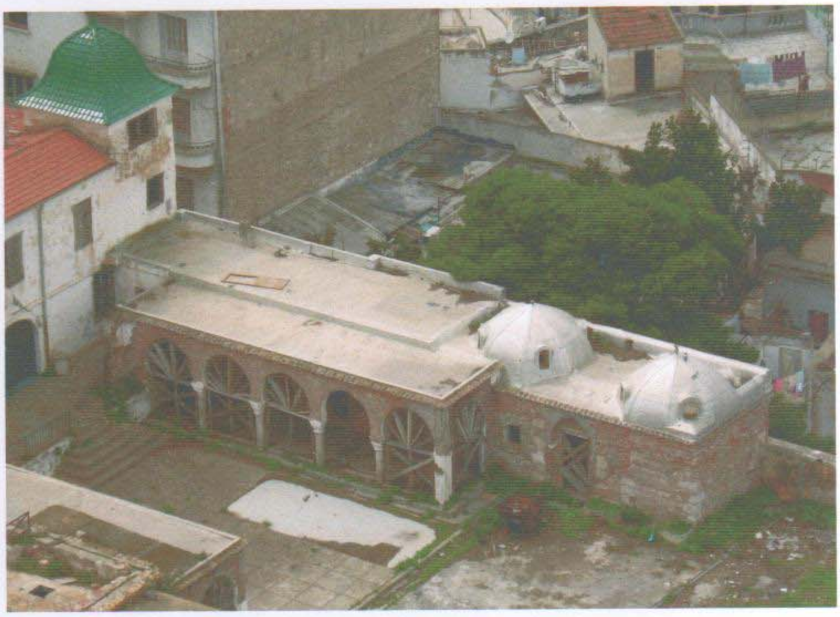
صورة 57: قصر الباي، الواجهة الأمامية للمبنى المفضل.



صورة 58: قصر الباي: مبنى الإقامة.



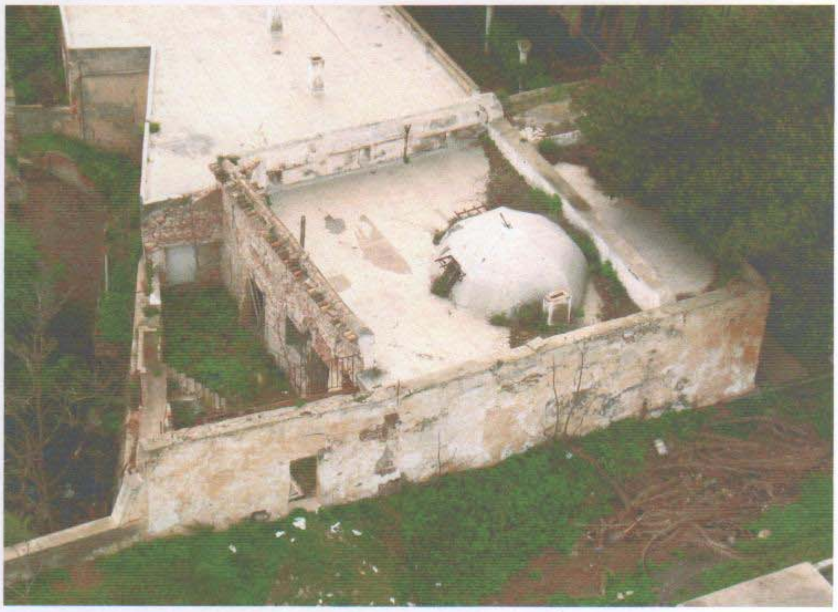
صورة 59: قصر الباي، صحن وأروقة مبنى الإقامة.



صورة 60: قصر الباي، الحمام.



صورة 61: قصر الباي، رواق الحمام.



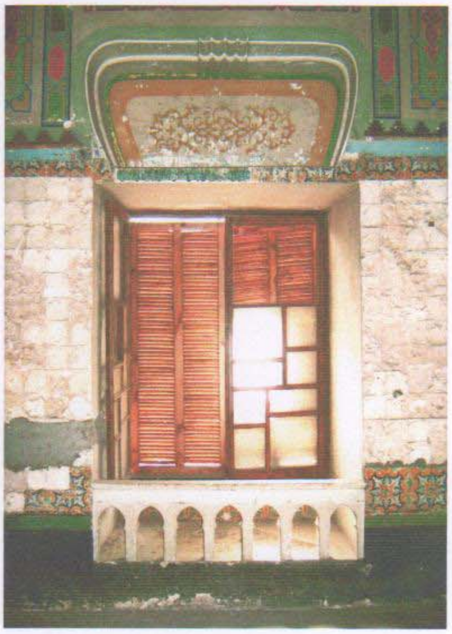
صورة 62: قصر الباي، دار الضيافة ( الدويرة).



صورة 63: قصر الباي، الواجهة الأمامية لدار الضيافة (الدويرة).



صورة 64: قصر الباي، إحدى نوافذ قاعة الديوان المشرفة على الرواق.



صورة 65: قصر الباي، إحدى نوافذ قاعة الديوان المشرفة على الخارج.



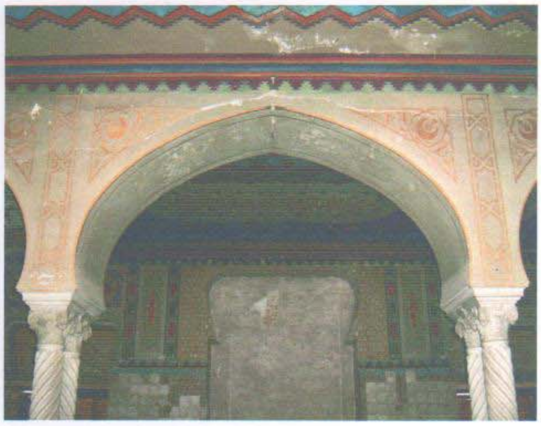
صورة 66: قصر الباي، عمود مزدوج بقاعة الديوان.



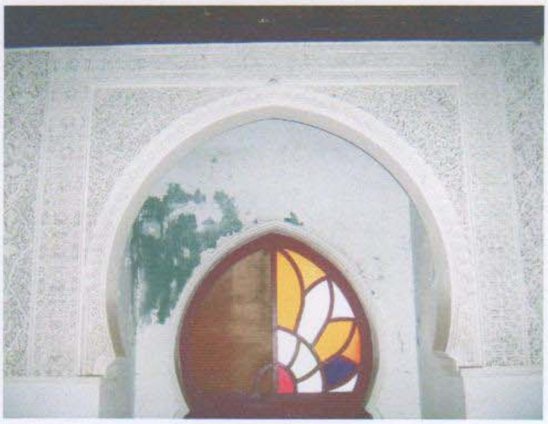
صورة 67: قصر الباي، أحد الأعمدة بالحديقة الصغرى.



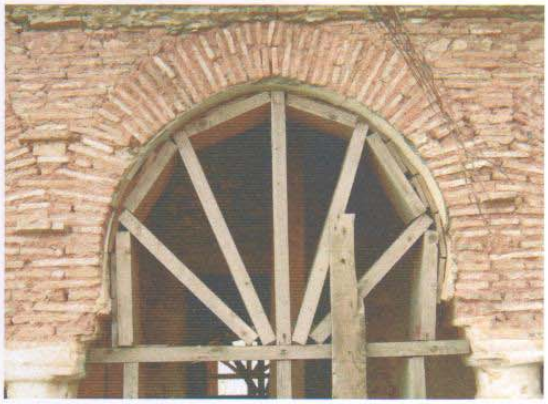
صورة 68:قصر الباي، نموذج لعمود برواق الحمام.



صورة 69.



صورة 70.



صورة 71.



صورة 72

قصر الباي، نماذج للعقود.



صورة 73: قصر الباي، قبة دار الضيافة ( الدويرة).



صورة 74: قصر الباي، سقف الممر الرابط بين الديوان ومبنى الإقامة.



صورة 75: قصر الباي، البناء بالآجر والطابية والدبش للعقود.



صورة 76: قصر الباي، بقايا لزخرفة منفذة على الجص بقاعة الديوان.



صورة 77: جامع الباشا، زخارف متنوعة.




صورة 78 (أ): جامع الباشا، سلة فواكه النافورة.




صورة 78 (ب): جامع الباشا، زخارف مدخل بيت الصلاة.



صورة 79: جامع محمد بن عثمان، زخارف مختلفة بأحد القطاعات الزخرفية للمئذنة.



صورة 80: جامع الباشا،بلاطات خزفية بالقبة التي تتقدم المحراب.



صورة 81: قصر الباي، بلاطات خزفية بقاعة الديوان.



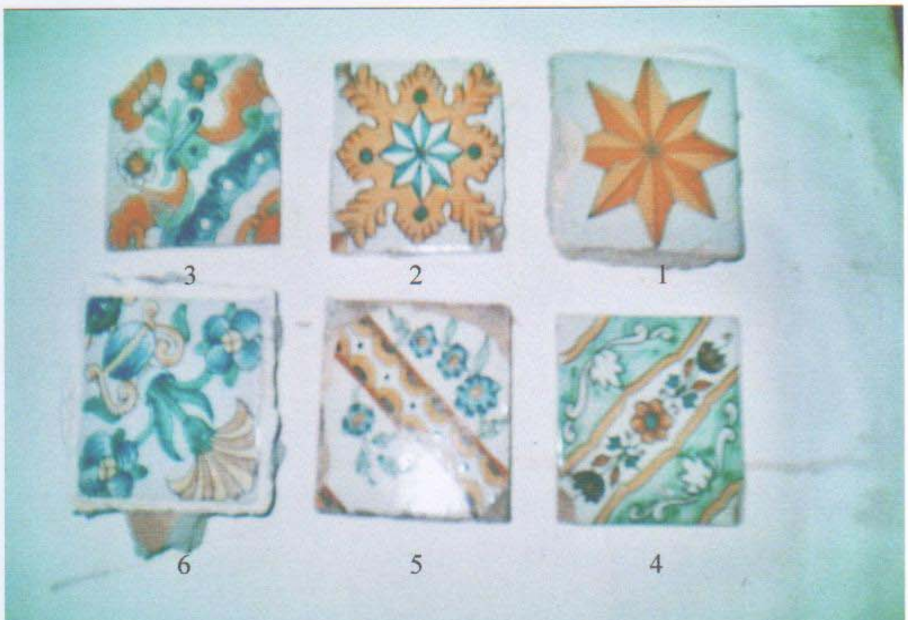
صورة82: قصر الباي، تجميعة لمربعات خزفية جدارية بقاعة الديوان.



صورة83: قصر الباي،كسوة من بلاطات خزفية تغطي حوائط قاعة الديوان.



صورة 84: قصر الباي، لوحة من بلاطات خزفية بقاعة الديوان



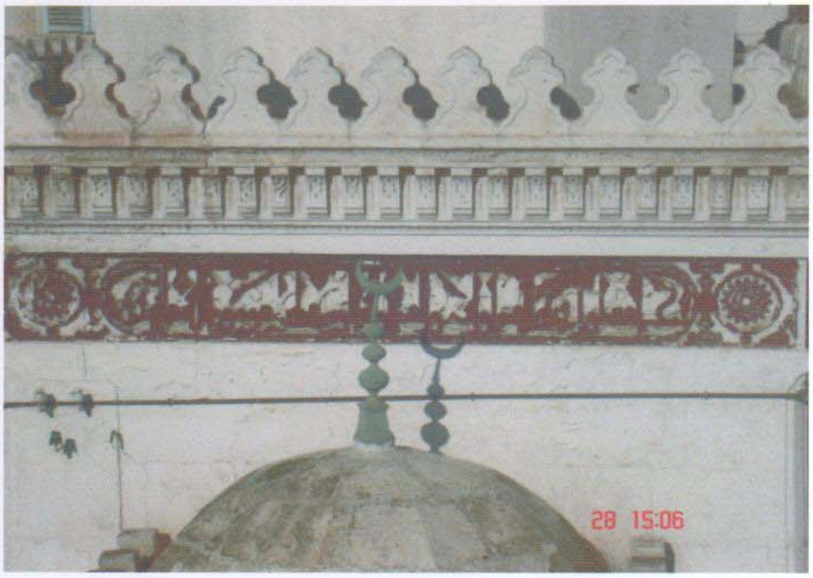

صورة 85: قصر الباي، بلاطات خزفية.




صورة 86: جامع الباشا، كتابة زخرفية.




صورة 87: جامع الباشا، كتابة زخرفية .




صورة 88: جامع الباشا، كتابة زخرفية.




صورة 89: جامع الباشا، كتابة زخرفية.



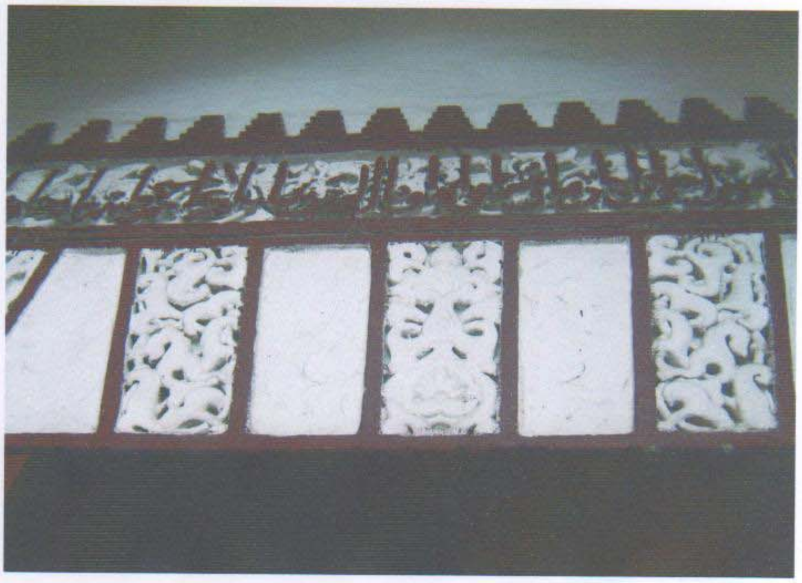

صورة 90:جامع الباشا، كتابة زخرفية.



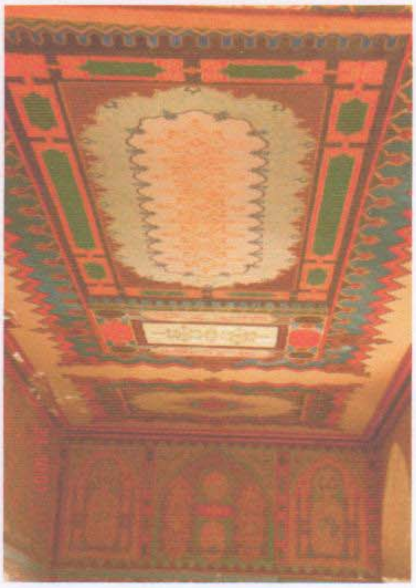

صورة 91: جامع الباشا، كتابة زخرفية.



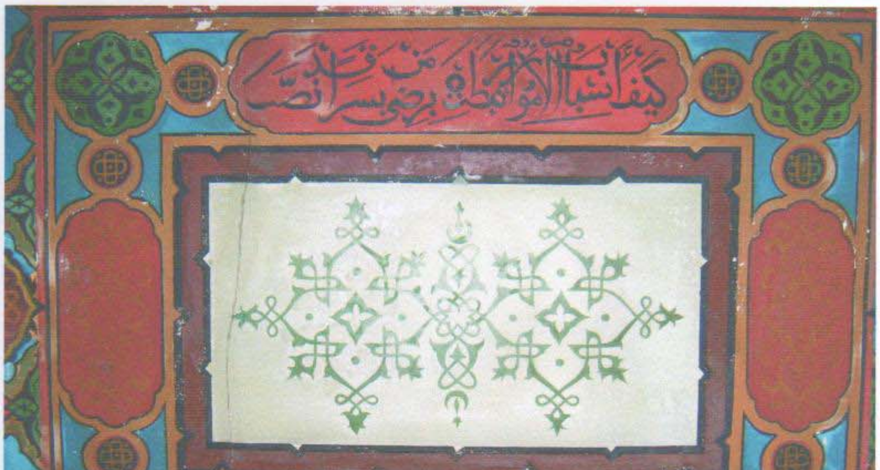

صورة92: جامع الباشا، كتابة زخرفية.



صورة93: جامع الباشا، كتابة زخرفية.



صورة 94: قصر الباي، جانب من السقف المزخرف المستحدث بقاعة الديوان.



صورة 95: قصر الباي، نموذج من الزخارف المستحدثة بقاعة الديوان.

# المصادر والمراجع العربية

## 1- المصادر:


- **القرآن الكريم.**

- **ابن رقية التلمساني، محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن الجيلاني**، الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، تحقيق سليم بابا عمر، مخطوط منشور بمجلة تاريخ وحضارة المغرب، العدد 3، 1967م، ص.ص 2- 32.

- **ابن زرفة، أبو محمد مصطفى بن عبد الله بن عبد الرحمن**، الرحلة القمرية في السيرة المحمدية، مخطوط بالمكتبة الوطنية، الجزائر، رقم 3322.

- **ابن سحنون الراشدي، أحمد بن علي**، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم المهدي البوعبدلي، منشورات وزارة التعليم الأصلي، قسنطينة، 1973م.

- **أبو راس الناصري، محمد بن أحمد بن عبد القادر**، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، تحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990م.

- **الزهار الحاج أحمد شريف**، مذكرات الحاج أحمد شريف الزهار، تحقيق: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية، الجزائر، 1980.

- **الزياني، محمد بن يوسف**، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1990م.

- **المزاري، آغا بن عودة إسماعيل**، طلوع سعد السعود في أخبار وهران واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر. تحقيق يحيى بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م، الجزء الأول.

- **أبو راس الناصري، محمد بن أحمد بن عبد القادر**، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار. مخطوط بالمكتبة الوطنية، الجزائر، رقم 3327.

## 2- المراجع:

### أ- الكتب:

- **أبو القاسم سعد الله**، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع الهجري(16-20م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981م، الجزءان الأول والثاني.

- **أبو القاسم، سعد الله**، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1410هـ/ 1980م.

- **الريحاوي، عبد القادر**، العمارة العربية الإسلامية؛ خصائصها وآثارها في سوريا، مطابع وزارة الثقافة، دمشق، 1979م.

- **المدني أحمد توفيق**، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر اسبانيا(1492-1792)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، الجزائر، 1976.

- **المدني، أحمد توفيق**، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.

- **بن قربة، صالح**، المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.

- **بورويبة، رشيد**. الكتابات الأثرية في المباني الجزائرية، ترجمة إبراهيم شبوح، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م

- **بورويبة، رشيد**، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977م.

- **بورويبة، رشيد**، وهران، سلسلة فن وثقافة، 1979م

- **بوعزيز، يحيى**، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري. منشورات A.N.E.P، الجزائر ،الطبعة الأولى، 2002م.

- **بوعزيز، يحيى**، مدينة وهران عبر التاريخ، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2002م.

- **بوعزيز، يحيى**، وهران، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، 1985م.

- **توريس بالباس ليوبولدو**، الفن المرابطي والموحدي، ترجمة غازي سيد. دار المعارف الطبعة الأولى، مصر، 1981م.

- **جودي، محمد حسين**، العمارة العربية الإسلامية، خصوصيتها- ابتكاراتها- جمالياتها. دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الطبعة الأولى، عمّان، 1419هـ /1998م.

- **حامد خليفة، ربيع**، الفنون الإسلامية في العصر العثماني، مكتبة زهراء الشرق، الطبعة الأولى، القاهرة، 2001م.

- **حسن، زكي محمد**، فنون الإسلام، دار الرائد العربي، بيروت، 1981م.

- **حسن، زكي محمد**، في الفنون الإسلامية.دار الرائد العربي، بيروت، 1981م.

- **حمودة، يحيى**، التشكيل المعماري، ب.ت، ب.ط.

- **رزق، محمد عاصم**، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، القاهرة، 2000م.

- **سالم، عبد العزيز**، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس،دار النهضة العربية، بيروت، 1981م.

- **سامح، كمال الدين**، العمارة الإسلامية في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، القاهرة، 1983م.

- **سعد زغلول، عبد الحميد**، العمارة والفنون في دولة الإسلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2004م.

- **سعيدوني، ناصر الدين و البوعبدلي، المهدي**، الجزائر في التاريخ؛ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

- **شافعي، فريد**. العمارة الإسلامية في مصر الإسلامية(عصر الولاة)، المجلد الأول، الهيئة المصرية للكتاب، 1970م.

- **عزوق، عبد الكريم**، القباب والمآذن في العمارة الإسلامية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1996م.

- **عكاشة، ثروت**، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، دار المعرف، الطبعة الأولى، جمهورية مصر العربية، 1981م.

- **فكري، أحمد**. مساجد القاهرة ومدارسها. الجزء الثاني، العصر الأيوبي، دار المعارف، مصر، 1969م.

- **فكري، أحمد**، المسجد الجامع بالقيروان، مطبعة المعارف، القاهرة، 1983م.

- **فكري، أحمد**، مساجد القاهرة ومدارسها. الجزء الأول، العصر الفاطمي، دار المعارف، مصر، 1965م.

- **لعرج، عبد العزيز**، الزليج في العمارة الإسلامية بالجزائر في العصر التركي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الطبعة الأولى،الجزائر، 1990م،

- **مصطفى صالح لمعي**، القباب في العمارة الإسلامية. دار النهضة العربية، بيروت.

- **معزوز، عبد الحق**، الكتابات الكوفية في الجزائر بين القرنين الثاني والثامن الهجريين(8-14م)، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2002م.

- **مقيبس، بشير**، مدينة وهران؛ دراسة في جغرافية العمران، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م.

- **مورينو، مانويل جوميث**، الفن الإسلامي في اسبانيا، ترجمة عبد البديع لطفي والسيد محمود عبد العزيز سالم. دار الكتاب المصري، القاهرة، 1968م.

## ب- الرسائل الجامعية:

- **الأمين، عمر**، مواد البناء وتقنياته بالمغرب الأوسط خلال القرنين(4-6هـ/10-12م) للفترتين الزيرية والحمادية. رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2001م.

- **بلجوزي، بوعبد الله**، دراسة لنماذج من العمارة العثمانية في مدينة مستغانم، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2006م.

- **بن عتو، بلبراوات**، الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري؛ 1779م- 1797م، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2002م.

- **خلاصي، علي**، قصبة الجزائر؛ القلعة وقصر الداي. رسالة دكتوراه، السلك الثالث، جامعة الجزائر، 1982م.

- **عزوق، عبد الكريم محمد الصالح**، تطور نظام المآذن في المغرب الأوسط، رسالة ماجستير، جامعة الإسكندرية، 1991م.

- **عقاب، محمد الطيب**، قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، رسالة دكتوراه، الحلقة الثالثة، جامعة الجزائر، 1985م.

- **عولمي، محمد الأخضر**، تطور الزخرفة النباتية في عمارة المغرب الإسلامي (من القرن الثاني إلى منتصف القرن السادس هجري)، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2002م

- **فاضل، وردة**، تطور العناصر الزخرفية في عمارة المغرب الأوسط الدينية من القرن الخامس إلى غاية الثامن للهجرة، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2002م.

- **لعرج، عبد العزيز**، المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية، رسالة دكتوراه دولة، جامعة الجزائر، 1999م.

- **مطروح، أم الخير**، تطور المحراب في عمارة المغرب الأوسط خلال العصر الإسلامي(منذ بداية الفتح الإسلامي حتى نهاية عصر الزيانيين)، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1994م.

## ج- المقالات:

- **الجيلالي، عبد الرحمن**، " الجامع الكبير بمدينة الجزائر؛ معماريا وتاريخيا"، مجلة الأصالة، العدد 8، ربيع الثاني- جمادى الأولى 1392هـ/ماي- جوان 1972م، ص.ص 113- 127.

- **الريحاوي، عبد القادر**، " البيت في المشرق العربي الإسلامي". المؤتمر العاشر للآثار بالبلاد العربية، تلمسان، وزارة الثقافة الجزائرية، نوفمبر 1982م.

- **بن بلة، علي والمقراني، محمد العزيز،** " دراسة تصنيفية للبلاطات الخزفية المعروضة بالمتحف الوطني للآثار "، حوليات المتحف الوطني للآثار، عدد4، الجزائر، 1414هـ/1994م، ص.ص 11-49.

- **بن قربة، صالح،** " العمارة الدينية في عصر المرابطين بالجزائر"، مجلة سيرتا، عدد 3، رجب 1400هـ/ماي 1980م، ص.ص 42- 57.

- **بورويبة، رشيد،** "جولة عبر مساجد تلمسان"،مجلة الأصالة، العدد 26، رجب – شعبان 1395هـ/جويلية- أوت 1975م، ص.ص 171- 182.

- **حجّاج، ميلود،** " الباي محمد بن عثمان، محرر مدينة وهران"، مجلة المتحف الوطني أحمد زبانة، وهران، ص.ص 27- 37.

- **عقاب، محمد الطيب،** " من العناصر الجمالية في البيت الجزائري الأصيل(المربعات الخزفية)"، مجلة الدراسات الأثرية، العدد 2، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 1412هـ/1992م،ص.ص 65- 72.

- **عقاب، محمد الطيب،**" المدخل إلى المسكن العربي الإسلامي بمدينة الجزائر"، المؤتمر العاشر للآثار بالبلاد العربية، تلمسان، وزارة الثقافة، نوفمبر 1982م.

# المراجع باللغة الأجنبية

## أ- الكتب:

**Barrucand,M et Achim,B**, L'Architecture Maure en Andalousie, P.M.L Edition Et Taschen, Italie, 1995.

**Benyoucef,B**, Introduction à l'histoire de l'Architecture islamique, O.P.U,Alger, 2005.

**Berque,A**, Algérie terre d'art et d'histoire, Imprimerie Victor Heintz, Alger, 1937.

**Berque,A**, Art antique et art musulman en Algérie, Edition du centenaire de l'Algérie, Alger, 1930.

**BOUROUIBA,R,** Apports de l'Algérie à l'architecture religieuse arabo-islamique, O.P.U.,Alger, 1987.

**BOUROUIBA,R,** L'Art musulman en Algérie, S.N.E.D., Alger, 1973.

**Broussaud,G**, Les carreaux de faïence peints dans l'Afrique du Nord, Librairie Plon, Paris, 1930.

**Casser,J et autres**, Le livre de l'Oranie, Fantana, Alger, 1925.

**Chaila,H**, Oran, Histoire d'une ville, Edik, 2 édition, 2002.

**Coste,J**, Le plâtre traditionnel et moderne, 3°édition, Edition Eyrolles, Paris,1993.

**Cruck,E**, Oran et les témoins de son passé, Imprimerie Heintz frères, Oran, Octobre, 1956.

**Dokali,R**, Les Mosquées de la période turque à Alger, S.N.E.D. Alger, 1974.

**Feraud,C**. Visite au palais de Constantine, Arnolet, Constantine, 1867.

**Fey,H.L**, Histoire d'Oran, avant, pendant et après la domination espagnole, Edition Dar-el-Gharb, N.E, 2002.

**Golvin,L,** Essai sur l'Architecture religieuse musulmane, Tome 1, Généralités, Edition Klincksieck, Paris, 1970.

**Golvin,L**, Essai sur l'Architecture religieuse musulmane, Tome 2, Edition Klincksieck, Paris, 1971.

**Golvin,L**, Essai sur l'Architecture religieuse musulmane,Tome 3, Edition Klincksieck, Paris, 1974.

**Golvin,L**, Essai sur l'Architecture religieuse musulmane,.Tome 4, Edition Klicksieck, Paris, 1979.

**Golvin,L**, La Madrasa médiévale, Edisud, France, 1995.

**Golvin,L,** La Mosquée, Imprimeries La Typo-litho et Jules carbonel réunies, Alger, 1960.

**Golvin,L,** Le Maghrib central à l'époque des Zirides, recherches d'Archéologie et d'histoire, Arts et Métiers graphiques, Paris, 1957.

**Golvin,L**, Palais et demeures d'Alger à la période ottomane, O.P.U.1988.

**Golvin,L**, Recherche archéologique à la Qala de banu Hammad, Maison neuve, Paris, 1965.

**Grabar,O**, La formation de l'Art islamique, Traduit de l'Anglais par Yves Thoraval, Flammarion, Paris, 2000.

**Kehl,C,** Oran et l'Oranie avant l'occupation française, Oran, 1942.

**Lambert,E**, L'art musulman d'Occident des origines à la fin du xv siècle, S.E.D.E.S. Paris, 1966.

**Lespès,R,** Oran étude de géographie et d'histoire Urbaine, Fontana, Alger, 1938.

**Lézine,A**, Architecture de l'Ifriqiya, recherches sur les monuments Aglabides, Librairie Klincksieck, Paris, 1966.

**Marçais,G**, L'Architecture musulmane d'Occident, Arts et Métiers graphique, Paris, 1975.

**Marçais,G**, L'Art en Algérie, Imprimerie algérienne, Alger, 1906.

**Marçais,G,** L'Art musulman, Presse universitaires de France, Paris,1962.

**Marçais,G**, Manuel d'Art musulman, Edition Auguste Picard,. Paris, 1926.

**Metair,K, et autres**, Oran face à sa mémoire, Edition Bel-horison, 2003.

**Mignard, R**, Guide constructeurs, Tome 1, Librairie centrale beaux arts, Paris, S.D.

**Pièsse,L**, Itinéraire historique et descriptif de l'Algérie, Hachette, Paris, 1862.

**Ravéreau, A**, Casbah d'Alger et le site créa la ville, Sindbad, Paris, 1989.

**Ricard,P,** Pour comprendre l'Art musulman dans l'Afrique du Nord et en Espagne, Hachette, Paris, 1924.

**Sandras,G**, Histoire des hôpitaux d'Oran, Oran, 1910.

**Shaw,Dr**, Voyage dans la régence d'Alger, Traduit de l'Anglais par J.Maccarthy, Paris, 1850

**Stierlin,H**, L'architecture islamique, Presses universitaires de France, Paris, 1993.

**Talbot Rice, D**. L'art de l'Islam, Traduit de l'Anglais par D. Le Bourg, Thames et Hudson, Paris, 1994.

**Térrasse,H et Basset,H**, Sanctuaires et forteresses almohades, Collection Héspéris, Paris, 1932.

**Revault,J**. L'habitation tunisoise; pierre, marbre, et ferdans la construction et le décor, C.N.R.S. Paris, 1978.

**Yetkin,S.K,** L'Architecture turque en Turquie, Maison neuve et La Rose, Paris, 1962.

## ب - الرسائل الجامعية:

**Belhadj,Marouf**, Cezayir de merkezi kubbeli camiler osmanli donemi, Istanbul, 1991.

**Bouyahiaoui,A**, Evolution de la grande Mosquée médiévale dans la région de Tlemcen, Doctorat de 3° cycle, université de Paris-Sorbonne, 1985

**Hamlaoui,A,** l'Art de Sedrata(X-XII° siècle), Doctorat de 3° cycle, Université de Paris-Sorbonne, 1985.

## ج - المقالات:

**Gorguos,A**, « Notice sur le Bey d'Oran Mohamed-el-Kébir », in Revue africaine, 1856, PP 403-416, PP 454-463 et 1857, PP 28-46, 223-24

**Hontabat,D.A**, « Description des places d'Oran et Mers-el-Kébir », Traduction : Cazenave,J, in B.S.G.A.O, T. XLIV, 1924, PP 211-264

**Lespès, R**, « Oran, ville et port avant l'occupation française (1831) », in Revue africaine, N° 75, 3° trimestre, 1934. PP 277-335.

**Marçais,G**, « Maison et villas musulmanes d'Alger », in Documents algériens, T.1, Fév. 1948, PP 345-349.

**Marçais,G**, « Salle, anti-salle », In Annales de l'institut d'études orientales, T.10, Alger, 1952, PP 274-301.

**Marial,W**, « La Mosquée de Sidi Mohamed-el-Kébir à Oran », in B.S.G.A.O, 1893, PP 53-54.

**Neggaz,A**, « Note sur la Mosquée de Sidi-el-Houari », in B.S.G.A.O, 1977-1978, PP 118-120.

# الفهارس

# فهرس المخططات

# فهرس الأشكال

# فهرس الصور

# فهرس الموضوعات

**مقدمة**

**رقم الصفحة**

## الفصل الثاني: المنشآت المدنية

### قصر الباي



## الفصل الثالث: مواد البناء والزخرفة

## الفصل الرابع: دراسة تحليلية للعناصر الزخرفية

**الفهارس**